قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

المطالعة العربية

للمدارس الابتدائية

الجزء الرابع

للسنة الرابعة

ألفه الأساتذة

إبراهيم مصطفى — محمد عطية الإبراشي — محمود السيد عبد اللطيف

عبد المجيد الشافعى — الدكتور عبد الوهاب عزام — حامد عبد القادر

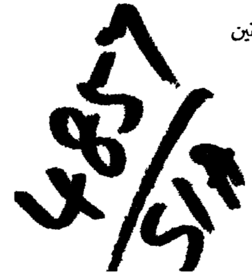
وراجعه الأساتذة

الدكتور طه حسين بك — أحمد أمين — محمد أحمد جاد المولى بك

١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م

ملتزم طبعه ونشره

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر



مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد فقد كلفتنا وزارة المعارف تأليف كتب للمطالعة العربية ، بالمدارس الابتدائية والثانوية — فتلقينا ذلك التكليف بالشكر ، وَقَدَّرْنا الواجبَ فيه أعظم تقدير .

كان علينا أن نهيئ للتلميذ سبيل القراءة ، ونحبب إليه لغته العربية ، ونزوده بنصيب صالح منها ، ونهون ذلك عليه أبلغ تهوين .

وكان علينا أن نوقظ فكره ، ونوسع علمه بما حوله ، ونُنَمِّيَ ما وَهَبَ الله له من حِسٍّ ، وتفكير ، وخيال .

وكان علينا — أولاً وآخراً — أن نقربه ما استطعنا من الفضيلة ، والخلق القويم ، وأن نربى فيه الكرامة ، والعزة ، ومحبة الوطن والأمة .

بدأنا باليسير المألوف ، فحدثنا التلميذ عما حوله ، فى أسلوب سهل ، وقربنا له العبارة ، وأكثرنا من الصور توضيحاً وتشويقاً ، وتدرجنا فى الرقى به ؛ حتى ينتفع بالسابق ، ويبنى عليه .

وحلينا الكتب بقطع من الأدب المأثور ، ووصلنا التلميذ ما أستطعنا بتاريخ سلفه ، ومجد آبائه ، .وتعمدنا أن نطيل بعض القطع فى يُسْرٍ ، وتسلسل فى الفكرة ؛ حتى يمتد بالتلميذ مداه فى القراءة : فقد كان من همنا أن يقرأ التلميذ مستقلا ، وأن يعتاد صُحْبَةَ الكتاب ، والقراءةَ فى غير ساعات الدرس . وكتبنا لذلك قصصا ، أطلناها قليلا ، وقربناها من التلميذ كثيراً . وجعلناها فى كتابين مستقلين ، للسنتين الثالثة والرابعة .

وقد وضعت اللجنة فى كل كتاب قدراً صالحاً من المحفوظات ، وأختارت قطعاً أخرى نسبت كل قطعة منها إلى قائلها . وقامت بعمل معجم صغير للكلمات الصعبة التى وردت فى كتب السنوات الثانية والثالثة والرابعة ، وشرحت معانيها ، مراعية ترتيب الدروس .

ولا نزعم أنا وصلنا إلى الكمال ، ولا بلغنا ما نريد من خدمة التلميذ ، وإنما نقول : إنا حَدَّدْنا الغاية ، وبذلنا فى سبيلها الجهد . وما التوفيق إلا بالله .

وقد كان للجنة المراجعة من الفضل — فى تقويم الخطة وتسديدها — ما يستحق منا أبلغ الثناء ، وأجزل الشكر .

ونتقدم إلى المولى العظيم ضارعين أن يسعد أمتنا الكريمة ، ويسدد إلى المجد خطاها ، فى عهد حضرة صاحب الجلالة ، مليكنا المعظم ، الملك « فاروق الأول » أعزه الله .

المؤلفون

١ – آيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ومِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ والنَّخِيلَ والأَعْنَبَ ومِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ؛ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ✡ وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ ، والنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِه ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ✡ ومَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ؛ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ✡ وهو الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا ، وتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ، وتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ، ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ✡ وأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وأَنْهَارًا وسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وعَلَامَٰتٍ وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ✡ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ✡ وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ✡ واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ومَا تُعْلِنُونَ .

(من سورة النحل)

٢ — مِصْرُ فى عَصْرِ فارُوقٍ



فى هـذا الْعَصْرِ السَّعيدِ يَجْلِسُ مَلِكُ مِصْرَ الْمُعَظَّمُ فَارُوقٌ « الْأَوَّلُ » عَلَى عَرْشِ أَجْدَادِهِ الْـكِرَامِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ عَصْرَهُ الزَّاهِرَ دَلاَئلُ الْيُمْنِ وَبَشَائرُ السَّعْدِ ، وتتابعَت علاماتُ الْعِزِّ والْمَجْدِ لِهذا الْبَلدِ الْأَمِينِ .

نالتْ مِصْرُ اسْتِقلاَلَهَا بِجِهادِ أَبْنائِها الأَنْجاب ، وَرِجالِها الأَمْجادِ الَّذِين بَذَلوا فى سَبيلِ شَرَفِها نُفوسَهُم ، وَأَسَالُوا عَلَى أَديمِ أَرْضِها دِماءَهم .

وقد وَفَّقَ اللهُ تعالَى زُعَماءَها المُخْلِصينَ لإلغاء الامْتيازاتِ الأَجْنَبِيَّةِ الَّتى كانَتْ كالشَّجا فى حَلْقِ مِصْرَ، فَأَصْبَحَ المِصْرِىُّ كَرِيمًا فى بَلَدِهِ، عَزِيزًا فى وَطَنِه، لَيْسَ لِلْأَجْنَبِيِّ عِنْدَه إلاَّ ما فُطِرَ عليه مِن كَرَمِ الضِّيافَةِ، وَالْعَطفِ عَلَى الْغَرِيبِ.

ثُمَّ دخَلَتْ مِصْرُ فى « عُصْبَةِ الْأُمَمِ » كريمةً عَزِيزَةً، فَإِذا هِىَ تَتَبَوَّأُ مَقْعَدَها بَيْنَ الدُّوَلِ، وَتُعامَلُ مُعامَلَةَ النَّظِيرِ، فاخِرةً بِرِجالِها، مُعْتَزَّةً بِأَشْبالِها.

---

٣ — سَعْدُ زَغلولٍ باشا

هُوَ الزَّعيمُ الجَليلُ، أَخْطَبُ خُطباءِ النَّهْضَةِ الحَدِيثةِ فى مِصْرَ، وأَفْصَحُ زُعَمائِها، وُلِدَ (بِإِبْيانَة) بِمُدِيرِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ سنة ١٨٥٩ م. وحَفِظَ القُرْآنَ الْكريمَ، وتعَلَّمَ مبادِئَ الْعُلومِ فى الجامِعِ الدُّسوقِيِّ؛ ثُمَّ قَدِمَ الأَزْهرَ، ودَرَسَ فيهِ مُدَّةً. وما لَبِثَ أَنْ ظَهرَت مَواهِبُهُ العَظِيمةُ الَّتى مَكَّنَتْه أن يكونَ من بَعْدُ كاتِبًا بليغًا، ومحامِيًا بارِعًا، وقانونِيًّا قَدِيرًا، ووَزِيرًا خَطِيرًا، وزَعِيمًا حَكِيمًا.

تَوَلَّى فى شَبابِه بَعْضَ الأَعْمالِ الْحكومِيَّةِ، ثمَّ أَخَذَ يَترَقَّى فى

الْمَناصِبِ حتَّى صارَ مُسْتَشارًا فى مَحْكَمَةِ الاُسْتِئْنافِ ، فَوَزِيرًا لِلْمَعارِفِ ، ثُمَّ وزِيرًا لِلْحَقَّانِيَّةِ . وقَدِ أُنْتُخِبَ نائِبًا « لِلْجَمْعِيَّةِ التَّشْرِيعِيَّةِ » ، فَاخْتَارَهُ الأَعْضاءِ وَكِيلاً لَهَا ، وكانَ صَوْتُه بِها أَرْفعَ الأصواتِ ، ورَأْيُه خَيرَ الآرَاءِ .



وفى سنةِ ١٩١٩م أُنْتُخِبَ رَئِيسًا لِلْوفْدِ المِصْرِىِّ ؛ فكانَ خَطِيبَه النَّاطِقَ ، وزَعِيمَهُ المِقْدامَ ؛ جَمعَ الْقُلوبَ حَوْلَهُ بِإِخْلاصِه وحِكْمَتِه ، وجَذبَ الأَفْئِدَةَ نحوَه بِبلاغَتِه وحُسنِ بيانِه ؛ فأَصْبَحَتْ مِصْرُ بِفَضْلِ مَسَاعِيهِ أُمَّةً مُتَّحِدَةً مُسْتَبْسِلَةً ، بَهَرت العالَمَ بِاتحادِها ، وثَباتِها فى جِهادِها . وما زَال يُجاهِدُ قَوِىَّ الإِيمانِ ، ثابتَ الْعَزْمِ ، صابرًا على الشَّدائد ؛ حتَّى اُخْتارَه اللهُ لِجوارِه فى سنة ١٩٢٧م . فاُهْتَزَّتْ أَرْجاءُ العالَمِ العرَبِىِّ لِفَقْدِه ، وشاطَرَتِ الأُمَمُ مِصرَ فى رِثائِه ، والإِشادَةِ بِذِكرِه .

ومن خُطْبَةٍ له بَعْدَ أن عَادَ من مَنْفاه :

« إنَّا نَشْكُرُ الْبِلادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَها وبعيدَها على حُلَّةِ الثِّقةِ الَّتى زَيَّنَتْنَا بها ، ونُقْسِمُ بالْوَطنِ وشعائِرِه الْمُقَدَّسةِ أَنَّنا لا نَدَّخِرُ شيْئاً من وُسْعِنَا فى تحقيقِ هذه الثِّقَةِ الْغَالِيةِ ، ولا نَتَحوَّلُ لَحْظَةً واحِدةً عَنِ الْغَرَضِ الذى وضَعْنَاه نُصْبَ أَعْيُنِنَا حتى نَصِلَ إِلَيه .

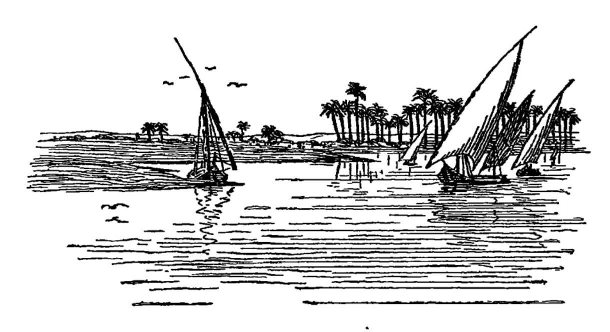
إِنَّا لَمْ نَعُدْ إِلاَّ لِنُقَوِّىَ عزائِمَنَا بعزائِمِ أَهْلِ وطَنِنا الْكِرَامِ ، ونَشُدَّ أَزْرَنا باتِّحادِهِم الْمَتِينِ ، ونَتَمَتَّعَ بِعَزْآهم بَعد طولِ الْغَيْبةِ . »

وقد عَرَفَتْ مِصْرُ لِسعدٍ فَضْلَه ، فَخَلَّدَتْ ذِكْرَه ، وكذلِكَ يُخَلِّدُ الْوَطنُ ذِكْرَى رِجالِهِ الْمُخْلِصِين .

---

٤ — النِّيــــل

نَهْرُ النِّيلِ من أَطْوَلِ أَنْهارِ الدُّنْيا ، وأَعْظَمِها نَفْعاً ، يَسْتَمِدُّ مَاءَهُ من الْأَمْطَارِ الَّتِي تَسْقُطُ فى مِنْطَقَةِ خَطِّ الاسْتِواء ، ويَزِيدُ ماؤُه كلَّ عامٍ بالْأَمْطَار الْغَزِيرَةِ الَّتى تَسْقُط على جبالِ الْحَبَشَةِ العَالِيةِ ، وتَأْتِى إِلَيْنَا مُحَمَّلَةً بالْغَرِينِ الَّذِى يُفيدُ الْأَرْضَ قُوَّةً وخِصْبا ، فَيَفْرَحُ الْمِصْرِيّون بِزِيادَتِه ، ويُقِيمون الزِّينات يَوْمَ وفائِه . وقَدْ أقامُوا



عَلَيه مَقايِيسَ تُبَيِّنُ زِيادَتَهُ ونَقْصَهُ ، منها مِقْياسُ الرَّوضَةِ المَعروفُ .

وتظهَرُ زِيادَةُ النِّيلِ فى مِصْرَ فى أَواخِرِ شهْرِ يُولْيَه ، وتَبْلُغُ مُنْتَهاها فى سِبْتمْبَر . وقد اهْتَمَّتِ الحكومةُ المِصْرِيَّه بِحِفْظِ مائِهِ ، وتَوْزِيعِهِ على الأَراضِى ، فَبَنَتْ خزَّاناتٍ يُدَّخَرُ فيها الماء وقْتَ الْفَيَضانِ ، وشَقَّتْ تُرَعاً تَمُدُّ الأَراضِىَ الزِّراعِيَّةَ بِمَا تَحْتَاجُ إِليه من المَاء بِطُرُقٍ مُنَظَّمَةٍ .

وكَانَ النِّيـلُ — قبْلَ إِنْشَاء الطرُقِ الحَدِيدِيَّةِ — أَعْظَمَ طَرِيقٍ لِلْمُوَاصلاتِ . وهُوَ صَالِحٌ لِسَيْرِ السُّفُنِ من مَصَبِّهِ إلى ما بَعْدَ أَسْوانَ ، ثُمَّ يَعْتَرِضُ فيه الشَّلَّالُ الأَوَّلُ فَلاَ يُمْكِنُ السَّيْرُ فيه . وبَعْدَ هذا الشَّلالِ تَسْهُلُ المِلاحَةُ فيه إِلى وادى حَلْفا .

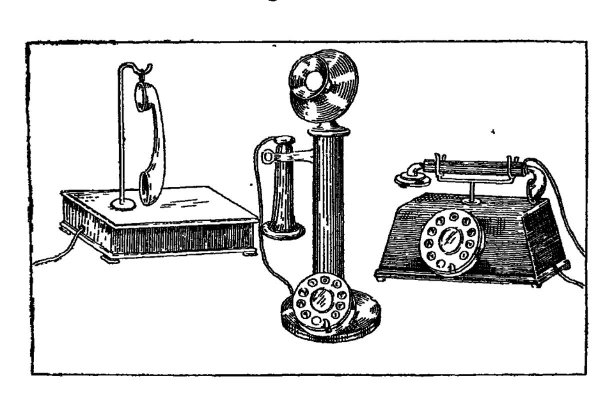
والمِلاحَةُ فى النِّيلِ أَرْخَصُ وسيلَةٍ لِنَقْلِ البضَائِعِ بين الجِهاتِ .



الَّتى على شَاطِئَيْهِ . ولا يزالُ طَرِيقاً نافِعاً من طُرُقِ الْمُوَاصَلاتِ الدَّاخِلِيَّةِ مع بُطْءِ السَّيْرِ فيه ؛ لِأَنَّ أَغْلَبَ السُّفُنِ الَّتى تَجْرِى به شِرَاعِيَّةٌ تَعْتَمِدُ فى سَيْرِها على الرِّيحِ وقُوَّةِ التَّيَّار . ويَسِيرُ فيه قَلِيلٌ من السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ التى تَحْمِلُ الْمسافِرِينَ ، أَو تَنْقُلُ الْقُطْنَ والْخَشَبَ وغَيْرَهما من السلَعِ .

ويُمْكِنُ تَرْقِيَةُ الْمِلاحَةِ فيه بِالْإِكْثَارِ من السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَحْجَامِ ، لِنَقْلِ التِّجارَاتِ ، وحَمْلِ الْمُسافِرِين من بَلَد إلى آخرَ ، وبإِقَامَةِ مَحَاطَّ مائِيَّةٍ على شَاطِئَيْهِ تُنارُ ليْلاً . ولاَ بُدَّ لذلك من تأْليفِ شَرِكَاتٍ مِصْرِيَّةٍ قَوِيَّةٍ لِلْمِلاَحَةِ النَّهْرِيَّةِ ، وبِذَا تَتَقَدَّمُ المِلاحَةُ فى مِصْرَ وتَرْقَى، وتَعْمُرُ البلادُ وتَروجُ تِجَارَتُها

٥ — المِسَرَّةُ



من أَفْضَلِ ما ابْتَكَرَتْهُ عُقُولُ الْمُفَكِّرِينَ ، وجَادَتْ بِهِ قَرَائِحُ الْمُخْتَرِعِينَ — الْمِسَرَّةُ ، وهى آلَةٌ صَغِيرَةُ الْحَجْمِ ، تُعَلَّقُ أَحْيَانًا على الْجُدْرَانِ . أَوْ تُوضَعُ على الْمَنَاضِدِ ، وتَتَّصِلُ بِأَسْلَاكٍ مُتَفَرِّعَةٍ عن مَرْكَزٍ عَامٍّ ، يَقُومُ عُمَّالُهُ بِإِعْدَادِ أَسْبَابِ الاِتِّصَالِ بَيْنَ الْمُتَخَاطِبِينَ .

ولِلْمِسَرَّةِ فَوَائِدُ جَلِيلَةٌ ؛ إِذْ يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ بِهَا مُخَاطَبَةَ مَنْ يَشَاءُ فى بَلْدَتِهِ أَوْ غَيْرِهَا من بِلَادِ الْمَمْلَكَةِ ، فى أَسْرَعِ وقْتٍ وبِأَجْرٍ زَهِيدٍ . وبذلك يُمْكِنُهُ قَضَاءُ مَصَالِحِهِ الْمُعَجَّلَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ قَضَاءَهَا من قَبْلُ إِلاَّ فى زَمَنٍ مَدِيدٍ : فَالتَّاجِرُ يَسْتَطِيعُ

مُخَاطَبَةَ مَحَالٍّ التِّجَارَةِ فى إِرْسَالِ مَا يَشَاءُ من أَنْوَاعِ الْبِضَاعَةِ . والْمُشْتَرِى — وهو جَالِسٌ فى بَيْتِهِ — يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَاطِبَ التَّاجِرَ لِيُرْسِلَ إِلَيْهِ مَطَالِبَهُ فَيُجَابَ طَلَبُهُ ، وتَصِلَ إِلَيْهِ حَاجَتُهُ . والْمَرِيضُ يَسْتَدْعِى الطَّبِيبَ فى أَىِّ وقتٍ شَاءَ من لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلى مَنْزِلِهِ ، أَوْ يَصِفُ مَرَضَهُ ، فَيَصِفُ لَهُ الدَّوَاءَ ، وكِلاَهُمَا فى مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْهُ . والْمُسَافِرُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَاطِبَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، والْقَائِمِينَ بِمَصَالِحِهِ ، وَيَتَعَرَّفَ مِنْهُمْ ما يُرِيدُ مَعْرِفَتَهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ بَيْنَهُمْ يُدِيرُ شُئُونَهُ بِنَفْسِهِ .

وهذه دُورُ الْحُكُومَةِ ومَصَالِحُها الْمُخْتَلِفَةُ لاَ تَخْلُو من الْمِسَرَّاتِ الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا على نَشْرِ الْأَمْنِ بَيْنَ الْأَهْلِينَ ، وضَبْطِ الْمُجْرِمِينَ الْفَارِّينَ ، وتَنْظِيمِ الْأَعْمَالِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي تَدْعُو الْحَالُ إِلَى سُرْعَةِ إِنْجَازِهَا .

وقَدِ انْتَشَرَتِ الْمِسَرَّاتُ فى أَنْحَاءِ الْقُطْرِ الْمِصْرِىِّ ، فَلاَ تَكَادُ تَجِدُ مَحَلَّ تِجَارَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ ، ولاَ مَشْرَبَ قَهْوَةٍ أَوْ فُنْدُقًا ، ولاَ حَانُوتًا أَوْ مَنْزِلَ ثَرِىٍّ — يَخْلُو مِنْهَا ؛ لِزَهَادَةِ أَجْرِهَا السَّنَوِىِّ وعِظَمِ أَثَرِهَا فى كُلِّ مَصَالِحِ الْحَيَاةِ .

ومُجْمَلُ الْقَوْلِ أَنَّ الْمِسَرَّةَ سِرٌّ من أَسْرَارِ الْكَهْرَبَا ، وآيَةٌ من آيَاتِ الْعِلْمِ الْعَظِيمَةِ النَّفْعِ ، يَقْصُرُ الْبَيَانُ عن عَدِّ فَوَائِدِهَا ، وإِدْرَاكِ مَزَايَاهَا . فَجَزَى اللهُ مُبْدِعَهَا عن الْإِنْسَانِيَّةِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى .

٦ ـ اَلْوَفَاءُ بِالْوَعْـــدِ

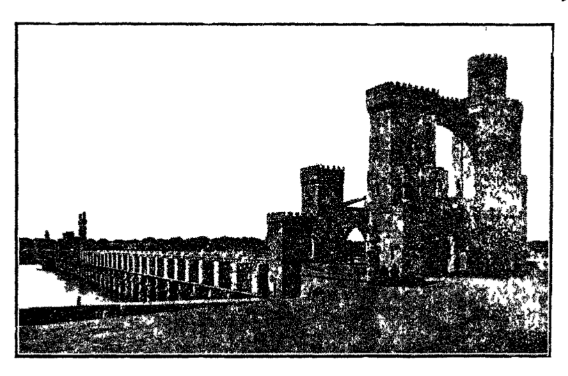
نَشَأَ إِبراهيمُ مُنْذُ الطُّفولَةِ كَسِيحاً ، لاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، ولا اللَّعِبَ مَع غَيْرِه من الأَطْفالِ ؛ فكانَ أَصْفَرَ اللَّوْنِ ، نَحيفَ الْجِسْمِ ، يَجْلِسُ أَمَامَ مَنْزِلِهِ عَلَى كُرْسِيٍّ ؛ لِيُسَلِّيَ نَفْسَهُ بِالنَّظَر إلى السَّابِلَةِ .

مَرَّ به ذاتَ يَوْمٍ غُلامٌ حَسَنُ الْهيْئَةِ ، اُسْمُهُ عَلِيٌّ ، فَلَمَّا رَآهُ جَالِسا عَلَى هذه الْحَالِ وقَفَ بِجانِبِهِ ، وأَخَذَ يَتَحَدَّثُ مَعَه وَيُسَلِّيه ، وقد تَأَلَّمَت نَفْسُه لِما أُصِيبَ بِه إِبْراهِيمُ ، فَقال لهُ : « سَأَسْأَلُ أبى يا إِبْراهيمُ أَنْ يَحْضُرَ بِسيَّارَتِه ، فَيأْخُذَكَ مَعنَا إلى الْقناطِرِ الْخَيْرِيَّةِ لِلاسْتِراضَةِ ، وَسَتسِيرُ بنا هذِه السَّيَّارَةُ فى طَرِيقٍ مُعَبَّدٍ ، عَلَى جَانِبَيْه أَشْجارٌ باسِقاتٌ ، يَتَفَيَّأُ فى ظِلالِها الْمَارُّون ، وَتَمْرَحُ عَلَى أَفْنَانِها الْعَصافِيرُ ، وَتُغَرِّدُ فَوْق أَغْصانِها الطُّيورُ . »

« وَسَتَرى الْفَلاَّحِينَ وَقَدْ شَمَّرُوا عَن سَوَاعِدِهِم : فهذا يَسْلُفُ الأَرْضَ ، وَذاكَ يُرْوِى الزَّرْعَ ، وذلك يَرْعَى الْماشِيَةَ . »

« وَإِذا بَلغَتْ بِنا السَّيَّارَةُ الْقَناطِرَ شاهَدْتَ حَدائِقَ جَمِيلَةً ، غُطِّيَتْ أَرْضُها بِالْعُشْبِ النَّضِيرِ ، وَفُرِشَتْ طُرُقُها بِرَمْلٍ ذَهَبِيٍّ ،

وَغُرِسَتْ على جَوَانِبِها أنْوَاعٌ شَتَّى من الأزْهارِ والرَّياحِين . »



القنــاطر الخيرية

« وَسَتَرَى هُنَالِكَ بِناءً فيه تُحَفٌ فَنِّيَّةٌ ، يَؤُمُّهُ الزَّائِرون ؛ لِيُشاهِدوا طُرُق الرَّيِّ بالقُطْرِ المِصْرِيِّ ، وَيَرَوْا نَماذِجَ مُخْتَلِفَةً لِلسُّدُودِ وَالْجُسورِ الَّتِي أُقِيمَتْ على نَهْرِ النِّيلِ السَّعيد . وَبَعْدَ ذلك نَعْبُرُ قناطرَ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ باشا الْمُحْكَمَةَ الصُّنْعِ ، الْجَمِيلَةَ الشَّكْلِ ، وَنَقْضِي يَوْمَنَا فِى سُرُورٍ ، نَتَنَسَّمُ النَّسِيمَ الْعَطِرَ ، وَالْهَواءَ الْعَلِيلَ . »

« سَمِعَ إِبْراهيمُ ذلك فَظَهَرَتْ على وَجْهِهِ علامَاتُ الْغِبْطَةِ وَالسُّرُور ، وقالَ : « شُكْرًا جَزِيلاً يا عَلِيُّ ؛ فَهذَا عَطْفٌ مِنْك ، وَسَأَسْتَأْذِنُ وَالِدَيَّ فى هذه الرِّحْلَةِ الْجَمِيلَةِ . »

ذَهَبَ إبْراهيم وَأَخْبَرَ أَبَوَيْهِ بما سَمِعَ مِنْ عَلِيٍّ ، وَرَجا مِنْهُمَا أَلاَّ يَحرِماه هذه النُّزْهةَ ، ولكنَّهُ لَبِثَ أيَّامًا يَنتَظِرُ ما وَعَدَ به ، وَيَترَقَّبُ قُدُومَ السَّيَّارةِ حَتَّى سَئِمَ الانْتِظارَ ، فَأَرْسَلَ إلى عَلِيٍّ خِطَابًا يُذَكِّرُهُ بِوَعْدِه ، فَأَسِفَ علىٌّ لِتأَخُّرِه ، وَذَهَبَ فى الْيَوْمِ التَّالِى مع أَبيه وَإِخوَتِهِ ، فأَخَذُوا إبراهيمَ مَعَهُم فى السَّيَّارةِ إلى الْقنَاطِرِ ، وَقضَوْا يَوْمَهُم فى نَعِيمٍ وَسُرُورٍ

---

٧ — أَيُّهَا الْعُمَّالُ



لِلْمَرْحُوم شَوْقى بك

أَيُّها الْعُمَّالُ ! أَفْنُوا الْـ ... عُمْرَ كَدًّا واكْتِسابَا

وَاعْمُرُوا الأَرْضَ فَلَوْلا ... سَعْيُكُمْ أَمْسَتْ يَبَابَا

* * *

إنَّ لِى نُصْحًا إلَيْكُمْ إنْ أَذِنْتُمْ وعِتَابَا
أيْنَ أنْتُمْ مِن جُدُودٍ خَلَّدُوا هذا التُّرابَا ؟

*
* *

أتقَنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى أخَذُوا الْخُلْدَ اغْتِصابَا
إنَّ لِلْمُتْقِنِ عِنْدَ اللّهِ والنَّاسِ ثَوَابَا
أتْقِنُوا يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ويَرْفَعْكُمْ جَنابَا

*
* *

أرَضِيتُمْ أنْ تُرَى مِصْرُ مِنَ الْفَنِّ خَرَابَا
بَعْدَ ما كَانَتْ سَمَاءً لِلصِّنَاعاتِ وغابَا ؟

*
* *

اُطْلُبُوا الْحَقَّ بِرِفْقٍ واجْعَلُوا الْوَاجِبَ دَابَا
واسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللّهُ لَكُمْ بابًا فَبابَا

*
* *

---

٨ — المُرُوءَةُ والنُّبْل

وقَعَتْ حَرْبٌ بين السُّويدِ والدَّنْمَرْكِ ، فَهُزِمَت السُّويدُ . وكانَ من جَرْحَى الْحَرْبِ جُنْدِيٌّ دِنْمَرْكِيٌّ ، تَمَكَّنَ من الْجُلوس ، وأَدْنَى

من فَمِهِ زُجاجَةً من الْمَاء لِيَشْرَب .



وَقَبْل أَنْ يَبْلُغَ الماءُ فَاه سَمِعَ صَوْتاً يَقول : « سَيِّدِى ، إِنِّى أَكادُ أَموتُ من شِدَّةِ الظَّمَإِ ، فَأَعْطِنى قَليلاً من الماء . » وكانَ ذلك صَوْتَ جَرِيحٍ من جَيْشِ السُّويدِ ، مُلْقًى على الأَرْضِ . فَزَحَفَ إِلَيهِ الدِّنِمَرْكِىُّ ، وَوَضَعَ الزُّجاجَةَ بَيْنَ شَفَتَيْهِ ، وقالَ : « إِشْرَبْ فَأَنْتَ أَحْوَجُ مِنِّى إلى الماء . » فَاتَّكَأَ السُّويدىُّ ، وأَخْرَجَ (مُسَدَّسَهُ) ، وأَطْلَقَ مِنْهُ رَصاصَةً على الدِّنِمَرْكِىِّ ، ولكنَّ الرَّصاصَةَ لَمْ تُصِبْ مِنْهُ مَقْتَلاً ، فقالَ لِهذا الغَادِرِ : « أَيُّهَا الشَّقِىُّ الْمُنْكِرُ لِلْجَميل ! أَهكذا يَكونُ جَزَاءُ الإِحْسانِ ؟ أُوثِرُكَ على نَفْسى ، فَتُكافِئنى بِالْقَتْلِ ! ! إِنَّكَ الآنَ جَديرٌ بِالْحِرْمانِ . لَقَدْ كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَمْنَحك

الماءَ كُلَّهُ ، أمَّا الآن فسَأُعْطِيكَ نِصْفَهُ فقَطْ . » وشَرِبَ نِصْفَ الماء ، وأَعْطَى السُّوَيْدِيَّ ما بَقِيَ مِنْهُ .

سَمِعَ مَلِكُ الدَّنْمَرْكِ هذه القِصَّةَ ، فَأَرْسَلَ إلى الْجُنْدِيِّ وطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَقُصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَه ، ثُمَّ سَأَله : « لِمَاذا تَرَكْتَ السُّوَيْدِيَّ حَيًّا بَعْدَ أَنْ حاوَلَ قَتْلَكَ ؟ » فقالَ الْجُنْدِيّ : « لَيْسَ منَ الشَّجاعَةِ يا مَوْلايَ أَنْ أَقْتُلَ عَدُوًّا جَرِيحًا »

فقالَ لهُ المَلِكُ : « إنَّكَ خَلِيقٌ بِأَنْ تَكُونَ نَبِيلاً . » وكافَأَهُ على مُرُوءَتهِ بِمَنْحِهِ وِسامَ النَّبالَةِ ؛ تَقْدِيرًا لِخُلُقِهِ الْكَرِيمِ ، ورُجولَتِهِ السَّامِيَةِ

---

٩ — مَسَامُّ الْجِسْمِ

هَلْ رَأَيْتَ الإِسْفَنْجَ الَّذِي يُسْتَخْرَجُ من الْبِحارِ ؟ وهَلْ شَاهَدْتَ تِلْكَ الثُّقُوبَ الظَّاهِرةَ على سَطْحِهِ ؟ إنَّ الْعُلَمَاءَ يُسَمُّونَ تِلْكَ الثُّقوبَ « الْمَسَامَّ » .

ولَعَلَّكَ تُلاحِظُ فى الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ ذَلِكَ الْعَرَقَ الذى يَتَصَبَّبُ مِنْ وجْهِكَ وجَمِيعِ أَجْزَاءِ جِسْمِكَ . فَمِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ هذا الْعَرَقُ ؟

إِنَّهُ يَخْرُجُ من الْجِسْمِ عن طَرِيقِ الْمَسَامِّ الَّتِي تَنْتَشِرُ فى جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْجِلْدِ، والَّتِي تُشْبِهُ مَسَامَّ الْإِسْفَنْجِ وَلَا تَخْتَلِفُ عَنْهَا إِلَّا فى حَجْمِهَا، فَهِيَ تَبْدُو صَغِيرَةً ضَيِّقَةً لَا يَكَادُ الإِنْسَانُ يَرَاهَا، ولٰكِنَّكَ تَكْشِفُهَا بِالْمِجْهَرِ.

هذه الْمَسَامُّ يَا بُنَيَّ تُخْرِجُ الْعَرَقَ من جِسْمِ الْإِنْسَانِ، وَلَوْ بَقِيَ الْعَرَقُ لَضَرَّ الْجِسْمَ ضَرَراً بَلِيغاً. ولَقَدْ حَدَثَ أَنْ أَقَامَتْ مَدِينَةُ (رُومَةَ) حَفْلًا عَظِيمًا دُعِيَ إِلَيْهِ عُظَمَاءُ الدُّوَلِ وكُبَرَاؤُهَا، لِتَمْثِيلِ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ، وقَدْ جِيءَ بِطِفْلٍ ذَهَبِيِّ الشَّعْرِ جَمِيلِ الْوَجْهِ. وكُسِيَ جِسْمُهُ طَبَقَةً رَقِيقَةً من الذَّهَبِ؛ لِيُمَثِّلَ مَدِينَةَ (رُومَةَ) فى الْعُصُورِ السَّابِقَةِ. ولَمَّا انْتَهَى الْحَفْلُ سَقَطَ الطِّفْلُ مَيِّتاً، فَأَقْبَلَ الْجَمْعُ نَحْوَهُ مُسْرِعِينَ، فَوَجَدُوهُ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ. لَعَلَّكَ عَرَفْتَ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ فى مَوْتِهِ الْفَجَائِيِّ.

إِنَّ الطَّبَقَةَ الرَّقِيقَةَ قَدْ سَدَّتْ مَسَامَّ الْجِسْمِ، وَلَمْ تَسْمَحْ لِلْعَرَقِ بِالْخُرُوجِ، والعَرَقُ يَحْتَوِي على مَوَادَّ سَامَّةٍ، فَكَانَتْ هذه الْمَوَادُّ سَبَبَ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ!

لِهٰذَا كَانَ وَاجِباً عَلَيْنَا أَنْ نُبْقِيَ تِلْكَ الْمَسَامَّ طَاهِرَةً، فَنُزِيلَ

كُلَّ مَا يَسُدُّهَا . ولَنْ نَسْتَطِيعَ ذلك إِلَّا إِذَا دَاوَمْنَا على غَسْلِ جِسْمِنَا بِالْمَاءِ والصَّابُونِ .

على أَنَّ تِلْكَ الْمَسَامَّ - يَا بُنَيَّ - تُخْرِجُ مَوَادَّ دُهْنِيَّةً ؛ لِتَسْتَمِرَّ بَشَرَةُ الْجِلْدِ لَيِّنَةً نَاعِمَةَ الْمَلْمَسِ ، ومُجَرَّدُ الاِسْتِحْمَامِ بِالْمَاءِ لَا يَكْفِي لإِزَالَةِ العَرَقِ والْمَوَادِّ الدُّهْنِيَّةِ ، بَلْ لَا بُدَّ من اسْتِعْمَالِ الصَّابُونِ

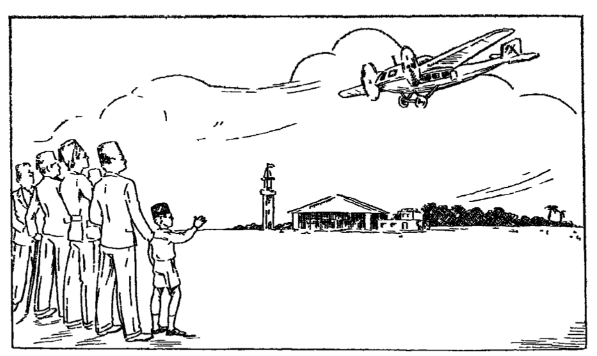
ولَوْ تَأَمَّلْتَ الْحَيَوَانَ لَرَأَيْتَهُ يُعْنَى بِنَظَافَةِ جِسْمِهِ ومَسْكَنِهِ ، ويَحْرِصُ على أَنْ يَكُونَ نَظِيفَ الْبَدَنِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ أَلَمْ تَرَ الْقِطَّةَ وهى تَخْلُو بِنَفْسِهَا ، ثُمَّ تُنَظِّفُ فَرْوَتَهَا النَّاعِمَةَ بِلِسَانِهَا الَّذِى يُشْبِهُ الْفِرْجَونَ فى خُشُونَتِهِ ؟ أَوِ الْبَقَرَةَ وقَدْ وقَفَتْ إِلى جَانِبِ ابْنَتِهَا تُنَظِّفُ جِسْمَهَا بِفَمِهَا ؛ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِذَلِكَ مُنْفَرِدَةً . ثُمَّ انْظُرْ إِلى النَّحْلَةِ وهى حَشَرَةٌ صَغِيرَةٌ لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ كَعَقْلِكَ ، إِنَّهَا تُعْنَى بِنَظَافَةِ خَلِيَّتِهَا وتَدْبِيرِ أَمْرِهَا ، لِتُخْرِجَ لَكَ عَسَلًا شَهِيًّا خَالِيًا من كُلِّ الْأَتْرِبَةِ والْأَوْسَاخِ ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ .

---

١٠ — مُسْتَقْبَلُ الطَّيَرَانِ

لَمْ يَدَعِ الْعُلَمَاءُ سَبِيلًا من سُبُلِ الْعِلْمِ إِلَّا سَلَكُوهُ ، ولَا طَرِيقًا

من طُرُقِ الْمَجْدِ إلاّ خطوْا فِيهِ خَطَواتٍ ، فَما وهَنُوا فى سَيْرِهِم ، ولا رَجَعُوا عن غَايَتِهِم ، حَتَّى أشْرَفُوا على الكَمَالِ ، وأَدْرَكُوا أبْعَدَ الغَايَاتِ .



أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ عَلَوْا فى جَوِّ السَّماءِ ، حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ بمُخْتَرَعاتِهم ، وَامْتَلأَ الْبَحْرُ بِفُنُونِهم ومَصْنُوعاتِهم ؟ لَقَدْ أرادُوا أَنْ يَسْتَعْمِرُوا الْجَوَّ كما عَمَروا الأرض ، فَلَمْ تَزَلْ أَفكارُهم تُرْشِدُهم ، حَتَّى شارَكوا الطُّيورَ ، ونَاهَضُوا النُّسُورَ بِطَيَّارَاتِهم ، وحَلَّقُوا مَعَها فى الْفضَاء ، فَاتَّخَذُوا فى الْهَوَاءِ سُبُلاً . تِلك آياتُ الْعُقُولِ الإنْسَانِيَّةِ ، وما يَجْحَدُها إلا الْجَاهِلُون .

أَصْبَحَ الطَّيرَانُ حَقِيقَةً واضِحَةً ، بَعْدَ أَن كَانَ وَهْمًا مَظْنُونًا ،

وصارَ الطَّيَّارُونَ يَتسابَقُونَ فى أَجْوَازِ الْفضَاءِ ، يَمْتَطُونَ الرِّيَاحَ فتَسِيرُ بِهِمْ سَيْرًا حَثِيثاً ، ويَعْلُون السُّحُبَ فلا يَجِدُون طَرِيقَهم شَاقًّا ، ويُضَاعِفُون قُدْرَةَ الْإِنْسان ، فَلا تَبْعُدُ عَلَيْهِمْ شُقَّةٌ ، ولا تَطُولُ بِهِم فُرْقَةٌ . يكونُ الطَّيَّارُون وَصَحْبُهم فى أَمْرِيكا الْيَوْم، فَإِذَا هُمْ بَعْد عَشَراتِ السَّاعَاتِ فى مَمَالِك أَوْرُبَّا ، يَنْزِلُونَ فى مَطارِها كما تَنزِلُ الطُّيُورُ فى أَوْكارِهَا .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، قَدْ وهَبْتَ الْإِنْسانَ من لَدُنْك فَضْلاً كَبِيرًا وعَلَّمْتَه مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَم ، وجَعَلْتَ بِيَدِهِ مَقالِيدَ الْأُمورِ وتَصْرِيفَهَا ، لِتَجْعَلَ من قُدْرَتِهِ الْمَحْدُودَةِ دَلِيلاً على قُدْرَتِكَ الْكَامِلَةِ ، فَلَعَلَّهُ بالِغٌ شُكْرَ نِعمِك ، مُعْتَرِفٌ بِجلائِلِ كَرَمِك . وسَخَّرْتَ لَهُ الْبَرَّ والْبَحْرَ ، ثُمَّ سَخَّرْتَ لَهُ الرِّيَاحَ تَنقُلُهُ من قُطْرٍ إِلى قُطْر ، فَتعالَى اللهُ عُلُوًّا كَبِيرا

ولَقَدْ نَافَسَتِ الطَّيارات الآنَ وسَائِلَ الْمُوَاصَلاَتِ الْأُخْرَى ، من قُطُرٍ بُخَارِيَّةٍ ، وسُفُنٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَأَعانَتِ الْجُيوشَ ، وكَشَفَتْ مَجَاهِلَ الْأَرْضِ ، ونَقَلَتِ الْمسافِرِين ، وحَمَلَتِ الْبَرِيدَ ، فَوَفَّرَتْ لِلنَّاسِ رَاحَتَهم ونَفِيسَ أَوْقَاتِهم ، وبَلَغَتْ بِهِم ما لَمْ يَكُونوا بالِغِيه إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ .

وقَدْ غَدَتْ مِصْرُ أَسْعَدَ حَظًّا ، وأَوْفَرَ شَرَفًا ، بِمَنْ نَبَغُوا من شَبَابِها فى فَنِّ الطَّيَرَانِ ، فَجَرَوْا فِيهِ إلى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ ، ونَالُوا أَكْبَرَ الْمَفَاخِرِ ، وبَعَثُوا فى نُفُوسِ الشُّبَّانِ رَغْبَةً فى الْإِقْدَامِ ، ومَضَاءً فى الْعَزِيمَةِ ، فَتَبِعُوا أَثَرَهُمْ ، ونَهَجُوا سبِيلَهُمْ ، ووصَلوا تَالِدَ مَجْدِهِمْ بِطَارِفٍ أَعَادَ إلى الْكِنَانَةِ عِزًّا مَوْفُورًا ، وذِكْرًا مَنْشُورًا .

وبعدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَ الطَّيرانُ فى هذا الْعَصْر مَنْزِلَةً تَغْبِطُهُ بِهَا الْعُصُورُ الْخَالِيَةُ ، وصَار الْعَالَمُ الْيَوْمَ غَيْرَ عَالِمَ الْأَمْسِ ، ولاَ يَدْرِى أَمْرَ غَدٍ إلاَّ اللهُ ، (ويَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُون) .

---

١١ — الْقُطْرُ الْمِصْرِىُّ

مِصْرُ وطَنُنَا الْمَحْبُوبُ، مِنْ أَجْمَل بِلادِ الْعَالَمَ وأَخْصَبِهـا . هى فى الشَّمالِ الشَّرْقِيِّ مِن قَارَّةِ إِفْرِيقِيَّةَ ، ويَتْبَعُها جزيرةُ سِيناء ، وعِدَّةُ جُزُرٍ فِى الْبَحْرِ الْأَحْمَر .

وتَبْلُغُ مِسَاحَةُ مِصْرَ نحو مليون (كيلومتر مربع) . من ذلك اثْنانِ وثلاثون أَلْفا صَالِحَةٌ لِلزِّراعَةِ ، يَسْكُنُها النَّاسُ ويُقِيمُونَ فِيها ،



وما عَداهَا صَحارَى، يَسْكُنُها قَليلٌ من الْأَعْرابِ الرُّحَّلِ . وقَدْ بلَغَ عَدَدُ السُّكَّانِ فى سَنَةِ سَبْعٍ وثلاثِينَ وتِسْعِمائةٍ وأَلْفٍ من التَّاريخ الْمِيلادىِّ نَحْوَ ستَّةَ عشرَ (مِليونًا) .

وعاصِمَةُ الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ مَدينَةُ الْقاهِرَةِ ، وهِىَ أَجْمَلُ الْمُدُنِ فى إِفْرِيقِيَّةَ ، وأَعْظَمُها حضَارَةً وعِمَارَةً .

ويُرْوِى أَرْضَ مِصْرَ نَهْرُ النِّيلِ السَّعِيدِ . وهُوَ مِنْ أَطْوَلِ أَنْهارِ الدُّنْيا وأَعْذَبِها مَاءً .

ويُحِيط بِوَادِى النِّيلِ صَحْرَاوَانِ عَظِيمَتانِ . صَحْرَاء ليبْيا فِى الْغَرْبِ ، وَصَحْراءُ الْعَرَبِ فى الشَّرْقِ . وفى الْأُولى مِنْهُما بِقَاعٌ خِصْبَةٌ تُسَمَّى « الْوَاحَاتِ » . وفِى الثَّانِيَةِ معادِنُ تَعْمَلُ الْحُكُومَةُ وبَعْضُ الشَّرِكَاتِ عَلَى اسْتِخْراجِ مَا فيها ، وأَهَمُّها زَيْتُ النِّفْطِ « الْبِتْرُول » .

ويَعْتَمِد سُكَّانُ وادِى النِّيلِ فى مَعِيشَتِهِمْ على الزِّراعَةِ ، ثُمَّ على أَنْواعٍ من التِّجَارَةِ والصِّناعَةِ ، ويَسْتَعِينُون فِى أَكْثَرِ صِناعاتِهِم بِما تُنْبِتُهُ أَرْضُهم وما يَعِيشُ فِيها مِن الْحَيَوانِ ؛ فَمِنْ ذلك نَسْجُ الْقُطْنِ والْكَتَّانِ ، وإِخْراجُ الزُّبْدِ والْجُبْنِ من الْأَلْبان ، وصُنْعُ الْأَحْذِيَةِ والْأَثاثِ الْمَنْزِلِىِّ ، وطَحْنُ الْحُبوب وحَلْجُ الْقُطْنِ وتَبْيِيضُ الْأَرْز .

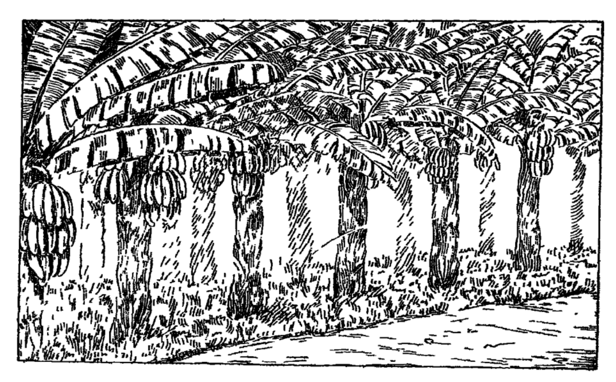
ويَقْطُن مِصْرَ كَثِيرٌ مِنْ أَبْناء الْأُمَمِ الْغَرْبِيَّةِ والشَّرْقِيَّة ، فَيَجْنُون من خَيْراتِها ، ويَتَمَتَّعون فيها بِعَيْشٍ رَغَدٍ ، وحَياة سَعِيدَةٍ . ومِنْهم مَنْ يَتَّخِذُها وَطَناً ويَخْتارُها لِأَبْنائِه سَكَناً .

---

١٢ — الْمَوْزُ وفائِدَته

الْمَوْزُ من أَكْثَرِ الْفَوَاكِهِ فائِدَةً . ويَنْمو شَجَرُه بِكَثْرَةٍ فى

الْمِنْطَقَةِ الْحَارَّةِ ، وما يَليها من الْمِنْطَقَتَيْنِ الْمُعْتَدِلَتَيْنِ .



وتَتَكَوَّنُ ساقُهُ من جُمْلَةِ أَوْرَاقٍ يَلْتَفُّ بَعْضُها على بَعْضٍ ، ويَخْتَلِفُ ارْتِفاعُهُ — من (مِتْرٍ) ونِصْفِ (متر) إلى تِسْعَةِ (أَمْتار) — بِاخْتِلافِ أَنْوَاعِهِ . ومن جِذْرِ هذه السَّاقِ تَنْشَأُ سِيقانٌ صَغيرَةٌ .

وتَكونُ ثِمَارُ الْمَوْزِ عَرَاجِينَ ، فى كُلٍّ مِنْها شِمْرَاخٌ طَويلٌ ، فى رَأْسِهِ أَوْرَاقٌ حَمْرَاءُ مُلْتَفَّةٌ ، تَنْمو حَوْلَهَا أَصابِعُ الْمَوْزِ طَبقاتٍ مُتَوالِيَةً مُتَراكِبَةً .

وتَخْتَلِفُ ثِمَارُ الْمَوْزِ بَعْدَ نُضْجِها فى الطُّولِ واللَّوْنِ والطعْمِ — بِاخْتِلافِ الْأَنْواعِ . وأَكْثَرُ ما يُزْرَعُ الْمَوْزُ بِمِصْرَ فى شَمالِيِّ (الدِّلْتا) ، بِقُرْبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ودِمْياطَ ورَشيدَ .

وقَد اُهْتَمَّ الزُّرَّاعُ بِالإِكْثَارِ من زِرَاعَةِ الْمَوْزِ الْهِنْدِيِّ ، وهُوَ أَحْسَنُ الأَنْوَاعِ الَّتى تَجودُ زِرَاعَتُهَا بِمِصْرَ الآن ، ويَطُولُ شَجَرُه إلى (مِتْرَيْن) ونِصْفِ (مترٍ) تَقْرِيباً . وساقُهُ غَلِيظَةٌ قَصِيرَةٌ ، ويُغِلُّ مَحْصولاً وافِرًا ، وتَبْقَى فاكِهَتُهُ زَمَنًا طَوِيلاً دونَ أَنْ تَتْلَفَ ، وهِيَ جَيِّدَةُ الطَّعْمِ ، ذَكِيَّةُ الرَّائِحَةِ .

ومن الْأَنْوَاعِ الكَثِيرَةِ بِمِصْرَ الْمَوْزُ الْبَلَدِيُّ ، وتَرْتَفِعُ أَشْجارُه إلى أَرْبَعَةِ (أَمْتَارٍ) ونِصْف (متر) تقريباً ، وثِمارُه أَقْصَرُ قليلاً من ثِمارِ الهِنْدِيِّ ، ومَحْصولُهُ أَقَلُّ .

وتُؤْكَلُ ثِمارُ الْمَوْزِ فى جَمِيعِ فُصُولِ السَّنَةِ ، ولكِنَّها تَكونُ أَجْمَلَ لَوْنًا ، وأَلَذَّ طَعْماً ، وأَطْيَبَ رَائِحَةً — فى آخِرِ فَصْلِ الصَّيْف ، وفى فَصْلِ الرَّبيعِ .

والْمَوْزُ من الْفَواكِهِ الْمُغَذِّيَةِ الْمُفيدَةِ لِلْجِسْمِ ، الْمُجَدِّدَةِ لِلدَّمِ . ويَتَغذَّى النَّاسُ بِهِ فى بَعْضِ الْبِلادِ الْحَارَّة ؛ يُجَفِّفُونَهُ ويَصْنَعونَ مِنْهُ دَقِيقاً يَتَّخِذونَ مِنْهُ خُبْزَهُمْ .

---

١٣ — مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ

مَكَّةُ هِيَ الْمَدينَةُ الْمُبارَكَةُ ، الَّتى فِيها الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ . وُلِدَ بِها

رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، وعَاشَ فِيها حتَّى هاجَرَ إلى الْمَدِينَةِ . وتَبْعُدُ عَنِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ خَمْسةً وأَرْبَعِين (مِيلاً) إلى الشَّرْق ، ومِينَاؤُها جُدَّة ، يَنْزِلُ بِها الْحُجَّاجُ الْمُسَافِرُون فى الْبَحْرِ .

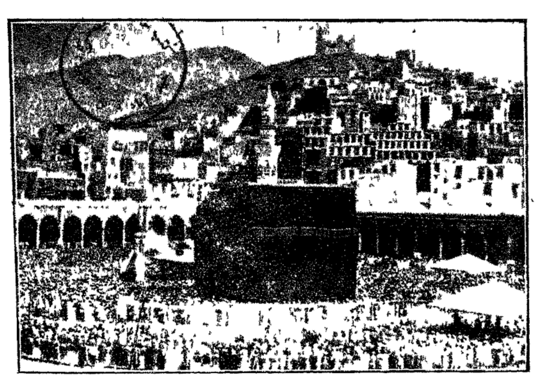
وهِى فى وَادٍ بَيْنَ جَبَلِ (أَبِى قُبَيْسٍ) فى الشَّرْق ، وجَبَلِ (قُعَيْقِعان) فى الْغَرْب . وهذا الْوَادِى هُوَ الْمُرادُ بِقَوْلِ اللهِ تعالَى حِكَايَةً عن إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلام :

« رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِك الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ . »

ويَمُرُّ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ طَرِيقَان تِجارِيَّان ، كانَتْ تَسْلُكُهما قَوَافِلُ التِّجارَةِ الْمُتَرَدِّدَةُ بَيْنَ الشَّامِ والْيَمَن . ويَعِيشُ أَهْلُها الآنَ على التِّجارَةِ الَّتى تَنْفُقُ فى مَوْسِمِ الْحَجِّ ، حِينَ يَأْتِى الْمُسْلِمون مِنَ الْأَقْطارِ الْإِسْلامِيَّةِ ، ويَلْبَثونَ بِها زَمَناً يُنْفِقونَ فيهِ أَمْوالاً كَثِيرة ، ويَرْجِعونَ إِلى دِيارِهِمْ بِمَا يَشْتَرُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ ، ومَا يُهْدُونَه لِأَصْدِقَائِهِم .

وتُجْلَبُ الْمِيَاهُ إِلى مَكَّةَ من مَسافةٍ بَعِيدَةٍ ، فى قَنَاةٍ تُسَمَّى « عَيْنَ زُبَيْدَة » ، أَمَرَتْ بِشَقِّها زُبَيْدَةُ زَوْجُ هرون الرَّشِيد ، وتُوُفِّيَتْ بَعْدَ أَنْ بَلَغَت الْقَنَاةُ

جَبَل «عرَفاتٍ». ثُمَّ أَمَرَتْ بِإِتْمامِها من بَعْدُ بِنْتُ السُّلْطانِ سُلَيْمانَ القانونى.



منظر الكعبة ، والمسلمون يحيطون بها

وفى وَسَطِ مَكَّةَ « الْكَعْبَةُ الْمُكَرَّمَة » ، وهىَ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِين فى الصَّلاة ، وإِلَيْها يَحُجُّونَ ، وبِها يَطُوفون .

وحَوْلَ الْكَعْبَةِ مَسْجِدٌ عظيمٌ يُسَمَّى « الْمَسْجِدَ الْحَرام » ، عُنِىَ الْمُسْلِمون فى كُلِّ الْعُصُور بِعِمارَتِهِ وتَزْيِينِه .

وتُرْسِلُ مِصرُ كُلَّ عامٍ كُسْوَةً لِلْكَعْبَة ، وتَحْتَفِلُ الْحُكومَةُ والْأُمَّة بِإِخْراجِها فى يَوْمٍ مَشْهُود .

وحَوْلَ مَكَّةَ أَرْضٌ واسِعَةٌ ، لَها حُدودٌ مُعَيَّنَةٌ ، تُسَمَّى « الْحَرَم » .

وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ فِيهِ الْقِتَالَ ، وصَيْدَ الْحَيَوَانِ ، وقَطْعَ الْأَشْجار ، وجَعَلَهُ دارَ أَمْنٍ وسَلام .

---

١٤ — واجب المصرى

قال المرحوم شوقى بك المتوفى سنة ١٩٣٢ يخاطب المصريين :

إِنَّمَا مِصْرُ إِلَيْكُمْ وبِكُمْ وحُقُوقُ الْبِرِّ أَوْلَى بِالْقَضَاءْ
عَصْرُكُمْ حُرٌّ ومُسْتَقْبَلُكُمْ فى يَمِينِ اللهِ خَيْرِ الْأُمَنَاءْ
لاَ تَقُولُوا حَطَّنَا الدَّهْرُ فَمَا هُوَ إِلاَّ من خَيَالِ الشُّعَرَاءْ
هَلْ عَلِمْتُمْ أُمَّةً فى جَهْلِهَا ظَهَرَتْ فى الْمَجْدِ حَسْنَاءَ الرِّدَاءْ

***

فَخُذُوا الْعِلْمَ على أَعْلاَمِهِ واطْلُبُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ الْحُكَمَاءْ
واقْرَءُوا تَارِيخَكُمْ واحْتَفِظُوا بِفَصِيحٍ جاءَكُمْ من فُصَحَاءْ
واحْكُمُوا الدُّنْيَا بِسُلْطَانٍ فَمَا خُلِقَتْ نَضْرَتُهَا لِلضُّعَفَاءْ
واطْلُبُوا الْمَجْدَ على الْأَرْضِ فَإِنْ هِىَ ضَاقَتْ فَاطْلُبُوهُ فى السَّمَاءْ

١٥ — الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ

هو أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمُجْتَهِدِين وُلِدَ بِغَزَّةَ، سنة خمسين ومائة من الهجرة، ونَشَأَ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، وكانَ نادِرَةً فى الذَّكاءِ والْحِفْظِ؛ حفِظَ القُرآنَ الكَرِيمَ وهُو ابْنُ سَبْعِ سنِين، ثُمَّ أَخَذَ فى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ والشِّعْرِ، ورَحلَ إلى الْبَادِيَةِ فى طَلَبِها، وما زَالَ يَطْلُبُها إلى أَنْ صارَ حُجَّةً فِيها.

ونَبَغَ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ فى الْفِقْهِ؛ فكانَتْ لَهُ فِيه آرَاءٌ سَدِيدَةٌ، حَتَّى أَفْتَى وهُو ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. وذَهَبَ إلى الْمَدِينةِ، وتَلَقَّى الْحَدِيثَ عن الإمامِ مالِك، فَأُعْجِبَ بِذَكائِهِ وحِفْظِهِ، وقالَ: «إِنْ يَكُنْ أَحَدٌ يُفْلِحُ فَهٰذا الغلام.»

ولَمَّا عادَ مِنَ الْمَدِينَةِ إلى مَكَّةَ تَوَلَّى تَدْرِيسَ الْعَرَبِيَّةِ والْفِقْهِ زَمَنًا. وفِى سنة خمسٍ وتِسْعِينَ ومِائة من الهِجْرَةِ، سافَرَ إلى بَغْدادَ أَيَّامَ الرَّشِيد، فَرَحَّبَ بِهِ عُلَمَاؤُها. وأَقْبَلوا عَلَيْه يَأْخُذُونَ عَنْهُ الْعِلْمَ

وفى سنة ١٩٩ هـ ذَهَبَ إلى مِصْرَ، ونَزَلَ الْفُسْطاطَ وأَقامَ بها، وتَوَلَّى التَّدْرِيسَ بِجَامِعِ عَمْرٍو، وأَمْلَى على تَلامِيذِه مَذْهَبَهُ فى الْفِقْهِ الإِسْلامِيِّ.

ولمْ يَزَلْ يَمْلأُ البِلادَ عِلماً حَتَّى اخْتَارَهُ اللهُ لِجوَارِه سنة ٢٠٤ هـ . وقَبْرُه بِمِصْرَ مَعْرُوفٌ ، لا يَكادُ يَخْلُو من الزَّائِرِين .

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْه من أَعْلَمِ أَهْلِ زمَانِه بِكِتَابِ اللهِ ، وسُنَّةِ رَسُوله ، وأقوالِ الصَّحَابة وآثارهم ، ومِنْ أَعْرَفِهِمْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وأَكْثَرُ الْمُسْلِمِين بِمِصرَ وما جَاوَرَها يَتَمَسَّكون بِمَذْهَبِهِ فى الْعِبادَاتِ والْمُعامَلات .

١٦ — سِيَاسَةُ الرَّعِيَّةِ

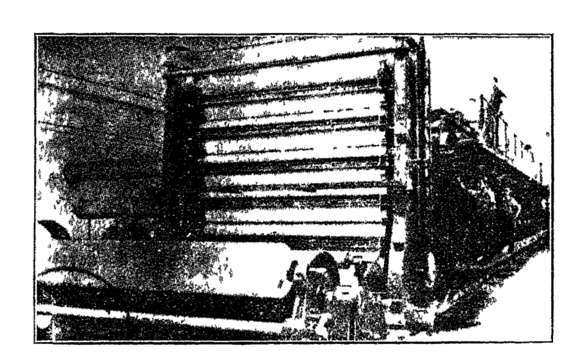
من خُطبَةٍ لِسَيِّدِنا أَبِى بَكْرٍ

بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْه قال :

أَيُّهَا النَّاسُ ! « إِنِّى وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ ولَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونِى على حَقٍّ فَأَعِينُونِى ، وإِنْ رَأَيْتُمُونِى على بَاطِلٍ فَسَدِّدُونِى . أَطِيعُونِى مَا أَطَعْتُ اللهَ فِيكُمْ ، فَإِنْ عَصَيْتُهُ فَلاَ طَاعَةَ لِى عَلَيْكُمْ . »

« أَلاَ إِنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِى الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وأَضْعَفَكُمْ عِنْدِى الْقَوِىُّ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . أَقُولُ قَوْلِى هذا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِى ولَكُمْ . »

١٧ — اَلْوَرَق



آلة للف الورق وضغطه وتسويته وتجميعه

— ١ —

كَانَتْ صِنَاعَةُ الْوَرَقِ رَائِجَةً لَدَى الصِّينِيِّينَ مُنْذُ الْقَرْنِ الثَّانِى قَبْلَ الْمِيلَادِ ، ولَمْ تُعْرَفْ لِغَيْرِهِمْ من الْأُمَمِ إلاَّ فى الْقَرْنِ الثَّامِنِ بَعْدَ الْمِيلَادِ ، فَبَقِيَتْ سِرًّا من أَسْرَارِهِمْ ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ أَكْثَرَ من تِسْعَةِ قُرُونٍ .

وقَدْ نُقِلَتْ هذه الصِّنَاعَةُ من الصِّينِ إلى غَرْبِىِّ آسيا ، ثُمَّ إلى أورُبَّا — على أَيْدِى الْعَرَبِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ الشَّرْقِيَّةَ ،

حَتَّى وصَلُوا إلى سَمَرْقَنْدَ ، بِالتُّرْكِسْتَانِ الصِّينِيَّةِ ؛ فَهُنَالِكَ اخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ بِالصِّينِيِّينَ ، وأَخَذُوا عَنْهُمْ هذه الصِّنَاعَةَ ، ونَشَرُوهَا فى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ فى الشَّرْق . وقَد انْتَشَرَ الْوَرَقُ بِبِلَادِ الْيُونَانِ فى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ بَعْدَ الْمِيلَادِ ، وكَانَ ذلك بِسَبَبِ صِلَتِهِمُ التِّجَارِيَّة بِسكَّانِ آسيا الإِسْلَامِيَّةِ .

وكَانَ الْعَرَبُ فى الْأَنْدَلُسِ يَصْنَعُونَ الْوَرَقَ، ويَنْشُرُونَهُ فى غَرْبِيِّ أَوْرُبَّا ، ولَمَّا احْتَلُّوا جَزِيرَةَ صِقِلِّيَةَ رَوَّجُوا بِهَا صِنَاعَةَ الْوَرَقِ ، وعَنْهُمْ أَخَذَهَا الإِيطَالِيُّونَ وغَيْرُهُمْ من الْأَوْرُبِّيِّينَ ، وصَارَتْ إِيطاليا مَرْكَزاً عَظِيمًا لَهَا .

ويَمْتَازُ الْوَرَقُ الْعَرَبِيُّ بِأَنَّهُ مَصْقُولٌ غَلِيظٌ ، وكَانَ يُظَنُّ أَنَّ الْعَرَبَ يَصْنَعُونَهُ من الْقُطْنِ ، فى حِينِ أَنَّ الْأَوْرُبِّيِّينَ كَانُوا يَصْنَعُونَهُ من الْخِرَقِ الْبَالِيَةِ ، ولَكِنَّ التَّجَارِبَ قَدْ أَثْبَتَتْ أَنَّ الْعَرَبَ اتَّخَذُوا ورَقَهُمْ من التِّيلِ والْكَتَّانِ، وكذلك من الْخِرَقِ الْبَالِيَةِ . ولَمَّا اشْتَدَّ الإِقْبَالُ عَلَيْهِ كَانُوا يَصْنَعُونَهُ من لِيفِ النَّبَاتِ ، ولَمْ يَكونُوا يَصْنَعُونَهُ من الْقُطْنِ إِلَّا نَادِرًا .

— ٢ —

وكَانَ الْوَرَقُ يُصْنَعُ بِالْيَدِ فَقَطْ ، كُلُّ ورقَةٍ مِنْـهُ على حِدَةٍ . وفى سنة ١٧٩٨ بَعْدَ الْمِيلَادِ اخْتَرَعَ «لُويس رُوبَرْتُ» الْفَرَنْسِيُّ آلَةً لِصُنْعِ الْوَرَقِ ، فَأَخَذَتْ صِنَاعَتُهُ بِالْيَدِ تَضْمَحِلُّ ، حَتَّى كَادَتْ تَنْقَرِضُ ، وَلاَ يُلْجَأُ إِلَيْهَا إِلاَّ فى حَالاَتٍ قَلِيلَةٍ : كَصُنْعِ ورَقِ النَّقْدِ ، وورَقِ الرَّسْمِ ، وغَيْرِهَا من الْأَوْرَاقِ الَّتِي يُرَادُ بَقَاؤُهَا زَمَنًا طَوِيلًا .

وتُدَارُ الآلاَتُ الَّتِي تَصْنَعُ الْوَرَقَ بِالْبُخَارِ أو الْكَهْرَبَا ، ولاَ يَسْتَغْرِقُ صُنْعُهُ بهذه الْوَسِيلَةِ إلاَّ بِضْعَ دَقَائِقَ ، ولاَ يُكَلِّفُ إِلاَّ نَفَقَاتٍ قَلِيلَةً ، ولِذَا كَانَ من الْمُمْكِنِ الْحُصُولُ عَلَيْهِ بِأَثْمَانٍ زَهِيدَةٍ . ولَو اعْتُمِدَ على الْأَيْدِى فى صُنْعِ ورَقِ الْكِتَابَةِ لَكَثُرَتْ نفقَاتُهُ ، وقَلَّ الْمَصْنُوعُ مِنْهُ ، وارْتَفَعَتْ أَسْعَارُهُ .

وتُجْعَلُ الْمَادَّةُ الَّتِي يُصْنَعُ مِنْهَا الْوَرَقُ عَجِينَةً بَيْضَاءَ ، أَوْ مُلَوَّنَةً بِاللَّوْنِ الْمُرَادِ ، ثُمَّ تُوضَعُ فى قَوَالِبَ كَيْ تَصِيرَ أَوْرَاقًا بِالْمِسَاحَةِ والْحَجْمِ الْمَطْلُوبَيْنِ .

فَإِذَا أُرِيدَ عَمَلُ الْوَرَقِ من الْخِرَقِ الْبَالِيَـةِ مَثَلًا — وجَبَ أَنْ تُنَظَّفَ مِمَّا عَلِقَ بِهَا من التراب ، وتُغْلَى بِالْمَاءِ لِيَخْرُجَ مَا فِيهَا من الْمَوَادِّ الْغَرِيبَةِ اللَّزِجَةِ ، ثُمَّ تُقَطَّعَ وتُمَزَّقَ وتُلَتَّ ، ويُمْزَجَ بَعْضُهَا

بِبَعْضٍ ، وتُضَافَ إِلَيْهَا الْمَادَّةُ الْمُلَوِّنَة ، وبذلك كُلِّهِ تَصِيرُ عَجِينَة يُعْمَلُ مِنْهَا الْوَرَقُ بِالْيَدِ أَوْ بالآلاتِ .

٣

ولَا يَجْهَلُ أَحَدُنَا مَا لِلْوَرَقِ من فَوَائِدَ ؛ فَعَلَيْهِ نَكْتُبُ ونَرْسُمُ وفِيهِ نَقْرَأُ ، وبِمَعُونَتِهِ نَتَعَلَّمُ ونُعَلِّمُ غَيْرَنَا . وهو الَّذِى يُسَهِّلُ طَبْعَ الْكُتُبِ والصُّحُفِ والْمَجلاَّتِ ، ويُسَاعِدُ على نَشْرِ الثَّقَافَةِ بَيْنَ طَبَقَاتِ الشَّعْبِ ، ونَقْلِ الْمَعَارِفِ من جِيلٍ إِلى آخَرَ ، ومنْ عَصْرٍ إِلى عَصْرٍ . ولَوْلَاهُ لَكَانَ من الصَّعْبِ التَّخَاطُبُ بَيْنَ الْأَفْرَادِ والْجَمَاعَاتِ والدُّوَلِ .

ولقد افْتَنَّ النَّاسُ فى عَصْرِنَا هذا فى الانْتِفَاعِ بِالْوَرَقِ ، فَاتَّخَذُوا مِنْهُ الْأَكْوَابَ والْأَطْبَاقَ ، والْفُوَطَ والْمَنَادِيلَ ، والْأَكْيَاسَ والْعُلَبَ الَّتِي تُوضَعُ فِيهَا السِّلَعُ وصُنُوفُ الْحَلْوَى ؛ لِيَسْهُلَ حَمْلُهَا ونَقْلُهَا من مَكَانٍ إِلى آخَرَ .

وقَدْ أَصْبَحَ من المَيْسُورِ تَقْوِيَة الْوَرَقِ لِدَرَجَةٍ تُقَرِّبُهُ من الْخَشَبِ الْخَفِيفِ وتَجْعَلُهُ صَالِحًا لِلاسْتِعْمَالِ فى بِنَاءِ الْبُيُوتِ ، ومَرَاكِبِ السِّكَكِ الْحَدِيدِيَّةِ .

ولقدْ نبَغَ اليَابَانِيُّونَ فى صِنَاعَةِ الْوَرَقِ على اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ ، ومَهَرُوا فى الانْتِفَاعِ بِهِ ، حَتَّى اتَّخَذُوا مِنْهُ بُيُوتاً يَسْكُنُونَهَا ؛ ومِظَلاَّتٍ يَتفَيَّئُونَ فى ظِلاَلِهَا .

وكَمَا أَمْكَنَ تَغْلِيظُ الْوَرَقِ وتَقْوِيَتُهُ كذلكَ أَمْكَنَ تَرْقِيقُهُ إلى أَقْصَى حَدٍّ مُمْكِنٍ ، وجَعْلُهُ شَفَّافاً يَقْرُبُ من الزُّجَاجِ ، ونَقْشُهُ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وتَزْيِينُهُ بزِينَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَكسُونَ جُدْرَانَ حُجُرَاتِهِمْ وسُقُوفَهَا ورَقاً مُزَخْرَفاً ؛ فَيُكْسِبُهَا رَوْنَقاً وجَمَالاً .

---

١٨ — الرَّحْمَةُ

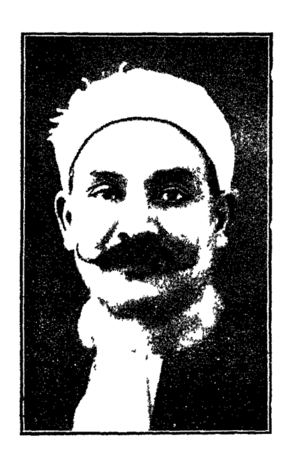
لِلْمَرْحوم السَّيِّد مُصْطَفَى الْمَنْفَلوطى المتوفى سنة ١٩٢٤ م

لَوْ تَرَاحَمَ النَّاسُ ما كانَ بَيْنَهُمْ جائِعٌ ولا عَارٍ ، ولا مَغْبونٌ ولا مَهْضومٌ ، ولَأَقْفَرَتِ الْجُفونُ منَ الْمَدَامِعِ ، ولَاطْمَأَنَّتِ الْجُنوبُ فى الْمَضَاجِعِ ، ولَمَحَتِ الرَّحْمَةُ الشَّقَاءَ من الْمُجْتَمَعِ ، كما يَمْحُو لِسانُ الصُّبْحِ مِدادَ الظَّلامِ .

اِرْحَمِ الْحَيَوَانَ ؛ لِأَنَّهُ يُحِسُّ كما تُحِسُّ ، ويَتَأَلَّمُ كما تَتَأَلَّمُ ، ويَبْكِى

بِغَيْرِ دُموعٍ ، ويَتَوَجَّعُ ولا يَكادُ يُبِينُ

اِرْحَم الطَّيْرَ ؛ لا تَحْبِسْها فى أَقْفاصِها ، ودَعْها تَهيمُ فى فَضائِها حَيْثُ تَشاءُ ؛ وتَقَعُ حَيْثُ يَطيبُ لها التَّغْريدُ والتَّنْقيرُ . أَطْلِقْ سَبيلَها ، وأَطْلِقْ سَمْعَكَ وبَصَرَكَ وراءَها ؛ لِتَسْمَعَ تَغْريدَها فَوْقَ الْأَشْجارِ وفى الْغاباتِ ، وعلى شَواطِئِ الْأَنْهارِ ، وتَرَى مَنْظَرَها وهِىَ طائِرَةٌ فى جَوِّ السَّماءِ ، فَيُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّها أَجْمَلُ من مَنْظَرِ الْفَلَكِ الدّائِرِ ، والْكَوْكَبِ السَّيّارِ .

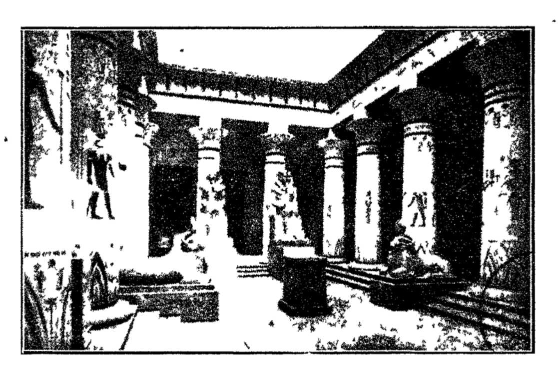


أَيُّها السُّعَداءُ ! أَحْسِنوا إلى الْبائِسينَ والْفُقَراءِ ، وامْسَحوا دُموعَ الْأَشْقِياءِ ، وارْحَمُوا مَنْ فى الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فى السَّماءِ .

---

١٩ — حضارَةُ قُدَماءِ الْمِصْرِيِّين

كانَ لِقُدَماءِ الْمِصْرِيِّين حِضارَةٌ راقِيَةٌ ، لَمْ تَسْبِقْهُم إِلَيْها أُمَّةٌ



أثر من الآثار المصرية بالكرنك

من الْأُمَمِ الْغابِرَةِ ؛ فهُمُ السَّابِقُون إلى تَنْبِيتِ النَّباتِ ، وتَأْلُّفِ الْحَيَوانِ ، وبِناءِ الْمَساكِنِ بِالْأَحْجارِ ، والانْتِفاعِ بِمِياهِ الْأَمْطارِ ، ومَدِّ الْجُسورِ على الْأَنْهارِ ، وإِقامَةِ السُّدودِ فى مَجارِيها ، وشَقِّ الْجَداوِلِ مِنْها ، وتَعْبِيدِ الطُّرُقِ .

وهُمُ الَّذِين اخْتَرَعوا الْكِتابَةَ ، وعَنْهُم نَقَلَهَا الْفِينِيقِيُّون بَعْدَ اخْتِراعِها بِآلافِ السِّنِين ، وأَخَذَتْها عَنْهُمْ شُعوبُ الْعالَمِ ، فانْتَفَعوا بِها ، وجَنَوْا من ثِمارِها الْخَيْرَ الْكَثِيرَ .

وهُمُ الْمُبَرِّزُونَ فى عُلومِ الْهَنْدَسَةِ والْكِيمِياءِ والْفَلَكِ ، وفَنِّ الْبِناءِ ، وقَطْعِ الْأَحْجارِ الْعَظِيمَةِ من الْجِبالِ ، ونَحْتِها ونَقْلِها .

وهُمُ الْبَارِعونَ فى تَشْيِيدِ الْقُصورِ الشَّاهِقَةِ ، والْمَبَانِى الضَّخْمَةِ : من أَهْرَامٍ رَائِعَةٍ ، ومقابِرَ عَجِيبَةٍ ، ومِسَلَّاتٍ دَقِيقَةِ الصُّنْعِ ، ومَعَابِدَ تُشْعِرُ بِالْعَظَمَةِ ، وتَدُلُّ على الْقُوَّةِ .

وكانَ مِنْهُم صُنَّاعٌ ماهِرُونَ فى النَّقْشِ والزَّخْرَفَةِ . وإنَّكَ لَترى نُقُوشَهُمْ فى مَعَابِدِهِم ، وزَخَارِفَهُمْ فى هَيَاكِلِهِم ومَقَابِرِهِمْ — وقَدْ مَضَتْ عَلَيْهَا الْعُصُورُ الْمَدِيدَةُ ، والْقُرُونُ الطَّوِيلَةُ — فَتَظُنُّ أَنَّها نُقِشَتْ بِالْأَمْسِ .

وإِنَّ آثَارَهُمُ الْمنبَثَّةَ فى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ لَتَشْهَدُ بِرُقِىِّ حِضَارَتِهِم ، وتُنْبِئُ عَن ذَكَائِهِم ومهارَتِهِم ، وتَدُلُّ على أَنَّهُمْ فَاقُوا غَيْرَهُمْ ، ووصَلُوا فى كَثِيرٍ من الْعُلُومِ والْفُنُونِ إِلى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ سِـــوَاهُمْ :

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلى الآثَارِ .

---

٢٠ — الرِّفْقُ بالطُّيُور

كَانَتْ خَدِيجَةُ عَائِدَةَ من الْمَدْرَسَةِ يَوْمًا ، فَرَأَتْ جَمَاعَةً من الْأَطْفَالِ يُعَذِّبونَ عُصْفُورًا صَغِيرًا ، فَتَأَلَّمَتْ لِهذا الطَّائِرِ

الْمِسْكِينِ ، وعَابَتْ على هؤلاءِ الصِّبْيَانِ قَسْوَتَهُمْ ، وطَلَبَتْ مِنْهُمْ أن يُعْطُوهَا إِيَّاهُ ، فَلَمْ يُجِيبُوهَا إِلى طَلَبِهَا ، واُسْتَهْزَءوا بِهَا ، وسَخِرُوا مِنْهَا ، واُسْتَمَرُّوا فى تَعْذِيبِ الْعُصْفُورِ ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهَا ، واُجْتَهَدَتْ حَتَّى أَخَذَتِ الطَّائِرَ مِنْهُمْ .



أَخَذَتْ خَدِيجَةُ الْعُصْفُورَ وَذَهَبَتْ بِهِ إِلى مَنْزِلِها ، وعَطَفَتْ عَلَيْهِ عَطفاً شَدِيداً ، وقَدَّمَتْ لَهُ طَعَاماً وَشَرَاباً ، فَأَكَلَ وشَرِبَ قَلِيلاً . ولَكِنَّ الْمِسْكِينَ كَانَ مُتْعَباً مُجْهَداً مِمَّا أَصَابَهُ من الصِّبْيَانِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أن مَاتَ .

حَزِنَتْ خَدِيجَةُ على الْعُصْفُورِ ، وسَاءَهَا كَثِيراً مَا حَدَثَ لَهُ ، وذَهَبَتْ إِلى أُمِّهَا وأَخْبَرَتْهَا بِخَبَرِه ، فَقَالَتْ : « هَلِ اُعْتَنَيْتِ

يَا خَدِيجَةُ بِالْعُصْفُورِ ، وقُمْتِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْكِ نَحْوَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ؟ »

فَأَجَابَتْ خَدِيجَـــةُ : « نَعَمْ يَا وَالِدَتِي ! إِنِّي قَدْ أَدَّيْتُ الْوَاجِبَ عَلَيَّ ، وبَذَلْتُ ما فِي وُسْعِي من الْعَطْفِ عَلَيْهِ ، وتَقْدِيمِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لَهُ ، ولَـكِنَّهُ ماتَ بِمَا أَصَابَهُ من هؤلاءِ الصِّبْيَانِ الْقُسَاةِ ، الَّذِينَ لَمْ يَتَعَوَّدُوا الرَّأْفَةَ بِالطُّيُورِ . »

فَقَالَتِ الْأُمُّ : « هَلْ تَسْتَطِيعِينَ يَا خَدِيجَةُ أَن تُحْضِرِي أَحَدَ هؤلاءِ الصِّبْيَانِ ؟ » فَأَجَابَتْ : « نَعَمْ أَسْتَطِيعُ ذلك . » وذَهَبَتْ وأَحْضَرَتْ واحِدًا مِنْهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهَا : « هَلْ تَرْضَى أَنْ تُعَذَّبَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ارْتَـكَبْتَهُ ؟ » فَأَجابَ : « لا ؛ لا أَحَدَ يَرْضَى أن يُعَذَّبَ بِدُونِ ذَنْبٍ . » فَقَالَتْ : « وإِذا عُذِّبْتَ بِدُونِ سَبَبٍ فَبِمَ تَشْعُرُ ؟ » فَقَـــالَ : « أَشْعُرُ بِالْأَلَمِ وأَعْتَقِدُ أَنِّي مَظْلُومٌ . » فَقَالَت : « وإِذا كُنْتَ تَعْرِفُ ذلك فَلِمَ تَقْسُو على طَائِرٍ ضَعِيفٍ لَمْ يَضُرَّكَ بِشَيْءٍ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أن يَشْكُوَ أَوْ يَتَظَلَّمَ ؟ »

حينئذ شَعَرَ الصَّبِيُّ بِالْخِزْيِ ، وقَالَ — وهُوَ مُتَأَلِّمٌ نَادِمٌ على ما فَرَطَ مِنْهُ : « لَقَدْ أَدْرَكْتُ الآنَ خَطَئِي وخَطَأَ زُمَلَائِي ، وإِنِّي أَعِدُكِ يَا سَيِّدَتِي أَنِّي لَنْ أَقْسُوَ عَلَى طَائِرٍ ، ولَنْ أُعَذِّبَ حَيَوَانًا مَرَّةً أُخْرَى . »

٢١ — لِسَانُ حَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ



لشاعرِ النيلِ ، المرحوم حافظ إبراهيم بك المُتَوَفَّى سنة ١٩٣٢ م

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً ... وما ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ ... وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

* * *

أَنَا الْبَحْرُ فِى أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ ... فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِى ؟

فَيَاوَيْحَكُمْ ! أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِى ... وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِى

فَلَا تَكِلُونِى لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِى ... أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِى

* * *

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً ... وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا ... فَيَالَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ !
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ (بِالْجَرَائِدِ) مَزْلَقًا ... مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةِ

*
* *

إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَّابِ – وَالْجَمْعُ حَافِلٌ ... بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ الْمَيْتَ فِي الْبِلَى ... وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
وَإِمَّا مَمَاتٌ لا قِيَامَةَ بَعْدَهُ ... مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بِمَمَاتِ

---

٢٢ – الْمَجْمَعُ الْمَلَكِيُّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّة

اِتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الْعُلومِ والْمَعَارِفِ فى هذا الْعَصْرِ ، وتَنَوَّعَت الصِّنَاعاتُ ، وَكَثُرَت الْمُخْتَرَعاتُ ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ من تَوْسِيعِ صَدْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لهذه الْعُلومِ الْجَديدة ، وإِدْخالِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْحَدِيثَةِ فى أَسَالِيبِها ، لِتَكونَ لُغَةَ التَّأْلِيفِ والتَّعْليم .

وقَدْ رَأَى الْمَغْفُورُ لهُ « فُؤَادُ الْأَوَّلُ » — مَلِكُ مِصْرَ السَّابِقُ — أَنَّ الْحَاجَةَ ماسَّةٌ إِلى ذلك ، فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ الْمَلَكِيَّ الْكَريم سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألفٍ من الميلادِ بِإِنْشاء مَجْمعٍ لِلُغَة الْعَرَبِيَّة ، يَكُونُ

تَابِعاً لِوِزَارَةِ الْمَعَارِف ، ومَرْكَزُه مَدينَةُ القَاهِرَة ، وأَهَمُّ أَغْراضِه :

١ — الْمُحافَظَةُ على سَلامةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وجَعْلُها وافِيَةً بِمَطَالِبِ الْعُلوم والْفُنون ، مُلائِمَةً لِحاجاتِ الْحَيَاةِ فى الْعَصْرِ الْحَاضِرِ .

٢ — الْبَحْثُ عَن كلِّ ما لهُ شَأْنٌ فى تَقَدُّمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّة : بِوَضْعِ مُعْجَمٍ لغَوِىّ وَافٍ بِهذا الْغَرَضِ ، وبِغَيْرِ ذلك منَ الطُّرُقِ .

٣ — وضْعُ مُعْجَم تارِيخِىّ لِلُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، ودِرَاسَةُ اللَّهجَاتِ الْحَديثة بِمِصْرَ ، وغَيْرِها منَ الْبِلادِ الشَّرْقِيَّةِ .

وقَدْ أُلِّفَ الْمَجْمَعُ — أَوَّلَ ما أُلِّفَ — من عِشْرِين عُضْوًا من كِبارِ الْعُلَماَء منَ الْمِصْرِيِّين وغَيْرِهِم . فَبَدءوا عَمَلَهُمُ الْجَليلَ ، ونَشَرُوا فى مَجَلَّةِ الْمَجْمَع بُحوثاً نافِعَةً .

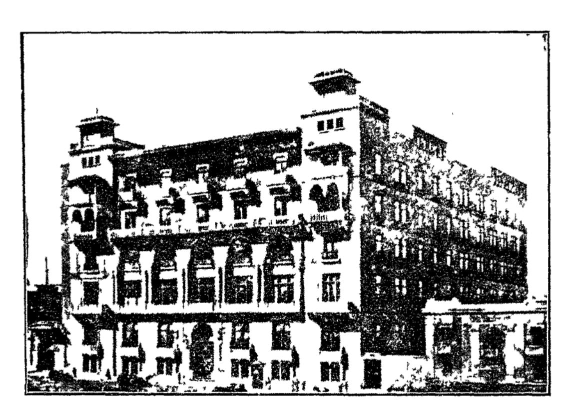
والْأَمَلُ الْمَعْقودُ بِهِمْ كبير ، والرَّجاءُ فِيهِمْ وفيمَنْ يُعَاوِنونَهُمْ عَظِيمٌ .

---

٢٤ — مَصْرِفُ مِصْرَ وَشَرِكَاتُهُ

مِن أَجَلِّ مَظَاهِرِ النَّهْضَةِ الْحَدِيثَةِ فى مِصْرَ — ذلك الْمَصْرِفُ الْعَظِيمُ، الَّذِى أَنْشَأَهُ جَمَاعَةٌ من رِجَالِ مِصْرَ الْعَامِلِينَ سنة ١٩٢٠ م ، وجَعلُوهُ

مِصْرِيًّا فى لُغَتِهِ وأَمْوالِهِ ، وأَعْمَالِهِ ومُشْتَرِكيهِ ، ومُوَظَّفِيهِ وعُمَّالِهِ .



المنظر الخارجي لمصرف مصر

رَعَتْهُ الْعِنَايَةُ فَنَما وتَرَعْرَعَ ، حَتَّى أَصْبَحَ من أَرْقَى الْمَصَارِفِ نِظَاماً ، وأَوْسَعِهَا عَمَلاً . يَزِيدُ رَأْسُ مَالِهِ على « مِلْيُونٍ » من (الْجُنَيْهَاتِ) . وبِهِ من الْوَدائِعِ والْأَمَانَاتِ مَا لاَ يَقِلُّ عَنْ عَشَرَة (ملايين) .

ولَهُ دَارٌ فَخْمَةٌ فى شَارِعِ عِمَادِ الدِّين بِالْقَاهِرَةِ ، وفُرُوعٌ مُخْتَلِفَةٌ فى كَثِيرٍ من الْمُدِيرِيَّاتِ والْمُحَافَظَاتِ ، وفى بَعْض حَوَاضِرِ الممَالِكِ الْغَرْبِيَّةِ والشَّرْقِيَّةِ . ووُكَلاَؤُهُ — فى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ —

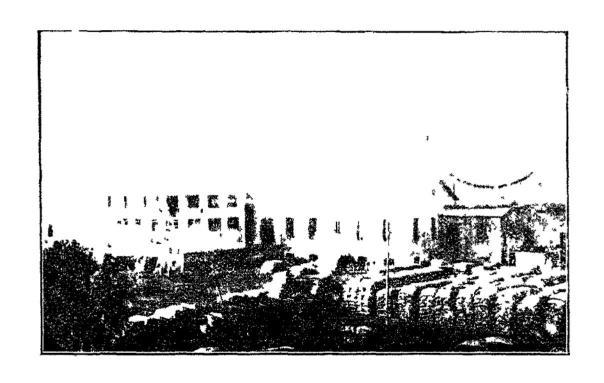
يُشِيدون بِذِكْرِ مِصْرَ، ويَدْعون الأُمَمَ إلى الثِّقَةِ بِهَا. وفى ذلك ما فِيهِ من جَلِيلِ النَّفْعِ، وعَظِيمِ الْخَيْرِ.

وقَدْ تَعَدَّدَتْ شَرِكَاتُه، وسَارَتْ بِخُطًا واسِعَةٍ لِخَيْرِ مِصْرَ وإِسْعَادِهَا، والْقِيَامِ بحَاجَاتِهَا؛ فَهذِهِ شَرِكَةُ الْغَزْلِ والنَّسْجِ لَهَا مَصَانِعُهَا الضَّخْمَةُ بِالْمَحَلَّةِ الْكُبْرَى، وتَقُومُ على مِسَاحَةٍ واسِعَةٍ تَزِيدُ على مِائَةِ فَدَّان، ويَشْتَغِلُ بِهَا أَكْثَرُ من عَشَرَةِ آلاَفٍ من الْعُمَّال، وتَسْتَهْلِكُ من الْقُطْنِ كُلَّ عَامٍ مَا لاَ يَقِلُّ عَنْ خَمْسمائَةِ أَلْفِ قِنْطَار

وقَدْ غَمَرَتِ الأَسْوَاقَ بِمَنْسُوجَاتِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، وأَقْبَلَ الْمِصْرِيُّونَ على شِرَاءِ مَا تَصْنَعه أَيْدِى إِخْوَانِهم، وتُخْرِجُه أَرْضُ بِلاَدِهِم.

وهذه بَوَاخِرُ شَرِكَةِ الْمِلاَحَةِ: النِّيلُ، وكَوْثَرُ، وزَمْزَمُ — تَمْخَرُ عُبَابَ الْبِحارِ، وتَخْفُقُ عليها الأَعلامُ الْمِصْرية، فَتُوَجِّهُ إلى مِصْرَ الأَنْظارَ، وتُكْسِبُهَا الْمَجْدَ والْفَخَارَ.

وهذه شَرِكَةُ الطَّيَرَانِ، تُحَلِّقُ طائِرَاتُها فى الْجَوِّ مُشَرِّقة ومُغَرِّبَةً، فَتُبَرهِنُ لِلْعَالَمَ أَنَّ أَبْناء النِّيلِ هَبُّوا مِنْ سُبَاتِهِم، ونَهَضُوا يَسْتَرِدّونَ مَجْدَ أُجْدادِهِمْ، ويُعِيدُونَ لِوَطَنِهم سيرَتَهُ الأُولَى.



محلج القطن بالمنصورة

ولِلْمَصْرِفِ شَرِكاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ ؛ كَشَرِكَةِ الْخِيَالَةِ والتَّمْثِيل ، وشَرِكَةِ الطِّبَاعَةِ ، وَشَرِكَةِ حَلْجِ الْأَقْطانِ وتَصْدِيرِها ، وشَرِكَةِ مَصايِدِ السَّمَكِ ، وشَرِكَةِ صِباغَةِ الْجُلُودِ ودَبْغِها ، وشَرِكَةِ الْمِلاحَةِ ، وشَرِكَةِ بَيْعِ المَصْنوعاتِ الْمِصريةِ .

وإجْمالُ الْقَوْلِ أَنَّ هذا الْمَصْرِفَ الْعَظِيمَ أَدَّى مُهِمَّتَهُ خَيْرَ أَداء . ورَفَعَ شَأْنَ مِصْرَ ، وأَكْسَبَها فَخْرًا ومَجْدًا ، وسَدَّ كَثِيرًا من حَاجَاتِ الْبِلادِ ، ونَهَضَ بِها نَهْضَةً اقْتِصَادِيَّةً عَظِيمَةً ، وفَتَحَ لِكَثِيرٍ من الْعُمَّالِ أَبْوابَ الْعَمَل فى فُروعِهِ وشَرِكاتِه الْمُخْتَلِفَة ، وأَوْجَد لِلْأَغْنِياء

سُبُلًا لاسْتِغْلال أَمْوَالِهِم بِمُسَاهَمَتِهِم فى شَرِكَاتِه .

فَالإِقْبالُ على الشِّراءِ من مَصْنُوعَاتِهِ واجِبٌ وطَنِيٌّ ، والْمُساهَمَةُ فى تَشْجِيعهِ ، والْعَملُ على تَثْبِيتِ دَعائِمِهِ — فَرْضٌ على كُلِّ مِصْرِيٍّ .

---

٢٤ — اَلتَّنَافُس

فُطِرَ الْإِنْسَان على حُبِّ الرِّفْعَةِ والْعُلُوِّ ؛ فَالتِّلْمِيذ فى فِرْقَتِهِ يحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ طُلَّابِهَا ، والصَّانِعُ فى مَصْنَعِهِ يَجْتَهِدُ لِيَكُونَ لَهُ الْفَوْزُ على أَقْرَانِهِ . وهكذا تَجِدُ كلَّ صِنْفٍ من النَّاسِ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ أَمْثَالِهِ أَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ، وأَسْيَرَهُمْ ذِكْراً ، وأَوْفَرَهُمْ بَرَاعَةً وفَضْلًا .

ولَقَدْ تَظْهَرُ هذه الْمُنَافَسَةُ فى صُنُوفٍ من الْحَيَوَانِ ؛ فَالدَّابَّةُ الَّتِي تَسِيرُ وحْدَهَا تَتَبَاطَأُ فى سَيْرِهَا ، وقَدْ تَقِفُ ومَا أَجْهَدَهَا السَّيْرُ ، ولاَ أَضْنَاهَا التَّعَبُ ، ولـكنَّهَا إِذَا سَايَرَتْ غَيْرَهَا من الدَّوَابِّ الَّتى من نَوْعِهَا جَدَّتْ فى سَيْرِهَا ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَتَقَدَّمَهَا ، وتَحَمَّلَتْ كَثِيراً من الْعَنَاءِ والْمَشَقَّةِ ؛ مُبَارَاةً لِغَيْرِهَا ، وطَمَعاً فى الْفَوْزِ على أَقْرَانِهَا .

وهَا هُمْ أُولَاءِ الْأَطْفَالُ تَرَاهُمْ يَتَسَابَقُونَ فى الْعَدْوِ وفُنُونِ

الرِّيَاضَةِ ، ويُجْهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فى الْفَوْزِ على أَقْرَانِهِمْ ، ولَا يُحْزِنُهُمْ الْفَشَلُ — إِذَا حَاوَلُوا وحْدَهُمْ أَمْرًا فَعَجَزُوا عن إِدْرَاكِهِ — كما يُحْزِنُهُمْ إِذَا بَارَوْا غَيْرَهُمْ فَكَانُوا من الْخَائِبِينَ .

فَجِدَّ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ واجْتَهِدْ ، ولا تَيْئَسْ من إِدْرَاكِ الْغَايَاتِ الْبَعِيدَةِ ، واعْمَلْ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

وقَلَّ من جَدَّ فى أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ   واسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ إِخْوَانُكَ وَرُفَقَاؤُكَ ، ولَكَ من كلِّ خَيْرٍ يَنَالُهُمْ نَصِيبٌ ، ومن كلِّ ظَفَرٍ يَحْظَوْنَ بِهِ قِسْطٌ ، فَلَا تَحْقِدْ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ الْعَاقِلُ على غَيْرِكَ — إِذَا تَقَدَّمَ عَلَيْكَ ؛ بل اجْتَهِدْ فى أَنْ تُدْرِكَهُ وتَسْبِقَهُ بِجِدِّكَ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ لَا تَقْنَعُ بِمَطْلَبٍ ، ولَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ من الْكَمَالِ . ولَا تَحْسُدْ غَيْرَكَ عَلَى مَنْزِلَةٍ نَالَهَا بِسَعْيِهِ وكَدِّهِ ؛ ولكنْ ثَابِرْ واجْتَهِدْ ، فَعَسَى أَنْ تَكُونَ من الْفَائِزِينَ .

---

٢٥ — خَالِدُ بْنُ الْوَلِيد

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ ، مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ قَائِدَ

فُرْسَانِهِمْ فى الْحَرْبِ . وَقَدْ أَسْلَمَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وشَهِدَ كَثِيراً مِنْ غَزَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وسَمَّاهُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ « سَيْفَ اللهِ » ، وجَعَلَهُ قَائِدَ الْخَيْلِ فى فَتْحِ مَكَّةَ .

ولَمَّا ثَارَ بَعضُ الْعَرَبِ على أَبِي بَكْرٍ — أَوَّلِ الْخُلفاءِ الرَّاشِدِينَ — قَادَ خَالِدٌ الْجُيُوشَ لِحَرْبِهِمْ ، فَكَانَ لَهُ أَعْظَمُ الْأَثَرِ فى إِخْمَادِ ثَوْرَتِهِمْ ورَدِّهِمْ إِلى الطَّاعَةِ . ثُمَّ وجَّهَهُ أَبُو بَكْرٍ لِفَتْحِ الْعِرَاقِ ، فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُيُوشِ الْفَارِسِيَّةِ وقَائِعُ كَثِيرَةٌ ، حَالَفَهُ فِيهَا النَّصْرُ ، حَتَّى مَكَّنَ لِلْمُسْلِمِينَ فى الْعِرَاقِ . ولَمَّا بَلَغَ شَمَالِيَّ الْعِرَاقِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ جُيُوشُ الْفُرْسِ والرُّومِ ، فَهَزَمَهُمْ ، وفَلَّ جُمُوعَهُمْ .

ثُمَّ سَيَّرَهُ الْخَلِيفَةُ مَدَداً لِلْمُسْلِمِينَ الْمُحَارِبِينَ فى الشَّامِ ، فَأَسرعَ إِلَيْهِمْ ، واجْتَازَ بِجَيْشِهِ بَادِيَةَ الشَّامِ فى خَمْسَةِ أَيَّامٍ — وذلك مِنْ عَجَائِبِ الشَّجَاعَةِ والْمُخَاطَرَةِ - وأَدْرَكَ الْمُسْلِمِينَ وهُمْ يَتَأَهَّبُونَ لِحَرْبِ الرُّومِ فى إِحْدَى الْوَقَائِعِ الْعَظِيمَةِ ، فَخَطَبَ فِيهِمْ ، وأَشَارَ عَلَيهِمْ بِتَوْحِيدِ الْقِيَادَةِ ، فَاخْتَارُوهُ قَائِدًا عَامًّا ، فَهَزَمَ بِهِمْ جُيُوشَ الرُّومِ شَرَّ هَزِيمَةٍ . وكَانَ له فى فتُوحِ الشَّامِ مَآثِرُ شَاهِدَةٌ بِشَجَاعَتِهِ ومَهَارَتِهِ ، واجْتِمَاعِ قُلُوبِ الْجُنْدِ على مَحَبَّتِهِ .

ولَمّا ضَمّ عُمَرُ جَيْشَهُ إلى جَيْشِ أبى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرّاحِ — سارَ خالِدٌ مَعَ الْجَيْشِ جُنْدِيًّا مُطِيعاً ، مُجاهِداً فى سَبِيلِ اللهِ .

ويُعَدُّ خالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ من أعْظَمِ الْقُوّادِ الَّذِينَ عرَفَهُمْ تارِيخُ الْعالَمِ . قادَ الْجُيُوشَ فى الْجاهِلِيَّةِ والإسْلامِ ، فَما هُزِمَ فى مَوْقِعَةٍ قَطُّ ، وكانَتْ قِيادَتُهُ بَشِيراً بِالنَّصْرِ فى كُلِّ حَرْبٍ

ويُرْوَى أنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ قالَ :

« لَقَدْ شَهِدْتُ مِائَةَ زَحْفٍ أوْ زُهاءها ، ومَا فى بَدَنِى شِبْرٌ إلاَّ وفِيهِ ضَرْبَةُ سَيْفٍ ، أوْ طَعْنَةُ رُمْحٍ . وهَأَنَذا أمُوتُ على فِرَاشِى ، فَلاَ نامَتْ أعْيُنُ الْجُبَناءِ . »

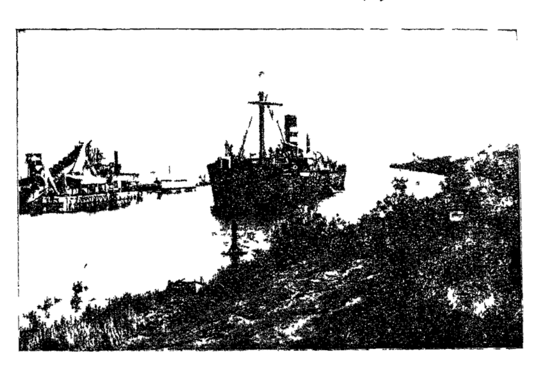
تُوُفِّيَ بِحِمْصَ سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ مِنَ الهِجْرَة ، ودُفِنَ بِهَا . وعلى قَبْرِهِ وقَبْرِ ابْنِهِ عَبْدِ الرحمن مَسْجِدٌ عَظِيمٌ خارِجَ الْمَدِينَةِ .

---

٢٦ — قَنَاةُ السُّوَيْس

تَسِيرُ السُّفُنُ الْكَبِيرَةُ والْبَوَاخِرُ الضَّخْمَةُ فى الْبِحارِ والْمُحِيطاتِ من زَمَنٍ بَعِيدٍ ، فَتَنْقُلُ المَصْنُوعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ من جِهَةٍ إلى أُخْرَى ، وتَحْمِلُ الْمَتاجِرَ الْمُتَنَوِّعَةَ والْجُيوشَ الْكَثِيرةَ الْعَدَدِ ، والْمُسافِرِين

على اُخْتِلافِ أجْناسِهِمْ .



منظر من مناظر قنـاة السويس

وقَدْ عَظُمَتِ العِنَايَةُ فى هذا العَصْرِ بِالنَّقْلِ البَحْرِىِّ ، حينَ قَوِيَتِ الصِّلاتُ بَيْنَ القَارَّات ، وكَثُرَتِ المُبْتَكَراتُ الْحَدِيثَةُ ، الَّتى سَهَّلَتِ السَّيْرَ فى الْبِحَارِ الْوَاسِعَةِ ، والْمُحِيطاتِ الْعَظِيمَةِ ، واُشْتَدَّ التَّنَافُسُ بَيْنَ الدُّوَلِ الْقَوِيَّةِ فى إنْشَاءِ الأَساطِيلِ الْحَرْبِيَّةِ والتجارِيَّة ، وقَوَّى ذلك التَّنَافُسَ إنْشَاءُ الْقَنَوَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الَّتى قَرَّبَتِ الْبَعِيدَ ، ووَفَّرَتِ الْكَثِيرَ من الْوَقْتِ والْمَال .

وكانَت السُّفُنُ السَّائِرَةُ بَيْنَ أُورُبَّا وبلادِ الشَّرْقِ تَدُورُ حَوْلَ إفْرِيقِيَّةَ ، وتَمُرُّ بِرَأْسِ الرَّجاءِ الصَّالح وكانَتِ التِّجَارَةُ تُنْقَلُ أحْيانًا

فى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ إلى السُّوَيْسِ ، ثُمَّ تُنْقَلُ فى الْبَرِّ إلى الْبَحْرِ الأَبْيَض لِتُوضَعَ فى السُّفُن مرَّةً أُخْرى . وكانَ سَفَرُ النَّاسِ ونَقْلُ التِّجَارَةِ بِهذا الطَّرِيقِ يَحْتَاجُ إلى وَقْتٍ طَوِيلٍ ، ونَفَقاتٍ كَثيرَةٍ ، ومَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ ، حَتَّى حُفِرَتْ قَناةُ السُّوَيْس ، فَوَصَلَتِ الْبَحْرَ الْأَبْيَضَ بِالْبَحْرِ الْأَحْمَر . وهِىَ تَمْتَدُّ من مَدِينَة السُّوَيْسِ جَنوباً إلى مَدِينَة « بُورِ سَعِيدٍ » شَمالاً .

وقدْ بُدِئَ فى حَفْرِها فى عَهْد سَعِيدٍ « باشا » سنة ١٨٥٩ م على يَد الْمُهَنْدِس الْفَرنسىّ « فِرْدِينَاند دِلِسِبْسَ » وأُفْتُتِحَتْ لِمُرُور السُّفُن سنة ١٨٦٩ م فى عَهْد إِسْمَاعِيلَ « باشا »

وتُشْرِفُ على إِدَارَةِ هذه الْقَناةِ شَرِكَةٌ أَجْنَبِيَّةٌ، تَرْبَحُ مِنْها أَمْوالاً كَثِيرَةً ؛ تَأْخُذُ عن كلِّ سَفِينَةٍ تَمُرُّ بِها أجْرًا يَتفاوَتُ بِتفاوُتِ حَجْمِ السَّفِينَةِ وحُمولَتِها ، وتَأْخُذُ عن كلِّ مُسافرٍ كَبيرٍ عَشَرَة (فرَنكات) ، ونِصْفَ ذلك عَمَّنْ بَيْنَ الثَّالِثَةِ والثَّالِثَةَ عَشْرَة من عُمْرِه . وَأَمَّا الْأَطْفالُ الَّذِينَ تقِلُّ أَعمارُهم عن ثَلاثِ سنِينَ فلا يُدْفَعُ عَنْهُمْ أَجْر .

ومُدَّةُ امْتِيَازِ هذه الشَّرِكَة تِسْعٌ وتِسْعونَ سَنَةً ، تَنْتَهِى سنة ١٩٦٨ م وبَعْدَ انْتِهائِها تَصِيرُ الْقَناةُ مِلْكًا لِلْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ ، وتُصْبِحُ مَوْرِدَ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ لِمِصْر .

٢٧ ـ اَلْحَيَّـةُ وَالْأَخَوَان

من قِصَصِ الْعَرَبِ : أَنَّ أَخَوَيْنِ كَانَا يَرْعَيَانِ إِبِلَهُمَا ، فَأَجْدَبَتْ أَرْضُهُمَا. وكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمَا وادٍ خِصْبٌ ، فِيهِ حَيَّةٌ تَحْمِيهِ. فقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَر : « سَأَذْهَبُ إِلى هذا الْوَادِى فَأَرْعَى فِيهِ إِبِلى » . قَالَ أَخُوهُ : « أَخَافُ عَلَيْكَ الْحَيَّةَ ؛ فَمَا هَبَطَ هذا الْوَادِىَ أَحَدٌ إِلاَّ أَهْلَكَتْهُ » . قَالَ : « واللهِ لَافْعَلَنَّ » . فَهَبَطَ الْوَادِىَ ورَعَى بِهِ زَمَانًا ، ثُمَّ نَهَشَتْهُ الْحَيَّةُ فَقَتَلَتْهُ . فَقَالَ أَخُوهُ : « مَا فى الْحَيَاةِ خَيْرٌ بَعْدَ أَخِى ، واللهِ لَأَقْتُلَنَّ الْحَيَّةَ أَوْ لَأَمُوتَنَّ كَمَا مَاتَ . »

فَلَمَّا هَبَطَ الْوَادِىَ قَالَتْ لَهُ الْحَيَّةُ : « أَنَا قَتَلْتُ أَخَاكَ ، فَهَلْ لَكَ فى أَنْ نَصْطَلِحَ ، فَأَدَعَكَ تَرْعَى بِهذا الْوَادِى ، وأُعْطِيَكَ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارا ؟ »

قَالَ : « أُصَالِحُكِ » ، وحَلَفَ لَهَا ، وأَعْطَاهَا الْعَهْدَ أَلاَّ يَضُرَّهَا . وجَعَلَت الْحَيَّـةُ تُعْطِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارا ، حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ . ثُمَّ تَذَكَّرَ أَخَاهُ وقَالَ : « كَيْفَ يَنْفَعُنِى الْمَالُ وأَنَا أَنْظُر إِلى قَاتِلِ أَخِى ؟ » فَأَخَذَ فَأْسًا وقَعَدَ عِنْدَ جُحْرِ الْحَيَّةِ فَلَمَّا مَرَّت بِهِ ضَرَبَهَا فَأَخْطَأَهَا ، ودَخَلَتِ الْجُحْرَ ، ووقَعَتِ الْفَأْسُ على الْجُحْر فَأَثَّرَتْ فِيهِ .

ولَمَّا رَأَت الْحَيَّة غَدْرَ الرَّجُلِ قَطَعَتْ عَنْهُ الدِّينَارَ ، وخَافَ هُوَ

شَرَّهَا وندِمَ . فقَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ : « هَلْ لَكِ فى أَنْ نَصْطَلِحَ وَنَتَعَاهَدَ ونَعُودَ إِلى مَا كُنَّا عَلَيْهِ ؟ »

قَالَتِ الْحَيَّةُ : « أَنْتَ لاَ تَصْفُو لى مَا دُمْتَ تَرَى قَبْرَ أَخِيكَ ، وأَنَا لاَ أَصْفُو لَكَ مَا دُمْتُ أَرَى أَثَرَ فَأْسِكَ . »

---

٢٨ — فى افتِتَاحِ مَصْرِفِ مِصْرَ

للمرحوم شوقى بك

يَا طَالِبًا لِمَعَالِى الْمُلْكِ مُجْتَهِدًا ... خُذْهَا من الْعِلْمِ أوْ خُذْهَا من الْمَالِ

بِالْعِلْمِ والْمَالِ يَبْنِى النَّاسُ مُلْكَهُمُ ... لَمْ يُبْنَ مُلْكٌ على جَهْلٍ وإِقْلاَلِ

سَرَاةَ مِصْرَ عَهِدْنَاكُمْ إِذَا بُسِطَتْ ... يَدُ الدُّعَاءِ سِرَاعًا غَيْرَ بُخَّالِ

هَاتُوا الرِّجَالَ وهَاتُوا الْمَالَ واحْتَشِدُوا ... رَأْيًا لِرَأْيٍ ومِثْقَالاً لِمِثْقَالِ

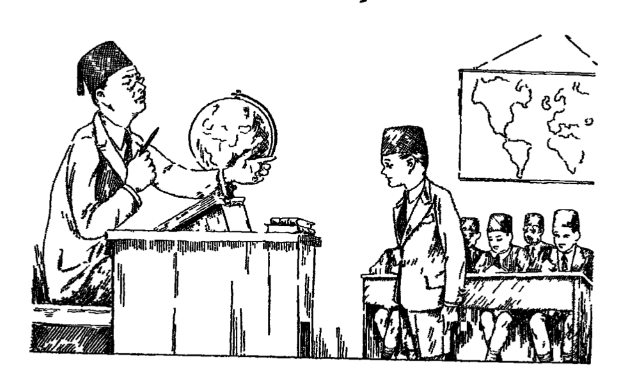
دَارٌ إِذَا نَزَلَتْ فِيهَا وَدَائِعُكُمْ ... أَوْدَعْتُمُ الْحَبَّ أَرْضًا ذَاتَ إِغْلاَلِ

آمَالُ مِصْرَ إِلَيْهَا طَالَمَا طَمَحَتْ ... هَلْ تَبْخَلونَ على مِصْرٍ بِآمَالِ ؟

فَأْبْنوا على بَرَكَاتِ اللهِ وَاْغْتَنِمُوا ... مَا هَيَّأَ اللهُ من حَظٍّ وإِقْبَالِ

---

٢٩ – اَلِاعْتِرافُ شَجَاعَةٌ



كَانَ تلاميذُ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ الابْتدائيةِ جَالِسِينَ فى أَمْكِنَتِهِم ، مُسْتَعِدِّينَ لِلامْتِحان فى الْحِسَابِ ، وكان دُرْجُ كمالٍ مُجاوِرًا لِدُرْجِ عَزِيز ، وكانَ بَيْنَهُمَا مُنَافَسَةٌ شَدِيدَةٌ ؛ يُصْغِى كُلٌّ مِنْهُما إلى مُدَرِّسِهِ ، وَيَسْأَلُه عما خَفِىَ عَلَيْهِ بِلُطْفٍ وأَدَبٍ ، ويَسْهَرُ لَيْلَهُ ، ويَجِدُّ نهارَه ، وَيدْأَبُ فى عَمَلِهِ ؛ أَمَلاً فى أَنْ يُدْرَجَ اسْمُه فى سِجِلِّ الْفَائِزِين ، ورَغْبَةً فى نَيْلِ الْجَائِزَةِ الَّتى سَيَمْنَحُهَا الْمُدَرِّسُ الْفَائِزَ الأَوَّلَ .

وُزِّعَتِ الْأَسْئِلَةُ ، وابْتَدَأَ التَّلامِيذُ فى الإجَابَة ، وقامَ كمالٌ بِالْإجابةِ عَنِ الْأَسْئِلَةِ فى ورَقَةٍ ، ثُمَّ بَدَا لَهُ بَعْدَ الانْتِهاءِ مِنْها أَنَّها غيرُ مُنَظَّمَةٍ ،

فَأعادَ كِتابَتَها فى ورَقةٍ أُخرى ؛ رَجاءَ أنْ يَنالَ الدَّرجَةَ الكُبْرَى ، وأنْ تَكُون إجابَتُهُ مَثَلاً أعْلَى لِزُملائهِ فى النَّظافَةِ والنِّظامِ .

ولِشِدَّةِ سُرُورِهِ بإجابَتِهِ ، وفَرَحِهِ بدِقَّةِ عَمَلِهِ — نَسِىَ الوَرَقَةَ الأُولى على الدُّرْج ، وأعْطَى المُراقِبَ الأُخْرَى ، وخَرَجَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ يَتَهَلَّلُ وجْهُهُ بِشْرًا ، ويَكادُ يَرْقُصُ طَرَبًا ؛ ولا عَجَبَ فَتِلْكَ عاقِبَةُ الجِدِّ والعَمَل .

وَقْتَئِذٍ رَأى عَزِيزٌ ورَقَةَ مُنافِسِهِ على الدُّرْج ؛ فَمَدَّ يَدَهُ ، وخطِفها خِفْيَةً فى خَوْفٍ وحَذَر ، وأَخَذَ يُوازِن بِلَهْفَةٍ بَيْنَ عَمَلِهِ وَعَمَلِ كَمال ، فَوَجَدَ أنَّهُ مُخْطِئٌ فى الإجابَةِ عن سُؤالَيْن ، فَنَقَلَهُما من ورَقَة كَمال .

فَهَلْ تَعُدُّون أَيُّها الأَبْناءُ النُّجَباء ذلك أَمانَةً ؟ كلاَّ ، إنَّها لَسَرِقَةٌ وجُرْمٌ عَظِيمٌ ، وذَنْبٌ كَبِير ؛ لِأنَّه لا فَرْقَ بين سَرِقَةِ الأجْوِبَةِ ، وسَرِقَةِ القَلَمِ ، أو المِبْراةِ ، أو النُّقود .

ومِن الخِيانَة أنْ تأخُذَ عَمَل غَيْرِكَ وتَنسُبَهُ إلى نَفْسِك . ولَأَنْ تُقَدِّمَ ورَقَةَ إجابَتِك بَيْضَاء لا كِتابَةَ فِيها — خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرْتَكِبَ مِثْل هذا الإثْم ، فَتَشْتَهِر بين إخْوانِك بالخِيانَة والسَّرِقَة .

لم يَكُنْ عَزِيزٌ ذَلِكَ الفتَى الَّذِى تَعَوَّدَ الخِيَانَةَ والسَّرِقَةَ ؛ فَقَدْ نَشَأَ فى بِيئَةٍ طَيِّبَةٍ نَشأَةً حَسَنَةً ، مُتَحَلِّياً بالفضَائِلِ ، نَائِياً عن الرَّذَائل . وقَدْ خلا بِنَفْسِهِ بَعْدَ انْتِهَائِه من الامْتِحان ، وأَخَذَ يُفَكِّرُ فى فَعْلَتِهِ الَّتِى فَعَلَها ، ونَفْسُهُ تَذُوبُ أَسًى ، وأَحْشَاؤُهُ تَتَقَطَّعُ كَمَدًا وحُزْنًا ، يُؤَنِّبُهُ ضَمِيرُه ، ويَخِزُهُ وَخْزَ الإِبَر ، وكُلَّما مَرَّ بِخَيَالِهِ أَنَّه سَرَق أَجْوِبَةَ غَيْرِه ، ونَسَبَها إلى نَفْسِهِ — ذَرَفَتْ عَيْناه دُموعاً حارَّةً ، وتأَوَّهَ آهاتٍ مِلْؤُها الحَسْرَةُ والنَّدَم . وكانَ إذَا سَمِعَ التَّلاميذَ يَتَحَدَّثون عمَّن سَينَال جائِزَةَ الحِسَابِ بَدَا عَلَيْه الخَجَلُ مِن الخَطَإِ الَّذِى فعَلَه ، والخوفُ من اللهِ الَّذى لا تَخْفَى عَلَيْه خافِيَةٌ ، وفَكَّر فى أن يتوارَى عَنْ عُيون إخْوانِهِ فى أىِّ مَكان .

جاء اليَوْمُ الَّذى تُوَزَّع فِيه الجَوائِز على الفَائِزِين ، وجَلَس التَّلامِيذُ فِى أَمْكِنَتِهِم ، يُصْغُون إلى مُدَرِّس الحِسَابِ وهُوَ يُعْلِنُ النَّتِيجَةَ قائِلاً : « إنَّ أَجْوِبَةَ كَمالٍ وعزيز كُلَّها صَحِيحَةٌ ، ولكن ورَقَةَ عَزِيزٍ تَفْضُلُ ورَقَةَ كَمالٍ فى النَّظَافَة والنِّظام وحُسْنِ التَّرْتِيب؛ ولِذَا اسْتَحَقَّ عَزِيزٌ الجَائِزَةَ الأُولى . »

فَصَفَّق التَّلامِيذُ سُروراً ، وتَقَدَّموا إلى عزيزٍ مُهَنِّئِين ؛ ولكنَّ عزِيزاً احْمَرَّ وجْهُه خَجَلا ، واغْرَوْرَقَت عَيْناهُ بالدُّموع ، وانْفَجَر باكِياً ؛

فَوَجَمَ الْجَمِيعُ ، ولم يَعلَمُوا السَّبَب ، وآنَئِذٍ لم يَقْبَلْ ذلك التِّلْمِيذُ النَّبِيل أَنْ يَأْخُذَ جائِزَةً هِيَ حَقٌّ لِزَمِيله ، فَتَقَدَّم إلى أُسْتاذِه بِشَجاعَةٍ ، وقال لَهُ :

« سَيِّدى الْأُسْتَاذ ، إِنَّ الاعْتِرافَ بالذَّنْب فَضِيلَةٌ ، وإِنَّ أَدَبِى وخُلُقِى ، ثُمَّ تَربِيَتَك لِى وتَثْقِيفَك وتَهْذِيبَك — كُلُّ هذا يَحْمِلُنِى على أَلاَّ آخُذَ جائِزَةً لا أَسْتَحِقُّهَا ؛ فهِى لَيْسَتْ لِى ، ولكِنَّ الْجَدِيرَ بِها كَمالٌ ؛ فَقَدْ نَقَلْتُ جَوَابَيْن مِنْ أَجْوِبَتِه ، وإِنِّى أَعْتَذِر ، وأَرْجو الْعَفْوَ عَنِّى . »

فقامَ الْمُدَرس وقال لِعَزِيز :

« إِن سُرورى بشجاعَتِك واعْتِرَافِك بالْحَقِّ بِقَدْرِ سُرورِى بِفَوْقِ زَمِيلِك كَمالٍ . وإِنَّك بِهَذا الاعْتِرافِ يا بُنَىَّ قَدِ اتَّخَذْتَ لَكَ مَنْزِلَةً عظِيمةً عِنْدِى ، وإِنِّى قَد عَفَوْتُ عَنْك ، وأَرْجُو أَلاَّ تَعودَ إِلى ذلك مَرَّةً أُخْرى . »

فَامْتَلأَ قَلْبُ عَزِيز غِبْطَة وسُروراً ، وشَكَرَ أُسْتَاذَهُ ، وسَمِعَ نَصِيحَتَهُ .

---

٣٠ - الطِّبَاعَـــة



العمال يجمعون الحروف فى إحدى المطابع المصرية

الطِّبَاعَةُ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ . والْمَشْهُورُ أَنَّ الصِّينِيِّينَ أَقْدَمُ مَنْ طَبَعَ على الْحجَر والْخشَب المْحفور ، وقَدْ عَثر البْاحِثون فى آثارِ بَابِلَ على قَوَالِبَ بارِزَةِ الْحُرُوف كَان الْكِلْدَانِيُّون يَسْتَعْمِلونَها ؛ فَالشَّرْقِيُّونَ أَسْبَقُ الْأُمَمِ إلى هذا الْفَن .

وأَمَّا الطِّبَاعَةُ بِالحرُوف الْمُتَفَرِّقَةِ — الَّتِي تُجْمَعُ مِنها الْكَلِمَاتُ على نَحْوِ مَا هُوَ شائِعٌ الآن — فَلَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ الْقَرْنِ

الْخامِسَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ . والْمَشْهُورُ أَنَّ صَاحِبَ هذا الاخْتِرَاعِ هُوَ « غُوتِمْبِرْجُ » الْأَلْمَانِيُّ .

وأَوَّلُ مَطْبَعَةٍ ذاتِ حُرُوفٍ عَرَبِيَّةٍ ظَهَرَتْ فى إِيطَاليا فى أَوَائِلِ الْقَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ ، ثُمَّ عَرَفَهَا السُّورِيُّونَ ، وطَبَعوا بِها عِدَّةَ كُتُبٍ فى أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّامِنَ عَشَرَ .

وأَوَّلُ مَطْبَعَةٍ ظَهَرَتْ بِمِصْرَ مَطْبَعَةُ الْحَمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ؛ جاءَ بِها نَابِلْيُون سنة ١٧٩٨ م . ولَمَّا حَكَمَ مُحَمَّدُ عَلِيّ « بَاشَا » مِصْرَ أَنْشَأَ الْمَطْبَعَةَ الْأَمِيرِيَّةَ سنة ١٨٢١ م ، وظَلَّتْ فَرِيدَةً فى مِصْرَ إلى أُخْرَياتِ حُكْمِ سَعِيدٍ « باشَا » . ثُمَّ تَوَالَى إِنْشَاءُ الْمَطابِعِ لِكَثْرَةِ الْمُتَعَلِّمِين ، وزِيادَةِ الرَّغْبةِ فى التَّأْلِيف والتَّرْجَمَة ، وَإِحْيَاءِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَة ، وانْتِشَارِ الصُّحُفِ السَّيَّارَة .

وبِفَضْلِ الْمَطَابِعِ أَمَدَّتْ مِصْرُ الْعَالَمَ الإِسْلَامِيَّ بِمَطْبُوعاتِها الْقَيِّمَةِ ، وصَارَتْ أَعْظَمَ سُوقٍ لِتِجَارَةِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ والْإِسْلَامِيَّةِ فى الشَّرْق .

---

٣١ — حَدِيقَةُ الْأَزْبَكِيَّة

بِالْقُرْبِ من مَيْدَانِ الْعَتَبَةِ الْخَضْرَاءِ حَدِيقَةٌ واسِعَةٌ ؛ لها سُورٌ



منظر من مناظر حديقة الأزبكية من الداخل

من حَديد ، وأَبْوَابٌ كَثيرَةٌ . هذه الْحَديقَةُ الْجَميلة هِيَ حَديقَةُ الْأَزْبَكِيَّة . أَنْشَأَها « الْخديو » إِسْماعِيلُ باشا ، وَعُنِيَ بِتَنْسِيقِها وَتَنْظِيمِها لِتَكونَ مُتَنَزَّهاً عامًّا لِأَهْلِ الْقاهِرَةِ ، وَلِيُجَمِّلَ بِها حاضِرَةَ مُلْكِهِ ، وَمَقَرَّ عَرْشِهِ .

إِذا دَخَلْتَهَا رَأَيْتَ ما يَشْرَح صَدْرَكَ ، وتَقَرُّ بِهِ عَيْنُك ، من أَشْجَارٍ عالِيَةٍ تُغَرِّدُ فَوْقَ أَغْصانِها الطُّيُورُ الْمُتَنَوِّعَةُ ، وأَزْهارٍ مُخْتَلِفَةٍ يَسُرُّكَ جَمالُ شَكْلِها ، وطيبُ رَوائِحِهَا ، وطُرُقٍ مُتَّسِعَةٍ وسْطَ أَعْشابٍ كَسَتْ أَرْضَها جَمالاً . وعلى جانِبَيِ الطُّرُقِ مَقاعِدُ يَسْتَرِيحُ عَلَيْها الزَّائِرُون .

وبِالْحَديقَة جَداوِلُ تَجْرِي خِلالَهَا ، وبُحَيْرَاتٌ صَغيرَةٌ فِيهَا السَّمَكُ

الْمُلَوَّنُ والطُّيورُ الْمَائِيَّةُ الْجَمِيلَةُ ، وفَوَّارَاتٌ وَسْطَ بِرَكٍ صِنَاعِيَّةٍ قَدْ أَظَلَّتْهَا الْأَشْجار ، واُكْتَنَفَتْهَا أَنْوَاعُ الْوَرْدِ والْأَزْهار . وفى وَسَطِ الْحَدِيقَةِ فِنَاءٌ فَسِيحٌ ، أُحِيطَتْ بهِ كَرَاسِىُّ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الْمُتَنَزِّهُونَ لِيَسْمَعُوا أَنْغَامَ الْمُوسِيقَا الَّتِى تَصْدَحُ فى بَعْضِ الْأَيَّام .

وبِها هَضْبَةٌ جَمِيلَةُ الْمَنْظَرِ ، نَظِيفَةُ الْمَسَالِكِ ، حَسَنَةُ النِّظَامِ ، يَقْصِدُها الزَّائِرُونَ لِيَسْتَمْتِعُوا بِطِيبِ هَوَائِها ، ويُشْرِفُوا مِنْها على الْمَارِّين ، ويَنْظُرُوا من قِمَّتِها إلى الْمَبَانِى الفَخْمَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِلْحَدِيقَةِ .

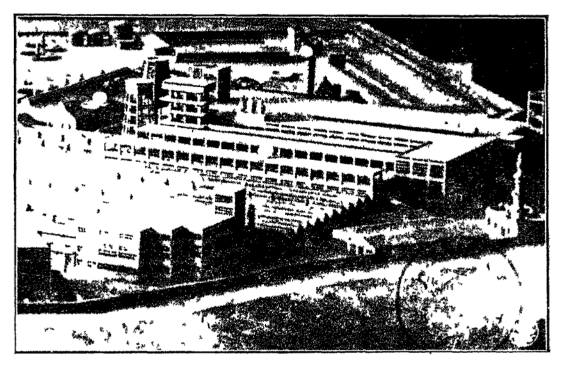
وفى أَحَدِ جَوانِبِ الْحَدِيقَةِ مَسْرَحٌ لِلتَّمْثِيل ، ودارٌ لِلْخَيَالَة . ولِسَعَتِها يُقَامُ فِيهَا كَثِيرٌ من الْحَفَلاتِ الْعَامَّة .

وهِىَ مُفَتَّحَةُ الْأَبْوابِ ، يَؤُمُّها الزَّائِرُونَ لِيَتَنَسَّمُوا هَواءَها ، ويَتَمَتَّعُوا بِمَنَاظِرِها ، وتَمْرَحَ أَطْفالُهُمْ على أَعْشَابِها الْجَمِيلَةِ وهُمْ آمِنُونَ مُطْمَئِنُّون .

---

٣٢ — النَّهْضَةُ الصِّنَاعِيَّةُ فِى مِصْرَ

كان يُقالُ إنَّ مِصْرَ بِلادٌ زِراعِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِلصِّنَاعَةِ ، ولَكِنَّ النَّهْضَةَ الْحَدِيثَةَ قَدْ بَرْهَنَتْ على خَطَإِ هذا الْقَوْلِ وبُعْدِهِ عن الصَّوَاب .



جزء من مصنع الغزل والنسج التابع لمصرف مصر بالمحلة الكبرى

وكيفَ لاَ تَكُون مِصْرُ بِلاَدًا صِنَاعِيَّةً وفيهَا كَثِيرٌ من الْمَوَادِّ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتى يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فى الصِّنَاعَة : كَالْقُطْنِ والكَتَّانِ والحَرِير والصُّوفِ والرَّمْل ، واللَّبنِ الَّذِى يُتَّخَذُ مِنْهُ الزُّبْدُ والْجُبْنُ ، والْفوَاكِهِ الَّتى يُمْكِنُ تَجْفِيفُهَا وحِفْظُهَا فى الْعُلَبِ وصُنْعُ الْمُرَبَّيَات والْأَشْرِبَةِ مِنْهَا ، والسَّمَكِ الَّذِى يُمْكِنُ أَنْ يُجَفَّفَ ويُمَلَّحَ ويُحْفَظَ فى الْعُلَب أَيْضًا ، والنِّفْطِ والْحَطَبِ والْخَشَبِ والتَّيَّاراتِ الْمَائِيَّةِ الَّتى يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُهَا فى إِدَارَة الْآلاَت .

وهَا هُمْ أُولاَءِ رِجَالُ مَصْرِفِ مِصْرَ يَعْمَلُون بِعَزْمٍ وحَزْمٍ ، ويَبْذُلُونَ جُهُودًا مُتَوَاصِلَةً فى اسْتِغْلاَلِ مَنَابِعِ الثَّرْوَةِ فى مِصْر ، وعَرْضِ الْمَصْنُوعَات الْمِصْرِيَّةِ فى أَسْوَاقِ مِصْر والشَّرْق . وقَدْ

ظَهَرَت ثمرَاتُ جُهُودِهِمْ فى إنعَاشِ الصِّنَاعَات الْمِصرِيَّة واستِقلالِ الْبِلاَد استِقلالاً اقتِصادِيًّا .

فَهَاهِىَ ذِى شَرِكَاتُ مِصرَ لِحَلْجِ الْقُطْن وَالْغَزْل والنَّسْجِ تَنْطِق بِمَا لَهُمْ من فَضْل ، وتَشْهَد بِمَا لَهُمْ من مَآثِر .

وإنَّنَا لَنَرَى ما تُخْرِجهُ هذه الشَّركاتُ من أنسِجةٍ مُخْتلِفةٍ؛ قُطْنِيَّةٍ وكَتَّانِيَّةٍ وحَرِيرِيَّة وغَيْرِها تَنْتَشِرُ فى طُولِ الْبِلادِ وعَرْضِها ، وتَغْمُرُ الأسْواقَ المِصْرِيَّةَ والشَّرقِيَّة حَتَّى أصْبَحَ فى مُتنَاوَلِ كُلِّ مِصْرِىٍّ أنْ يَلْبَس مَلابِسَ مِصْرِيَّة مُخْتَلِفَةَ الأنْواع ، رَخِيصَةَ الأثْمانِ لاَ تَقِلُّ فى جَوْدَتِها عَنِ الْملابس الأجْنَبِيَّةِ . وقَدْ نمت الصِّنَاعَاتُ الْمِصرِيَّةُ الْقَدِيمَةُ ، وبَلَغَت فى رُقِيِّهَا دَرَجَةً تَدْعُو إلى الارْتِياح والاغْتِبَاطِ ، ذلك كَصِنَاعة (الطَّرَابِيش) والأثَاثِ الْمَنْزِلِىِّ والأحْذِيَةِ وغَيْرِها من الْمَصْنُوعَاتِ الْمِصْرِيَّةِ .

فَالْوَطَن يَدْعُونَا أَنْ نُقَدِّرَ جُهُودَ الصَّانِعِ الْمِصْرِىِّ ، ونَنْتَفِعَ بِمَا تُخْرِجُ يَدَاهُ ، ونُفَضِّلَ مَا يَعْمَلُه على مَا يَعملُه سِوَاهُ . ولَنَا فى الْأَجَانِبِ قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ ؛ فَإنَّ كُلاًّ مِنْهُمْ يُفَضِّلُ مَصْنُوعَاتِ بِلاَدِهِ ، ولاَ يَدَّخِرُ وُسْعاً فى إسْعَادِ أبْنَاءِ وطَنِهِ .

٣٣ — غَرْسُ الْأَشْجَارِ وتَطْعِيمُهَا



تُنْقَلَ الْأَشْجَارُ الصَّغِيرَةُ من مَكَانٍ إلى آخَرَ لِتَنْمُوَ فِيهِ ، ويَجِبُ عِنْدَ نَقْلِهَا الاعْتِنَاءُ بِجُذُورِهَا حَتَّى لاَ تَتْلَفَ قَبْلَ غَرْسِهَا ، وذلك بِإِبْقَاءِ الطِّينِ عَلَيْهَا ولَفِّهَا .

ويَكْفِي لِوِقَايَةِ الْجُذُورِ أَنْ تُغْمَسَ فى الطِّينِ إِذَا كَانَ النَّقْلُ إلى مَكَانٍ قَرِيبٍ من مَغَارِسِ الْفَرْشِ .

وبَعْضُ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ تُقَلَّمُ عِنْدَ نَقْلِهَا ، فَتُقَصَّرُ سِيقَانُهَا الصَّغِيرَةُ إلى شِبْرٍ فَوْقَ الْقَاعِدَةِ ، ومن هذه الْأَنْوَاعِ أَشْجَارُ التُّفَّاحِ واللَّوْزِ والْمِشْمِشِ والْكُمَّثْرَى والْبَرْقُوق . ومن الْأَشْجَارِ مَا يُنْقَلُ بِدُونِ

تَقْلِيمٍ كَأَشْجَارِ الْبُرْتُقَالِ والْيُوسُفِيّ والْأَنْبَجِ (المانْجُو) ، ونَحْوِهَا مِمَّا لاَ يَسْقُطُ ورَقُه طُولَ الْعَامِ .

وتُحْفَظُ أَشْجَارُ الْفَوَاكِهِ من الآفَاتِ بِتَبْخِيرِهَا بِأَنْوَاعٍ من الْأَحْمَاضِ ، أَوْ بِحَقْنِهَا بِهَا ، فيُفِيدُهَا ذلك فَائِدَةً عَظِيمَةً ، وَيَقِي ثِمَارَهَا التَّلَفَ .

وبَعْضُ أَنْوَاعِ الْحَشَرَاتِ الطَّائِرَةِ كالنَّحْلِ يُلَقِّحُ الْأَزْهارَ بِمَا يَنْقُلُه من ذُكُورِ الْأَشْجَارِ إلى إِنَاثِهَا ، فَيَنْعَقِدُ الثَّمَرُ ويَكْثُرُ . وكَثِيرٌ من أَنْوَاعِ الْأَشْجَارِ يَصْلُحُ لِلتَّطْعِيمِ ؛ وذلك بأَنْ يُنْقَلَ غُصْنٌ من شَجَرَةٍ إلى شَجَرَةٍ أُخْرَى . وبِهَذَا التَّطْعِيمِ يَزْدَادُ حَجْمُ الثِّمَارِ ، وشَذَا الْأَزْهَارِ ، ويَتَوَلَّدُ مِنهَا أَصْنَاف جَدِيدَة .

---

٣٤ — اَلْإِسْكَنْدَرُ الْأَكْبَرُ وَالْجَوَادُ الْجَمُوحُ

كان في عَهْدِ فِيلِيبَ ملك مَقْدُونِيَا جوادٌ أَصيلٌ ذَائِعُ الصِّيت فَاشْتَراه الملك بِثَمَنٍ باهِظٍ . وكَانَ الْحِصانُ مَعَ أَصَالَتِهِ جَمُوحًا صَعْبَ الْقِيادِ ، يَهابُ الرِّجالُ رُكُوبَهُ والاقْتِرابَ منه . وحاوَلَ جُنُودُ الْمَلِكِ أَنْ يَرُوضوه باللِّينِ وبالشِّدَّةِ فَلَمْ يَسْتَطِيعوا تَذْلِيلَه . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِهِ .

وكَانَ لفيليب ابنٌ اسْمُهُ الإِسْكَنْدَرُ ، عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ هٰذا

الْجَوَادُ الْكَرِيمُ ، فَتَقَدَّمَ إِلى أَبِيهِ وقَالَ : « لاَ يَحْسُنُ أَنْ يُقتَلَ هذا الْفَرَسُ الأَصِيلِ ؛ فَلَوْ أَحْسَنَ هَؤلاَء الْجُنْدُ سِيَاسَتَه لَوَجَدُوهُ ذَلُولاً مُطِيعاً . »


الاسكندر الأكبر

قَالَ والِدُهُ : « أَتَسْتَطِيعُ أَنْتَ أَنْ تَسُوسَهُ يا إِسْكَنْدَرُ ؟ » فَقَالَ : « نَعَمْ يا أَبَتِ . » قَالَ : « وإِنْ لَمْ تَقدِرْ ؟ » فأَجابَهُ الإِسْكَنْدَر : « أَغْرَمُ ثَمَنَهُ . »

ودَهِشَ الْحَاضِرُونَ من جُرْأَةِ الإِسْكَنْدَر وزَعْمِهِ . ثُمَّ تقَدَّمَ الإِسْكَنْدَرُ إلى الْحِصَانِ فَحَوَّلَ رَأْسَهُ نَحْوَ الشَّمْسِ حَتَّى لاَ يَرَى ظِلَّهُ . وكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّ الْحِصَانَ خَائِفٌ من ظِلِّهِ . ثُمَّ رَكِبَهُ وجَرَى بِهِ أَشْوَاطاً وقَدْ سَلِسَ الْحِصَانُ وأَطَاعَ ، فَبُهِتَ الْحَاضِرُونَ وصَاحُوا إِعْجَاباً .

ومَا زَالَ الإِسْكَنْدَرُ يَرْكُضُ الْحِصَانَ حَتَّى أَتْعَبَهُ ، ثُمَّ تَرَكَهُ وأَقْبَلَ على والِدِهِ فضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وقَالَ :

« يَا بُنَيَّ ! اِلْتَمِسْ لِنَفْسِكَ مَمْلَكَةً أَكْبَر من هذه ؛ فإِنَّ مَقْدُونِيَا لاَ تَتسِعُ لِهِمَّتِكَ . »

٣٥ — فى النُّصْـــح

قال المرحوم عبد الله فكرى باشا ، المتوفَّى سنة ١٣٠٧ هـ ينصح أبنه



إِذَا نَامَ غِـرٌّ فى دُجَى اللَّيلِ فَاسْهَرِ
وقُمْ لِلمَعَالِى والْعوَالِى وَشَمِّـــرِ

وخَلِّ أَحَادِيثَ الأَمَانِىِّ إِنَّهـــا
عُلالَةُ نَفْسِ العَاجِزِ الْمُتَحَـــيِّرِ

وسَارِعْ إِلى مَا رُمْتَ ما دُمْتَ قَادِراً
عَلَيْـهِ وإِنْ لَمْ تُبْصِرِ النُّجْحَ فاصْبِرِ

وأَكْثِرْ من الشُّورَى فَإِنَّكَ إِنْ تُصِبْ
تَجِدْ مَادِحاً أَوْ تُخْطِئِ الرَّأْىَ تُعْـــذَرِ

وَلَا تَسْتَشِرْ فِى الْأَمْرِ غَيْرَ مُجَرِّبٍ
لِأَمْثَالِهِ أَوْ حَازِمٍ مُتَبَصِّرِ

وعَوِّدْ مَقَالَ الصِّدْقِ نَفْسَكَ وارْضَهُ
تُصَدَّقْ ولَا تَرْكَنْ إِلى قَوْلِ مُفْتَرِ

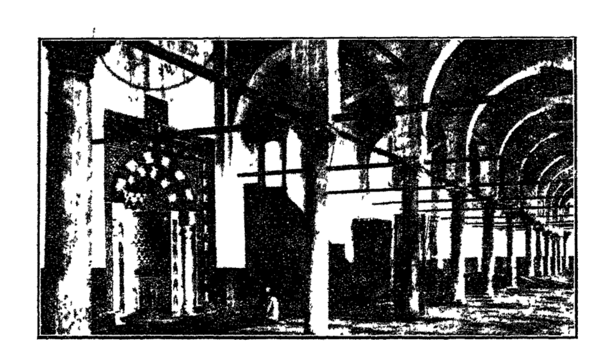
ولَا تَقْفُ زَلَّاتِ الْعِبَادِ تَعُدُّهَا
فَلَسْتَ على هذا الْوَرَى بِمُسَيْطِرِ

---

٣٦ — عَمْرُو بْنُ الْعاص

هو عَمْرُو بْنُ العاصِ بْنِ وائِلٍ الْقُرَشِيُّ ، مِنْ دُهاةِ الْعَربِ وشُجْعَانِهم . أَسْلَمَ سَنَةَ سَبْعٍ من الْهِجْرَة ، وهاجَر إلى الْمدِينَةِ ، فَصَحِبَ رَسُولَ اللهِ صُحْبَةً حَسَنَةً ، وكَانَ مُحَبَّباً إِلَيهِ . ولَقَدْ رُوِىَ عنه أَنَّهُ قال : « ما عَدَلَ بِى رَسُولُ اللهِ ، وبِخَالِدِ بنِ الْوَلِيدِ أحَداً من أَصْحَابِهِ فى حَرْبٍ مُنْذُ أَسْلَمنَا . »

كان عَمْرٌو فى الجاهِلِيَّةِ يَخْتَلف إلى مِصرَ والشَّام بالتِّجارةِ ، وكَانَ أحدَ قُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ فى فُتوح الشَّام، فلما فُتِحَتْ أشَارَ على الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بِفَتْحِ مِصْرَ ، فَسَيَّرَهُ إِلَيهاَ فى أَربعةِ آلاف جُنْدِيٍّ ، ثم



منظر لجامع عمرو بن العاص من الداخل

أَمَدَّه بِثَمانِيَة آلافٍ ، فَأَتَمَّ فَتْحَ مِصْرَ وطَرابُلسَ . ثُمَّ أَمَرَ بِبِناء مَدينَة الْفُسْطاط « مِصْرَ الْقَدِيمَة » ؛ فَاخْتَطَّ مُهَنْدِسوهُ لِكُلِّ قَبيلَةٍ خِطَّةً ، وبَنَى مَسْجِدَهُ الْمَعْرُوف بِمَسْجِد عَمْرو ، وهوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ بِمِصْرَ . وقَدْ وُسِّعَ بِناؤُه بَعْدَ ذلك فى عُصورٍ مُخْتَلِفَة ، ولا يَزالُ قائِماً مَفْتُوحًا لِلصَّلاة . ويُصَلِّى فِيهِ مَلِكُ مِصْرَ آخِرَ جُمُعَةٍ من رَمضان .

وقَدْ عُزِل عَمْرٌو عن وِلايَة مِصْرَ فى عَهْدِ عُثْمانَ بْنِ عفَّانَ ، ثُمَّ وَلِيَها فى خِلافَةِ مُعاوِيَةَ بْنِ أَبى سُفْيانَ ، وَاسْتَمَرَّ والِيًا عَلَيْها حَتَّى تُوُفِّىَ بَعْدَ أَنْ جاوَزَ الثَّمانِينَ . ودُفِن بِالْمُقَطَّم سنة ثلاثٍ وأَرْبعينَ من الْهِجْرَة .

وكَانَ عَمْرٌو ذَكِيًّا يُضْرَبُ بِدهائِهِ الْمَثَلُ ، كَمَا كَانَ من أَقْدَرِ الْعَرَبِ عَلَى سِيَاسَةِ الْمُلْك وتَدْبِيرِ الْأُمُورِ ، وقَدْ عُنِيَ بِشُئُون مِصْرَ فَأَصْلَحَ أَرْضَهَا ، وَشَقَّ بِهَا الْجَدَاوِل ، وسَاسَ الرَّعِيَّةَ بِالْعَدْل والرِّفْقِ .

---

٣٧ — جورج واشنطون

فى أَثْنَاءِ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّة (١٧٧٦ — ١٧٨٣ م) أُرْسِلَتْ ثُلَّةٌ صَغِيرَةٌ من الْجُنُودِ الْأَمْرِيكيِّين لِبنَاء حِصْنٍ حَرْبِيٍّ على شَاطِئِ الْبَحْرِ .

وذَاتَ يَوْمٍ رَغِبَ الْقَائِدُ (جُورْجُ واشِنْطُون) فى مَعْرِفَةِ مَا بُنِيَ من ذلك الْحِصْنِ ، فَذَهَبَ إلى مَكَانِ الْبِنَاء مُسْتَخْفِياً .

فَلَمَّا وصَلَ إلى مَوْضِعِ الْحِصْنِ رَأَى الْجُنُودَ يُحَاوِلُون رَفْع كُتْلَةٍ ثَقِيلَةٍ من الْخَشَب ، صَعُبَ عَلَيْهِم رَفْعُهَا . وكُلَّمَا حَاوَلُوا ذلك سَقَطَتْ من أَيْدِيهِم ، ولَمْ يَتَقَدَّم الضَّابِطُ الْمُشْرِفُ عَلَى الْبِنَاء لِمُسَاعَدَتِهم فى حَمْلِهَا ، بل أَخَذَ يُوَبِّخُهُم وَيَلُومُهُمْ . فَذَهَب إِلَيْهِ « واشِنْطُونُ » وسَأَلَهُ : « لِمَاذَا لاَ تُسَاعِدُهُمْ فى رَفْعِهَا ؟ » فَأَجَابَه الضَّابِطُ غَاضِباً وهُو لاَ يَعْرِفُه : « أَلاَ تَعْلَمُ أَنِّى ضَابِطٌ ؟ كَيْف يُسَاعِد الضَّابِطُ الْجُنُودَ يا سَيِّدِى ؟ »

فَرَفَعَ « واشِنْطونُ » قُبَّعَتَه وقَال بِكُلِّ هُدوءٍ : « إِنِّى لَمْ أَعْلَمْ ذلك ، أَرْجو الْمَعْذِرَة يَا سَيِّدى . » ثُمَّ نَزَلَ واشِنْطُونُ عَنْ جَوَادِه ، وخَلَعَ مِعْطَفَهُ ، وأَخَذَ يُسَاعِدُ الْجُنُودَ بِكُلِّ ما أُوتِىَ من قُوَّة ، حَتَّى رُفِعَت الْكُتْلَة ، ووُضِعَتْ فى مكانِهَا . وبَعْدَ أَن انْتَهى الْقَائِدُ الأَكْبَرُ من مُساعَدَةِ الْجُنودِ ذَهَب إِلى الضَّابِطِ وقَال :

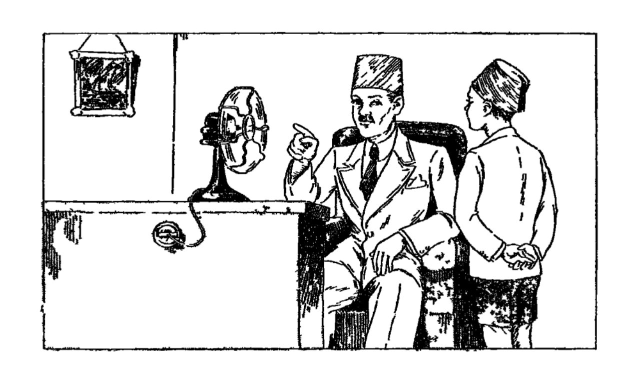


جورج واشنطون محرر أمريكا

« إِذَا كُلِّفْتَ يَوْمًا عَمَلاً كَهذا ، ولَمْ تَجِدْ لَدَيْك الْعَدَدَ الْكَافِىَ من الرِّجال فَأَرْسِلْ إِلى رَئِيسِك « واشِنْطُونَ » فَإِنِّى أَحْضُر لِمُسَاعَدَتك مَسْرُورا . »

فَذَهَل الضَّابِط لِهَذِه الْمُفَاجَأَةِ . ولَمْ يَنْسَ بَعْدُ هذا الدَّرْسَ الْمُفِيدَ الَّذِى تَلَقَّاه عَن « واشِنْطُونَ » الْعَظِيم

٣٨ ـ اَلْمِرْوَحَةُ الْكَهْرَبِيَّة



حَسَنٌ : « ما هذا الَّذِى أَرَاهُ على مَكْتَبِكَ يا وَالِدِى ؟ »

اَلْوَالِدُ : « هذه — يا حَسَنُ — مِرْوَحَةٌ كَهْرَبِيَّةٌ . »

حَسَنٌ : « وما فائِدَةُ الْمِرْوَحَةِ الْكَهْرَبِيَّة ؟ »

اَلْوَالِدُ : « يَسْتَعْمِلُها النَّاسُ فى الصَّيْف ؛ لِتَجْدِيد الْهَوَاء ، والتَّخْفِيف من شِدَّة الْحَرَارَة . وإِذَا ذَهَبْتَ إِلى إِحْدَى دُورِ الْحُكومَة وجَدْتَ مَرَاوِحَ كَهْرَبِيَّةً مُتَنَوِّعَةً فى مَكاتِب كِبَار

الْمُوَظَّفِين . وكذلك تَرَى فى بَعْضِ مَحالِّ التِّجارَةِ الْكُبْرَى مَرَاوِحَ كَبِيرَةً فى السُّقُفِ تَدُورُ فَتُلَطِّفُ حَرارَةَ الْجَوِّ . »

حَسَنٌ : « وما الَّذِى يُدِيرُ الْمِرْوَحَةَ يا أَبِى ؟ »

اَلْوَالِدُ : « يُدِيرُها تَيَّارٌ كَهْرَبِىّ ، وَلِذَا تُسَمَّى « الْمِرْوَحَةَ الْكَهْرَبِيَّةَ . »

حَسَنٌ : « وكَيْفَ يَأْتِى لَهَا التَّيَّارُ الْكَهْرَبِىّ ؟ »

اَلْوَالِدُ : « اُنْظُرْ يا حَسَنُ ! هُنا مَجْمُوعَةٌ منَ الْأَسْلاكِ ، مُغَطَّاةٌ بِنَسِيجٍ حَرِيرِىّ مَتِين ، فَإِذا رَأَيْتَها ظَنَنْتَ أَنَّها حَبْلٌ من الْقُطْنِ أَو الْكَتَّان ، مَع أَنَّ بِداخِلِها أَسْلاكاً مُتَعَدِّدَةً ، هِىَ الَّتى تُوَصِّل التَّيَّارَ الْكَهْرَبِىَّ إِلى الْمِرْوَحَة . وَأَنْتَ تَرَاها مُتَّصِلَةً بِالْمِرْوَحَة من طَرَفٍ ، وبالتَّيَّارِ الْكَهْرَبِىّ الْعامِّ منَ الطَّرَف الآخَر . »

حَسَنٌ : « اَلْمِرْوَحَة واقِفَةٌ الآنَ . وَأُرِيدُ أَنْ تُبَيِّنَ لى كَيْفَ تَدُور . »

اَلْوَالِدُ : « اُنْظُرْ يا حَسَن ، هذه الْوُصْلَةُ الَّتى تَراها مُثَبَّتَةً فى طَرَفِ الْأَسْلاكِ — إِذا وُضِعَتْ فى « الْبِرْزَة » دَارَت الْمِرْوَحَة . »

نَظَرَ حَسَنٌ إِلى الْمِروَحة ، فَرَآها واقِفَةً كما كانَتْ ، فقالَ :
« ما هذا يا وَالِدِى ؟ إِنَّ المِرْوَحَة لَمْ تَتَحَرَّكْ فَهَلْ بِها خَلَلٌ ؟ »

اَلْوَالِدُ : « لا يا حَسَنُ ! لَيْسَ بالْمِرْوَحَةِ خَلَلٌ ، ولَكِنِّى نَسِيتُ أَنْ أَفْتَحَ طَرِيقَ التَّيَّارِ الْكَهْرَبِىّ ، ولِذَا لَمْ تَتَحَرَّكْ المِرْوَحَة . »

حَسَنٌ : « أَرْجُو أَنْ تَفْتَحَ طَرِيق التَّيَّارِ ، فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَرَى المِرْوَحَة دائِرَة . »

اَلْوَالِدُ : « أُنْظُرْ ! هـذا هُوَ المِفتَاحُ ، تَرَاهُ فى قاعِدَة المِرْوَحَة ، وسَأُحَرِّكُهُ إِلى جِهَة الحَائِط ، فَتَدورُ المِرْوَحَة . »

وحَرَّكَ الْوَالِدُ المِفْتَاحَ ، فَدَارَت المِرْوَحَةُ ، ورَآها حَسَنٌ تَدُور ، وأَحَسَّ الْهَوَاءَ يَتحَرَّكُ ، وَأَدْرَكَ أَنَّ حرارَةَ الْغُرْفَةِ قَد انْخفَضَتْ ، فَسُرَّ كَثيرًا . وزَادَ سُرُورُه لَمَّا رَأَى المرْوحة تَتَحَرَّكُ يَميناً وشِمالاً ، وهِىَ تَدُورُ . فقالَ لِوَالِدِهِ : « أُنْظُرْ يا وَالِدِى ! إِنَّ المرْوَحَة تَتَحَرَّكُ من الْيَمِينِ إِلى الشِّمال فلِمَاذَا ؟ »

اَلْوَالِدُ : « تَتَحَرَّكُ المرْوَحَةُ كما تَرَى ؛ لِيَتَرَوَّحَ بِها جَمِيعُ الْجَالِسِين ، ولِيَتَجَدَّدَ الْهَواءُ ، وتَقِلَّ الْحَرَارَة فى جَمِيع جَوانِبِ الْغُرْفَة . »

حَسَنٌ : « حَسَنٌ جِدًّا ، ولَكِن ما الَّذِى يَجْعَلُها تَتَحَرَّكُ هكذا ؟ »

اَلْوَالِدُ : « التَّيَّارُ الْكَهْرَبِىُّ أَيْضًا هُوَ الَّذِى يُحَرِّكُهَا . وفى وَسَطِ الْمِرْوَحَةِ تَرَى مِسْمارًا لَهُ رَأْسٌ على شَكْلِ قُرْصٍ ؛ فَإِذا لَوَيْتَ هذا الْمِسْمارَ إِلى الْخَارِجِ تَحَرَّكَتِ المرْوحة ، وإذا لَوَيْتَه إِلى الدَّاخِلِ وقَفَتْ . »

حَسَنٌ : « أَشْكُرُكَ يا وَالِدى ؛ فَإِنَّكَ قَدْ عَلَّمْتَنِى أَشْياء عَن الْمِرْوَحة الْكَهْرَبِيَّة لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُها من قَبْلُ . »

---

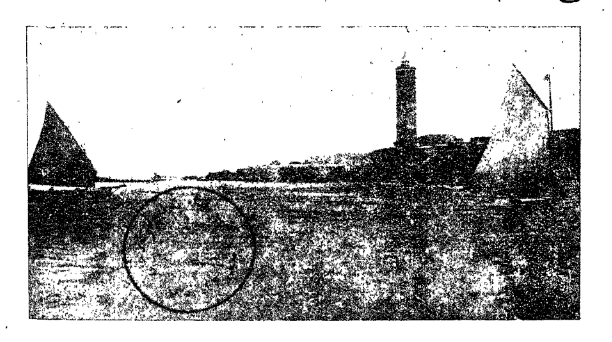
٣٩ — اَلإِسكَنْدَرِيَّةُ



محطة الرمـــل بالإسكندرية

اَلإِسكَنْدَرِيَّةُ مدينةٌ من أَعظَمِ مُدُنِ الدُّنْيَا ، وَأَقْدَمِهَا حضارةً .

بناها الإسكندرُ المَقْدونِيُّ سَنَةَ إحدى وثلاثينَ وثلثمائةٍ قبلَ الميلادِ على شاطئِ البحرِ الأبيضِ المُتوَسِّطِ ، وجعَلها حاضِرةَ الدِّيارِ المصريَّةِ ؛ فعظُمَ عُمرانُها ، واتَّسع نِطاقُها ، وأَهِلَت بالقُصورِ الشَّامِخَةِ ، والمباني الضَّخْمةِ ، والمعابدِ العظيمةِ ، ودورِ العِلْمِ الواسعَةِ ، وخِزاناتِ الكُتُبِ الجامِعَةِ ، والحصونِ المنيعَةِ ، والمتاجِرِ الكبيرةِ ، والحدائقِ الغَنَّاء ، والملاهي الكثيرةِ . وجَمعتْ من العَجائبِ ما يَشْهَدُ ببراعَةِ مُلوكِها السَّابقينَ في كثيرٍ منَ الفُنونِ ، ومَهارَةِ ساكِنيها الأقْدَمينَ في أنواعِ العلومِ .



منــارة الإسكندرية

فَمِنْ عجائِبها : المَنَارَةُ العظيمةُ الَّتي بُنِيَت على شَكْلٍ بَدايعٍ ، لِتكونَ مَرْقَباً تُرْقَبُ مِنْهُ سُفُنُ الأَعْداء ، ومَناراً يهتَدي بِنورِها

المَّلاحونَ . وكان بِتِلْكَ المَنارَةِ مِرْآةٌ عَظيمةٌ تَنْعَكِسُ عَلَيْها صُوَرُ السُّفُنِ حينما تَظْهَرُ في الْأُفُقِ مِنْ مَسافاتٍ بَعيدَةٍ .

ومِنْها عَمودُ السَّوارِي الَّذِي بُنِيَ بِأَحْجارٍ ضَخْمَةٍ ، وكَانَ يَبْلُغُ ارْتِفاعُهُ نَحوَ سَبْعِينَ ذِراعاً .

وكان بِها مَلْعَبُ كُرَةٍ يَسَعُ الألوف المُؤَلَّفَةَ ؛ يَجْتَمِعُ فِيهِ المُلوكُ والأَشْرَافُ في يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ ، مَعَ عددٍ عظيمٍ من الرَّعِيَّةِ ومَعَهُمْ كُرَةٌ من ذَهَبٍ يترامَوْنَ بِها ، ويَتَلَقَّوْنَها بِأَكْمامِهم

هذا وقد بَقِيَت الإسكنْدَرِيَّةُ حاضِرَةَ الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ إلى أَنْ فَتَحَ مصرَ عَمْرُو بنُ الْعاصِ سنة عِشْرِينَ من الهِجْرَةِ في خِلافَةِ أَميرِ المُؤْمنينَ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ؛ فَبَنَى مَدينَةَ الْفُسْطاطِ ، وجعَلَها مقرَّ مُلْكِهِ ، فتَوافَدَ إلَيْها السَّراةُ والْأشْرافُ ، وأَخَذَ شَأْنُ الإسكَنْدَرِيَّةِ يَضْعُفُ ، وأَتَتِ الأيَّامُ على كثيرٍ من مَبانِيها .

ولَمَّا ولِيَ مِصرَ محمَّدُ عليّ « باشا » ، عُنِيَ بِها عِنايَةً كَبِيرَةً ؛ فجَدَّدَ ميناءها الْغَرْبِيَّ ووَسَّعَهُ ، وَأَنْشَأَ بِهَا داراً لِصِناعَةِ السُّفُنِ ، وأقامَ مَنَاراً جَدِيدًا ، وبَنَى قَصْراً فَخْماً في رَأْسِ التِّينِ ؛ لِيُشْرِفَ على ما بِها من أَعْمالٍ بِنَفْسِهِ .

وقَدْ نالتْ من عِنايَةِ من أَتى بَعْدَهُ من الوُلاةِ نَصيباً عَظيماً ، فأخَذَتْ تَسْتَعيدُ سِيرتَها الأُولَى ، وقَصَدَها أَعيانُ مِصْرَ وَسَراتُهَا ، وأَمَّها كثيرٌ من الأَجَانِبِ ، وَاتَّخَذوها دارَ إِقامَةٍ لَهُمْ ؛ فَارْتَقَى شَأْنُهَا واتَّسعَ عُمْرانُها ، وعَظُمَتْ تِجارَتُها ، وأصْبَحَتْ أَكْبَرَ مدينةٍ تِجاريَّةٍ فى إِفْرِيقِيَّةَ ، ومَصيفاً من أَجْمَلِ الْمَصَايِفِ ، وميناءً عَظيماً تَمُرُّ بِهِ السُّفُنُ الآتِيَةُ من الشَّرْقِ وأُورُبَّا . وبِها فَنَادِقُ مُنَظَّمةٌ ، وقُصُورٌ شاهِقَةٌ ، وَشَوَارِعُ نَظيفةٌ فَسيحَةٌ ، وحدائِقُ مُنَسَّقَةٌ جَمِيلَةٌ . وَيُعَدُّ شارِعُ (الْكورْنيش) من أَجملِ شَوَارِعِ الْعَالَمِ ؛ لِطُولِهِ وَحُسْنِ نِظامِهِ ، وإِشْرَافِهِ على البَحْرِ .

ولِلْحُكُومَةِ بِها مَبانٍ فَخْمَةٌ ، من مَلَاجِئَ ، ومُسْتَشْفَياتٍ ، ومَعاهِدَ عِلْمِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

وهِيَ الآنَ الْحَاضِرَةُ الثَّانِيَةُ ؛ يَقْضِي بِها الْمَلِكُ والْوُزَرَاءُ وبَعْضُ الْمُوَظَّفِينَ أَشْهُرَ الصَّيْفِ ، ويَذْهَبُ إِلَيْهَا النَّاسُ على اخْتِلَافِ طَبقَاتِهِمْ لِيَصْطَافُوا بِهَا مُتَمَتِّعِينَ بِهَوَائِهَا الْبَحْرِيِّ ، وَمسابِحِها الْكَثِيرَةِ ، ومُتَنَزَّهاتِها الْواسِعَةِ .

٤٠ ـ الحـــرِّيَّةُ

للمرحوم السيد مصطفى المنفلوطى

اِسْتَيْقَظْتُ فَجْرَ يَوْمٍ من الْأَيَّامِ على صَوْتِ هِرَّةٍ تَمُوءُ بِجَانِبِ فِرَاشِي ، وتَتَمَسَّحُ بِى ، وتُلِحُّ فى ذلك إلْحَاحًا غَرِيباً ، فرَابَنِي أَمْرُهَا ، وأَهَمَّنِي هَمُّهَا ، وقُلْتُ : لَعَلَّهَا جَائِعَةٌ ! فَنَهَضْتُ وأَحْضَرْتُ لَهَا طَعَاماً فَعَافَتْهُ وانْصَرَفَتْ عَنْهُ . فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا ظَمْأَى ! فَأَرْشَدْتُهَا إلى الْمَاءِ فَلَمْ تَحْفِلْ بِهِ ، وأَنْشَأَتْ تَنْظُرُ إلَيَّ نَظَرَاتٍ تَنْطِقُ بِمَا تَشْتَمِل عَلَيْهِ نَفْسُهَا من الْآلَامِ والْأَحْزَانِ ، فَأَثَّرَ فى نَفْسِي مَنْظَرُهَا تَأْثِيراً شَدِيداً حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ سُلَيْمَانَ ، أَفْهَمُ لُغَةَ الْحَيَوَانِ ، لِأَعْرِفَ حَاجَتَهَا ، وأُفَرِّجَ كُرْبَتَهَا . وكَانَ بَابُ الْغُرْفَةِ مُرْتَجًا ، فَرَأَيْتُ أَنَّهَا تُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وتَتَلَصَّقُ بِى كُلَّمَا رَأَتْنِي أَتَّجِهُ نَحْوَهُ ، فَأَدْرَكْتُ غَرَضَهَا ، وعَرَفْتُ أَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ أَفْتَحَ لَهَا الْبَابَ ، فَأَسْرَعْتُ بِفَتْحِهِ ، فَمَا وَقَعَ نَظَرُهَا على الْفَضَاء ، ورَأَتْ وَجْهَ السَّمَاء ، حَتَّى اسْتَحَالَتْ حَالُهَا من حُزْنٍ وهَمٍّ ، إلى غِبْطَةٍ وسُرورٍ ، وانْطَلَقَتْ تَعْدُو فى سَبِيلِهَا .

فَعُدْتُ أُفَكِّرُ فى أَمْرِ هـذه الْهِرَّةِ، وأَعْجَبُ لِشَأْنِهَا، وأَقُولُ: هَلْ تَفْهم الْهِرَّةُ مَعْنَى الْحُرِّيَّة فَهِىَ تَحْزَنُ لِفِقْدَانها، وتَفْرَحُ بِلِقَائِهَا؟ أَجَلْ! إِنَّهَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْحُرِّيَّة حَقَّ الْفَهْم، ومَا كَانَ حُزْنُهَا وبُكَاؤُهَا وإِمْسَاكُهَا عن الطَّعَامِ والشَّرَابِ إِلاَّ من أَجْلِهَا، ومَا كَانَ تَضَرُّعُهَا ورَجَاؤُهَا وتَمَسُّحُهَا وإِلْحَاحُهَا إِلاَّ سَعْياً وراء بلُوغِهَا.

وهُنَا ذَكَرْتُ أَنَّ كَثِيراً من أَسْرَى الاِسْتِبْدَادِ من بَنِى الْإِنْسَانِ لاَ يَشْعُرُونَ بِمَا تَشْعُرُ بِهِ الْهِرَّة الْمَحْبُوسَة فى الْغُرْفَة، والطَّيْرُ الْمُعْتَقَلُ فى القَفَص — من أَلَمِ الْأَسْرِ وشَقَائِهِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ من بَيْنِهِمْ مَنْ لاَ يُفَكِّرُ فى وجْهِ الْخَلاَص، أَوْ يَتَلَمَّس السَّبِيلَ إِلى النَّجَاةِ مِمَّا هُوَ فِيهِ.

لاَ سَبِيلَ إِلى السَّعَادَةِ فى الْحَيَاةِ إِلاَّ إِذَا عَاشَ الْإِنْسَان فِيهَا حُرًّا طَلِيقاً، لاَ يُسَيْطِرُ عَلَيْهِ مُسَيْطِرٌ إِلاَّ أَدَب النَّفْسِ.

الْحُرِّيَّة شَمْسٌ يَجِبُ أَنْ تُشْرق فى كُلِّ نَفْس، فَمَنْ عَاشَ مَحْرُومًا مِنْهَا، عَاشَ فى ظُلْمَةٍ حَالِكَةٍ.

الْحُرِّيَّة هى الْحَيَاةُ، ولَوْلاَهَا لَكَانَتْ حَيَاةُ الْإِنْسَان أَشْبَهَ بِحَيَاةِ اللُّعَبِ الْمُتَحَرِّكَةِ فى أَيْدِى الْأَطْفَالِ بِحَرَكَةٍ صِنَاعِيَّةٍ.

لَيْسَت الْحُرِّيَّةُ فى تَارِيخ الْإِنْسَان حَادِثًا جَدِيداً، أَوْ طَارِئًا غَرِيبا، وإِنَّمَا هى فِطْرَتُهُ الَّتِي فُطِرَ عَلَيهَا، مُذْ كَانَ وحْشًا يَتَسَلَّق الصُّخُور، ويَتَعَلَّقُ بِأَغْصَانِ الْأَشْجَارِ.

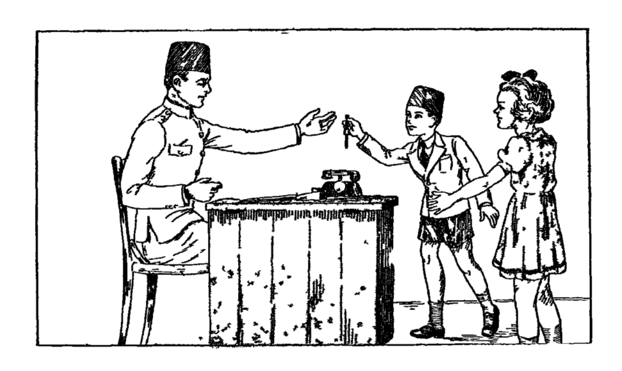
إنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِى يَمُدُّ يَدَهُ لِطَلَبِ الْحُرِّيَّةِ لَيْسَ بِسَائِلٍ ولاَ مُسْتَجْدٍ، وإِنَّمَا هُوَ يَطْلُبُ حَقًّا من حُقُوقِهِ الَّتِي سَلَبَتْهُ إِيَّاهَا الْمَطَامِعُ الْبَشَرِيَّة، فَإِنْ ظَفِرَ بِهَا فَلاَ مِنَّةَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِ، ولاَ يَدَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ.

---

٤١ — اَلسَّاعَةُ الْمَفْقُودَةُ

نَجَحَتْ سَلْمَى فى امْتِحانِ إتمامِ الدِّرَاسَةِ الابْتِدَائِيَّةِ، وكانَتْ مُتَقَدِّمَةً فى ترتيبها، فَبَرَّ أَبُوها بِوَعْدِهِ، واشْتَرى لها ساعَةً ذَهَبِيَّةً؛ مُكَافَأَةً لَهَا على جِدِّها واجْتِهادِها، وتَشْجِيعاً لها على تَقَدُّمِها.

وفى ذَاتِ يَوْمٍ دَعَتْهَا صَدِيقَةٌ لَهَا لِتَشْرَبَ (الشَّاىَ) بِمَنْزِلِها بِحَدائِقِ الْقُبَّة، فَلَبَّتْ دَعْوَتَهَا وخَرَجَتْ من مَنْزِلِها. وَبَيْنَما كانَتْ وَاقِفَةً تَنْتَظِرُ مَجِىءَ الْحافِلَةِ إِذْ رَأَتْ طِفْلا يَدْنُو مِنْها، ثُمَّ يَنْحَنِي وَيَلْتَقِطُ شَيْئاً من الأَرْض بِسُرْعَة، وَيَدُسُّه فى جَيْبِهِ، فَلَمْ تَعْبَأْ بِهِ، ولَمْ تَهْتَمَّ لذلك الأَمْر؛ لِأَنَّها لَمْ تُحِسَّ شيئاً سَقَطَ مِنْها.



ولمْ تمضِ دقائقُ حتَّى كانتْ سلْمَى بجانبِ صديقتِها ليلى تحدِّثها وتأْنَسُ بِها ، ثم شربَتا (الشَّاىَ) معاً فى حديقةِ المنزِلِ بيْنَ تغريد الطُّيور ، وشقْشقةِ العصافِير ، وخرِيرِ المِياهِ ، وحفِيفِ الأوْراق ، وبيْنَ تِلك المناظِرِ الطَّبيعيَّةِ الَّتِي تبْدُو فى حُلَلِهَا الجْمِيلَة ، فتَبْعثُ فى النَّفْسِ الرَّوْعَةَ والجْمَالَ .

ولما آذَنتِ الشَّمْسُ بِالْمغيبِ همَّتْ سلْمَى بِالنَّظَر إلى السَّاعة الَّتِي يدها ، ولكن لَشدَّ ما كانتْ حيْرَتُها حينما لمْ تجدْها . وآنئذٍ تذكَّرتْ ذلك الطِّفْلَ الذى رأَتْه يلتقِطُ شيْئاً من الأرْض ، وأيْقنَتْ أنَّ السَّاعَة لَنْ تعودَ إليها مرَّةً أُخْرَى ، فأَشارَتْ إلَيْها صدِيقتها بِضرُورَةِ الإعْلانِ عن فقْدِها ، وأنَّها مُسْتَعِدَّةٌ لِأَنْ تدْفعَ لِمَنْ يرُدُّ

السَّاعَةَ (جُنيها) مصريا مُكافَأةً لَهُ .

فَعَمِلَتْ سَلْمى بِنَصِيحَةِ أُخْتِهَا ، وانْتَظَرَتْ تَرْقُبُ نَتِيجَةَ هذا الْعَمَل .

رَجَعَ الطِّفْلُ إلى مَنْزِلِهِ ومَعهُ السَّاعَةُ الذَّهَبِيَّة ، وقَدْ خَبَّأَهَا فى جَيْبِهِ ، وفَرِحَ بها فَرَحاً شَدِيداً ، ولكنهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهَا والِدَه ، بَلْ أَسَرَّ الْخَبَرَ إلى أَخِيه الكبير ، فَلَمَّا سَمِعَ حَدِيثَهُ انْتَفَضَ انتِفَاضَةً شَدِيدَةً ، وأَنَّبَهُ على فِعْلِهِ ، وقال لَهُ : « لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ هذه السَّاعَةَ إلى صاحِبَتِهَا ؟ أَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِصًّا ؟ »

فقال : « إِنِّى وجَدْتُها مُلْقَاةً على الأَرْضِ . » فقال لَهُ : « أَلَمْ تَجِدْ بجانبها تِلْكَ الْفَتَاةَ ؟ ولِمَ لا تكون هذه السَّاعَةُ ساعَتَها ؟ » فَتَوسَّل إلى أخيه الأكبر أَنْ يَرْحَمَهُ ، وَوَعَدَهُ أَلاَّ يَعُودَ لِمِثْل هذا أَبَدًا .

فَأَخَذَهَا أَخُوه ، وذَهَبَ بها إلى أَقْرَبِ مَرْكَزٍ للشُّرَط ، ثُمَّ دَخَلَ على الضَّابِط بعد أَنِ اسْتَأْذَن ، وقَدَّم إِلَيْهِ السَّاعة . وفى تِلْكَ اللَّحْظَةِ كان الضَّابِطُ يَتَصَفَّحُ صَحِيفَةً فيهَا خَبَرُ تلكَ السَّاعَةِ وأَوْصَافُها ، وسَرْعانَ ما اتَّصَلَ بِالْفَتَاةِ بِالْمِسَرَّةِ .

فَلَمَّا حَضَرت قدَّمَ لَها السَّاعةَ ، فكادَتْ تَطِيرُ فرحاً ، فقال لها : « اُشْكُرِى هذا الْفَتَى الأَمِينَ . » فَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وقالت لَهُ :

« أأنتَ الَّذِي وجَدْتَ السَّاعةَ ؟ » قال : « لا . ولكنَّ غُلاَماً لا يَعْرِفُ الْوَاجِبَ عَلَيهِ الْتَقَطَهَا من الطَّرِيق ، وظَنَّ أَنَّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَها . »

فَشَكَرتُه ، وقدَّمتُ لهُ الْمُكَافَأةَ فَأَبَى ، وقالَ : « إِنَّ أَبِي عَوَّدَنَا مُنْذُ الصِّغَرِ أَنْ نَكُونَ أُمَنَاءَ . ولاَ أُحِبُّ أن آخُذَ شَيْئاً جَزَاءَ أمانَتِي وَوَفائِي . »

فَكانَ إِعْجابُ الضَّابِطِ والْفَتَاةِ بِمُرُوءَته عَظِيماً .

---

٤٢ — وصْفُ مِصْر

قال نَجِيبُ الْحَدَّاد المتوفَّى سنة ١٨٩٩م يَمْدَحُ مِصْر والْمِصْرِيِّين .

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٌ وسَلاَمُ وسَقَاكِ من صَوْبِ الْغَمامِ رُكَامُ
بَلْ أَنتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَهْمِي فَإِنَّ النِّيل فِيكِ غَمَامُ
نَهْرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ فَتَكَادُ أَنْ تُمْحَى بِطُهْرِ مِيَاهِهِ الآثَامُ
ويَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلاَلَه يُشْفَى الْعَلِيلُ وتَذْهَبُ الْأَسْقَامُ
تَحْيَا الْبِلاَدُ بِمَائِهِ فَكَأَنَّهُ الـرُّوح الَّتِي تَحْيا بِهَا الْأَجْسَامُ

*
* *

إنْ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِي أَكْدَارِهِ صَفْوٌ وفى فَيَضَانِهِ إِنْعَامُ
لَبِسَتْ من الْمَجْدِ الْقَدِيمِ مَطَارِفًا ولَهَا من الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وِسَامُ
أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا فى الدَّهْرِ مَا لاَ تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
بُنْيَانُ عِزٍّ فى السُّطُورِ مُخَلَّدٌ وبِنَاءُ مَجْدٍ فى الصُّخُورِ يُقَامُ
لاَ بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهُمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جُسُومُهُمُ وهُنَّ رِمَامُ

٤٣ — اَلنَّشاطُ فى الصَّباح

تَنَفَّسَ الصُّبْح ، وبَدَا النُّورُ فى أُفُقِ السَّماء ، وانْجَلَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْل إِلَّا قَلِيلاً ، وغادَرَت الطُّيور أَوْكَارَها ، وسَبَحَتْ فى جَوِّ السَّماء مُشَقْشِقَةً مُغَرِّدَةً ، وقامَ النَّاسُ من مَضاجِعِهِم ، يَحْمَدُونَ رَبَّهُمْ ، ويُصَلُّونَ فَرْضَهُمْ ، ويَسْتَقْبِلونَ يَوْمَهُمْ لِيُؤَدُّوا أَعْمالَهُمْ .

فَهذا فَلَّاحٌ خَرَجَ مُبَكِّرًا يَسُوقُ ماشِيَتَهُ : من بَقَرٍ وَغَنَمٍ ؛ لِتَرْعَى فى حُقولِ الْبِرْسِيم السَّنْدُسِيَّة ، ولِتَحْرُثَ الأرْضَ ، فَتُنْبِتُ لَنا حَبًّا وبَقْلاً . وهؤلاءِ بَناتُ الْقَرْيَة يَحْمِلْنَ جِرارَ الْماء لِيَسْتَقِينَ منَ النَّهر . وهؤلاءِ قَرَوِيَّاتٌ على رُءُوسِهِنَّ أَوْعِيَةُ اللَّبَنِ والزُّبْدِ ، يُنادِينَ بِما يَحْمِلْنَهُ فى الشَّوارِعِ والْحَارَات قَبْلَ طُلوع الشَّمس

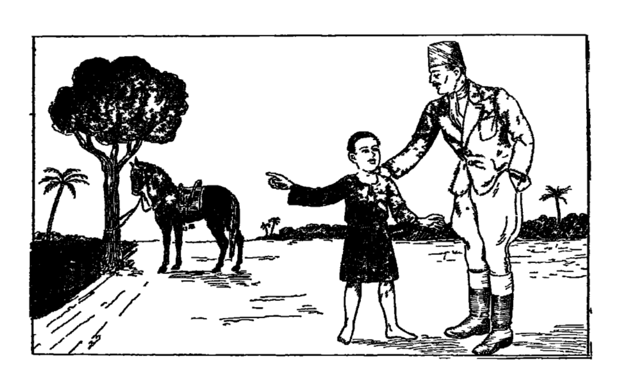
ثُمَّ أَشْرَقَتِ الشَّمْس ، وسَفَرَتْ عن وجْهِها مُنيرَةً ، تَمْلَأُ الأُفُق شُعاعًا كأَنَّهُ الذَّهَبُ الْوَهَّاج ، ولا تَزال تَعْلُو فَتُبَدِّدُ مَا خَلَّفَهُ اللَّيْلُ من آثارِ الظَّلام .

وقامَ الْأَطْفالُ من فِرَاشِهم يَنْفُضُونَ عن عُيونِهِم آثارَ النَّوْمِ . وقَامَت الْامَّهاتُ لِتَنْظِيف أَوْلادِهِنَّ ، وإعْدادِ طَعامِهم ، وتَأَهَّبَ التَّلاميذُ فَأَعَدُّوا حَقائِبَهم وكُتُبَهم ، ثُمَّ سارُوا زَرَافاتٍ ووِحْداناً على أَفارِيزِ الشَّوارِع إلى مَدارِسِهم فى مَرَحٍ وحُبُورٍ ، أَوْ رَكبوا (التِّرام) والسَّيَّاراتِ إلى مَدارِسِهم الْبعيدةِ .

وهؤلاءِ الْمُوَظَّفونَ والعُمَّالُ والصُّنَّاعُ يَسْلُكون كُلَّ سَبيل إلى أَماكِن أَعْمالِهم فى طَلَب الْعَيْش ، وكَسْب الرِّزْق .

ذلك هوَ الصَّباح ، بَشِيرُ الْخَيْرِ والنَّجَاح ، ورَسولُ الْيَقَظَةِ والْحَياةِ . فَإِذا أَضْحَى النَّهار ، وعَلَت الشَّمْس فى أَجْوازِ الْفَضَاءِ ؛ رَأَيْتَ كلَّ حَيّ يَقُومُ بِوَاجِباتِ الْحياة ، ويَسْعَى فى الطَّريق الَّذِى يَسَّرَه لَهُ الله « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشكُرُونَ . »

٤٤ — اَلْغُـــلامُ الْقَـرَوِىّ



— ١ —

ذَهَبَ بَعْضُ الْأَغْنِيَاء إلى مَزْرَعَتِهِ وهُوَ رَاكِبٌ جوادًا ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنْهُ رَبطَهُ الْخَادِمُ رَبْطًا غَيْرَ مُحْكَم . وبَعْد قَلِيل اسْتَطَاعَ الْحِصَان أَنْ يفْلِتَ من رِباطِه ، ويَجْرِىَ فى الْمَزارع الْمُجَاوِرَةِ ، فَرَآهُ غُلَامٌ كَانَ فى حَقْلٍ قَرِيبٍ ، فَاعْتَرَضَه ووقفَه ، وأَمْسَكَ بِعِنَانِه حَتَّى أَتَى الْخَادِمُ وأَخَذَهُ ، وعَادَ بِهِ إلى سَيِّدِه . فاسْتَدْعَى ذلك الْغُلَامَ الَّذِى أَمْسَكَهُ ، ونَظَرَ إِلَيْهِ مُعْجباً بِشَجَاعَتِهِ ، وقَال لَهُ : « ما اسْمُك يا بُنَىَّ ؟ » فقَالَ الْغُلَام : « حَسَن » . فقَالَ الرَّجُل : « إِنِّى أَشْكُرُكَ

يَا حَسَنُ على مَا قُمْتَ بِهِ؛ فَقَدْ أَجْهَدْتَ نَفْسَكَ ، وعَرَّضْتَهَا لِلْخَطَرِ. ماذَا تَعْمَلُ فى الْحَقْلِ يَا حَسَنُ ؟ »

حَسَنٌ : إِنّى أَرْعَى الْغَنَم ، وأَحرُسُ الزِّرَاعَة لِأَبِي .

الْغَنِيُّ : هَلْ تُحِبُّ هذا النَّوْع من الْعَمَل ؟

حَسَنٌ : نَعَمْ إِنّى أُحِبُّه ، وأُحِبُّ هذا الْجَوَّ الْجَمِيلَ .

الْغَنِيُّ : ولٰكِنَّكَ صَغِيرٌ ، ولاَ تَزَالُ تَحْتَاجُ إِلى اللَّعِبِ .

حَسَنٌ : إِنَّ عَمَلِي لَيْسَ بِشَاقٍّ ، وهُوَ لاَ يَقِلّ فائِدَةً عن اللَّعِبِ .

الْغَنِيُّ : مَتَى حَضَرْتَ الْيَوْمَ إِلَى الْحَقْلِ ؟

حَسَنٌ : حَضَرْتُ إِلى الْحَقْلِ بَعْدَ الظُّهْرِ .

الْغَنِيُّ : هَلْ تَغَدَّيْتَ قَبْلَ أَنْ تَحْضُرَ إِلى الْحَقْلِ ؟

حَسَنٌ : لا : وَسَتُحْضِرُ أُمِّى لنا الطَّعَامَ بَعْدَ الانْتِهاءِ من عَمَلِهَا فى الْبَيْتِ .

الْغَنِيُّ : أَعِنْدَكَ فى الْمَنْزِلِ لُعَبٌ تلعَبُ بِها ؟

حَسَنٌ : ما اللُّعَبُ يا سَيِّدِى ؟

الْغَنِيُّ : اللُّعَب كَكُرَةِ الْقَدم الْجِلْدِيَّة ، وَالْأَحْصِنَةِ الْخَشَبِيَّة .

حَسَنٌ : لا يا سَيِّدى ! إِنِّى أَلْعَبُ فى الْمَسَاءِ مَعَ الْأَوْلادِ بِكُرَةٍ مِن

النَّسِيج وَقِطْعَةٍ من الْخَشَبِ ، وَنَلْعَبُ فى اللَّيَالِى الْقَمَرِيَّةِ أَلْعَابًا مُسَلِّيَةً .

الْغَنِىُّ : أَتَحْضُرُ إلى الْحَقْلِ كُلَّ يوم يا حَسن ، أَمْ تَتَخَلَّفُ فى الْقَرْيَة فِى بَعْض الْأَيَّامِ لِتَلْعَبَ ؟

حَسَنٌ : لَيْسَ لِى يا سَيِّدِى أيامٌ لِلَّعِبِ ؛ فَفِى ظُهْرِ كُلِّ يَوْمٍ أَحْضُر إلى الْحَقْل لِأَرْعَى الْغَنَم ، وَأحْرسَ الْبَقَر وَالزِّرَاعَةَ ، وَأُطعِمَ هذه الحيواناتِ ، وَأَسْقِيَهَا . وَحينَما يَكون أبى مَشْغُولا بِإِرْوَاء الأرضِ أوْ حرثِها أذْهَبُ أحْياناً لإِحْضَارِ ما يحتاجُ إِلَيه مِن المنزل ، وكَثيراً ما أُساعِدُه فى الأعْمَال الزِّرَاعِيَّة . وهذا كُلُّهُ لا يَقِلُّ عن اللَّعِب فى الحرَكة والنَّشَاطِ كما تَعْلَم .

— ٢ —

الْغَنِىُّ : وماذَا تَفْعَل حينما تَشْعُرُ بِالجوع ، وَيَتَأَخَّرُ الطَّعَامُ عَنك ؟

حَسَنٌ : آكُل شَيْئاً من ثِمَارِ الْحَقْلِ ؛ كَالقِثَّاء ، وَالْخِيَارِ ، وَالْفُولِ ، وَالْحلبةِ ، أوْ أشْوِى مُطْرًا من الذرة وآكله .

الْغَنِىُّ : إِذَا لم يَكُن فى الْحَقْلِ شَىْءٌ من ذلك فَمَاذَا تَفْعَلُ ؟

حَسَنٌ : أَعْمَلُ فى الْحَقْلِ حَتَّى يَحْضُرَ لِى الطَّعام ، أَوْ أَذْهَبُ فَأُحْضِرُ من الْقَرْيَة ما آكُلُهُ .

الْغَنِىُّ : مِمَّ تَشرَبُ يَا وَلَدِى ؟

حَسَنٌ : إذا عَطِشْتُ شَرِبْتُ من ماء الزِّير ، أَوْ من الْقُلَّة الَّتِى تَحْتَ الشَّجَرَة .

الْغَنِىُّ : ولـكِنَّ هذا الْمَاء غَيْرُ مُصَفًّى ، وتَتَوَلَّدُ منـهُ أَمْرَاضُ « الْأَنـكِلِسْتُومَا » و « الْبِلْهارسيا » وغيرهما .

حَسَنٌ : وماذَا نَفْعَلُ يَا سَيِّدِى ، وَلَيْسَ لَدَيْنَا غَيْرُ هذا الْمَاء ؟

الْغَنِىُّ : يُمْـكِنكَ أَنْ تَضَعَ قِدْراً تَحْتَ الزِّير ، وتَشْرَبَ من الْمَاء الْمُصَفَّى .

حَسَنٌ : أَحْياناً نَفْعَلُ ذلك يا سَيِّدِى ، ولَعَلَّ هذه الشَّمْسَ الْجَمِيلَة وهذا الْهَوَاءَ النَّقِىَّ يحفظاننا من الْأَمْرَاض .

الْغَنِىُّ : إِنَّكَ يَا بُنَىَّ فَيْلَسُوفٌ صَغِيرٌ . فَضَحِكَ حَسَنٌ وَقَالَ : « أَرْجُو يَا سَيِّدِى أَلَّا يَـكُون « الْفَيْلَسوف » شَيْئاً مُضِرًّا . »

الْغَنِىُّ : أُرِيد — يَا وَلَدِى — أَنَّكَ ذَكِىٌّ نَبِيهٌ . هَلْ تَعلَّمْتَ الْقِرَاءَة والْـكِتَابَة فى مدرسة القَرْيَة ؟

حسنٌ : إنى أَتَعَلَّمُ الْقِرَاءَةَ والْكِتَابَةَ فى مَكْتَبِ قَرْيَتِنا ، وأَحْفَظُ شَيْئًا من الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ لأَسْتَطِيعَ أَنْ أَكْتُبَ الرَّسائِلَ وعُقُودَ الْإِيجار ، والْبَيعِ والشِّراءِ لأَبى .

الغَنِىُّ : هل اشْتَرَى لَكَ أَبُوكَ أَدواتٍ وكُتبًا لِلمطالَعة ؟

حسنٌ : لا يَا سَيِّدِى ! ولكن الْمُعَلِّمِينَ يُعْطُونَنَا بَعْضَ الْأَدواتِ والْكُتُبِ ثُمَّ يَجْمَعُونَهَا مِنَّا بَعْدَ الدَّرْسِ .

الغَنِىُّ : خُذْ هذا (الجنيهَ) ، وأَعْطِهِ أَباكَ . واطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَشْتَرِىَ لَكَ مُصْحَفًا وبَعْضَ الْكُتُبِ ، وقُلْ لَهُ إِنِّى أَعْطَيْتُك هذا (الجنيهَ) لِسُرُورِى مِنْك . والآنَ يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى غَنَمِك لِتَرْعاها ، وتُحافِظَ عَلَيها .

حسنٌ : أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِى ، وأَرْجُو لَكَ السَّعَادَةَ وطُولَ الْعُمْرِ .

---

٤٥ — مُصْطَفَى كَامِل باشا

هو الْخَطِيبُ الشَّهِيرُ ، بَاعِثُ النَّهْضَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ ، ومؤسِّسُ الحزبِ الوطنىّ . وُلِدَ بالقاهرة سنة ١٢٩١ هـ فى بَيْتٍ كَرِيم ، وتَعَلَّمَ فى مَدَارِسِهَا ، واشْتَهَرَ من صِغَرِهِ بالصَّرَاحَةِ فى الْقَوْلِ ، وحِدَّةِ الذَّكَاء ،

وعُلُوِّ النَّفْسِ. وأَتَمَّ دِرَاسَةَ الْحُقُوقِ وسِنُّه لَمْ تَتَجَاوَزِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ ، واشْتَغَلَ بالسِّيَاسَةِ وانْصَرَفَ إلى مُقَاوَمَةِ الاحْتِلالِ الإنْجلِيزِىّ بخُطَبِهِ ومَقَالاتِهِ وكُتُبِه . وأَنْشَأَ جَرِيدَةَ اللِّواء ، ونَشَرَهَا بالْعَرَبِيَّةِ والإنْجلِيزِيَّة والْفَرَنسيّة . وتَنَقَّلَ فى بِلادِ أَوْرُبَّا دَاعِياً لِمِصْرَ ، فَكَانَ مَسْمُوعَ الْقَوْلِ ، مُؤَثِّرًا فى كِتَابَتِهِ وخَطَابَتِهِ . ثُمَّ وافَتْهُ مَنِيَّتُه فى عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ سَنَةَ ١٣٢٦ هـ ، ١٩٠٨ م فَكَانَ خَطْبُ الْأُمَّةِ فِيهِ جَسِيماً ، ومُصَابُهَا أَلِيماً .



قَالَ — رَحِمَهُ اللهُ — فى إِحْدَى خُطَبِهِ :

« أَيُّهَا الْعُظَمَاءُ ! أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ ! مَا الْفَخَارُ بالرُّتَبِ والْأَلْقَابِ ، ولاَ بِسُكْنَى الْقُصُورِ الْعالِيَةِ ، والتَّحَدُّثِ بِمَا كَانَ وبِمَا سَيَكُونُ ؛ بَلِ الْفَخَارُ كُلُّ الْفَخَارِ فى الْعَمَلِ آنَاءَ اللَّيْلِ وأَطْرَافَ النَّهَارِ ؛ لِخِدْمَةِ الْبِلاَدِ وإِعْلَاءِ شَأْنِهَا . فَمَا الْحَيَاةُ بأَيَّامٍ تَمُرُّ ، وسِنِينَ تَكُرُّ ، بَلِ الْحَيَاةُ بِالْعَمَلِ والْخِدْمَةِ الْوَطَنِيَّةِ .

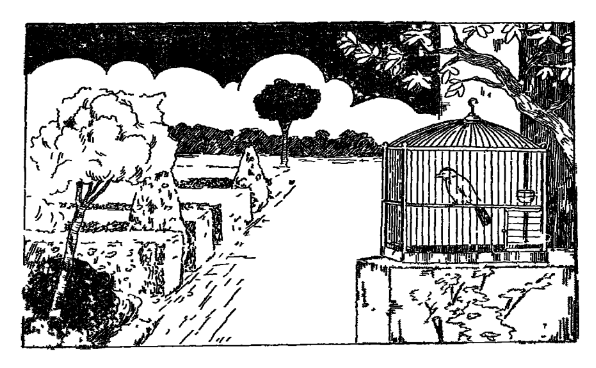
أُتْرُكُوا الْأَبْنَاء — مَعْشَرَ الآباءِ — فى الْحَيَاةِ الْحُرَّةِ ، أُتْرُكُوهُمْ يَخْدُمُوا الْوَطَنَ ويَخْدُمُوا أَنْفُسَهُمْ فى غَيْرِ دَائِرَةِ الْوَظَائِفِ ، أُتْرُكُوهُمْ أَحْرَاراً غَيْرَ مُقَيَّدِينَ بِقيُودِ الرَّوَاتِبِ ، ابْعَثُوا بِهِمْ إِلى الْخَارِجِ لِيَدْرُسُوا التِّجَارَةَ والصِّنَاعَــةَ ، ويُؤَسِّسُوا فى الْبِلَادِ الْمَعَامِلَ والْمَصَانِعَ — تَزْدَادُوا بذلكَ فَخْراً وشَرَفاً ، وتَزْدَادُوا أَمَامَ الْوَطَنِ وأَمَامَ اللهِ مَثُوبَةً وأَجْراً . »

---

٤٦ — طَائِرٌ فى قَفَصٍ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ

أَىُّ ثَأْرٍ لِلْمَقَادِيرِ عِنْدِى حَتَّى أُحْرَمَ حُرِّيَّتِى ، وَأَتْرُكَ جَوِّى وعُشِّى وَفِرَاخِى ؟ جِىءَ بِى إِلى هذا الْقَفَصِ الْمَحْدُودِ ، وَنُثِرَ الْحَبُّ تَحْتَ قَدَمِى ، وَوُضِعَ عَذْبُ الْمَاءِ أَمَامِى . ولكن مَتَى كان لِمَغْلوبٍ على أَمْرِهِ ، وَتَارِكٍ فِطْرَتَهُ التى فَطَرَهُ اللهُ عَلَيهَا — أَنْ يُسِيغَ مَاءً ، أَوْ يَسْتَطِيبَ طَعاماً ، إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يَحْفَظُ الرَّمَق ؟

النَّاسُ من حَوْلِى يَضْحَكُون ، وَيُسَرُّونَ بِرُؤْيَتِى ، وَأَنَا لاَ أَسْتَقِرُّ على حال ؛ أَقْفِزُ من جانِبٍ إِلى جانِبٍ ، وَأَطِيرُ من أَعْلَى إِلى أَسْفَلَ ، ومن أَسْفَلَ إِلى أَعْلى ، كلُّ ذلك فى شِبْرَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ



فى مُتَّسَعِ الْفَضَاءِ أَرُوحُ وَأَغْدُو وَسْطَ خُلاَّنِى ؛ نَطِيرُ من غُصْنٍ إلى غُصْن ، وَنقعُ على الْجَداوِلِ الرَّقْرَاقَةِ ، كما نَقعُ على الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَـــةِ .

ما أَظْلَمَ هذا الَّذِى سَلَبَنِى حُرِّيَّتِى ، وزَجَّنِى فى هذا الْقَفَصِ لِيُمَتِّعَ نَفْسَهُ بِرُؤْيَتِى ، وَيَنْعَمَ بِتَغْرِيدِى ! ولَقَدْ نَسِىَ أَنِّى حَزِينُ الْفُؤَادِ . وَمَتَى كَانَ لِلْحَزِينِ أن يُزْجِىَ السُّرُورَ إلى غَيْرِهِ ؟

أَيُّهَا الظَّالِمُ لِى ! لَنْ يَسُرَّكَ غِنَائِى إلاَّ على مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ ، وَلَنْ تَرَى جَمَالَ قَفْزِى إلاَّ فى فَضاءِ الْحُرِّيَّةِ . فَأَطْلِقْنِى ، وَارْحَمْ ضَعْفِى ، فما حَاجَتُك لِتَعْذِيبِى ؟ وما سُرورُك من سِجْنِى ؟ لَقَدْ آذَيْتَ فِطْرَتِى بِسَجْنِك لِى ، وَإِنَّمَا تُسَرُّ مِنِّى طَلِيقاً لا سَجِيناً . وَإِنِّى لَمُنْتَظِرٌ أَنْ يَتفَجَّرَ يَنْبُوعُ الرَّحْمَةِ من قَلْبِكَ فَتُطْلِقَنِى . والسلام .

٤٧ — تجارةُ العْرَب قَبْلَ الْإِسْلام



كَانَ لِلْعرَب فى الْجَاهِلِيَّةِ تِجَارَاتٌ يَتبادَلون بِها حاجاتِهِمْ ، وَأَسْوَاقٌ شَهِيرَةٌ يجْتَمِعونَ فِيها من كُلِّ صَوْبٍ لِشراء ما يَبْغون ، وَبَيْعِ ما يُرِيدون .

وكان أَكْثرُ الْقائمين بِالتِّجارَةِ الْيمَنِيِّينَ والْقُرَشِيِّينَ ؛ فَالْيَمَنِيُّونَ عُرِفوا بِالتِّجَارَة من قَدِيم الزَّمان ؛ كانوا يَتَجِرُونَ فِيما تُخْرِجُه بلادُهم منَ الْبَخور والْعِطْر ، وَيأْتونَ بِالذَّهَبِ والْحِجارَة الْكَريمة والصَّنْدَلِ والتَّوابِلِ من الْهِنْد ، ويَحْمِلونَ اللُّؤْلُؤَ من الْبَحْرَيْن ، وَيَنْقُلون كلَّ ذلك إلى الشَّامِ ومِصْرَ ، وَيأْخُذُونَ إلى بِلادِهم ما تَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ ضَعُفَتْ تِجارَتُهم وحَلَّ مَحَلَّهُمْ عَرَبُ الْحِجازِ ، فَقَوِىَ شَأْنُهُمْ ،

وتَسَلَّطَتْ قُرَيْشٌ على التِّجَارَة ، فَاتَّجَرُوا بَيْنَ الْيَمَنِ والشَّامِ ، وبَلَغَتْ تِجارَتُهم أَسْواقَ مِصْرَ .

وقُبَيْلَ ظُهورِ الْإِسْلامِ بَلغَتْ مَكَّةُ مَبْلَغاً عَظِيماً فى التِّجارَةِ . وكانَ لِقُرَيْشٍ رِحْلَتَان تِجارِيَّتان : رِحْلَةٌ فى الشِّتاء إلى الْيَمَن ، ورِحْلَةٌ فى الصَّيْف إلى الشَّامِ . وكانوا فى رِحْلَتِهِم آمِنين ؛ إِذْ كانَتْ قَبائِلُ الْعَرَبِ تُعَظِّمُهم ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَرَم ، وسَدَنَةُ الْبَيْتِ الْحَرامِ .

وكانتْ هذه التِّجَارَةُ سَبَباً فى اتِّصَال رِجالٍ من الْعَرَب بِغَيْرِهِم من الْأُمَمِ ، واطِّلاعِهِم على بَعْض شُئُون الْمَمالِك وعِمارَتِها ، فَنَقَلوا شَيْئاً من حَضارَاتِ الْأُمَمِ الْأُخْرَى إلى بِلادِهِم .

---

٤٨ — إِقْدامُ نابُلْيونَ

كان نابُلْيونُ الْأَوَّلُ إِمْبِراطورُ فَرَنْسا قَائِدًا مَاهِرًا ، مُنْقَطِعَ النَّظِير ، وسِياسِيًّا مُحَنَّكًا حَسَنَ التَّدْبير . وكانَ فِي حُرُوبٍ مُسْتَمِرَّةٍ مَعَ مُعْظَم الْمَمالِك الْمُحِيطَةِ بِفَرَنْسا . ولم يَكُنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ تَخْضَعَ لِشَيْءٍ ، حَتَّى الْعَقَباتِ الطَّبِيعِيَّة الَّتِي لاَ قِبَلَ لِلْإِنْسان بِمُقاوَمَتِها ومُغالَبَتِها .

قِيلَ لِنَابُلْيونَ — لَمَّا أَرادَ أَنْ يَكْتَسِحَ إيطاليا بِجَيْشٍ جَرّارٍ : « إِنَّ جِبالَ الْأَلْبِ الشَّاهِقَةَ تَعُوقُكَ فِي سَيْرِكَ ، وتَحولُ دُونَ أُمْنِيَّتِك . »



فَأَرْسَلَ فِئَةً من الـكَشَّافَةِ ؛ لِلاطِّلاع على مَسَالكِ تِلْكَ الجِبالِ ، ولَمَّا عادُوا سَأَلَهُمْ : « هَلْ من الْمُمْـكِن اجْتِيَازُ هذه الْمَسالِك ؟ » فَهَزّوا رُءوسَهُمْ ، وقالَ أَحَدُهُم : « يُمْـكن ولـكِنْ . . . . »

فقالَ : « لا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ أَكْثَرَ من ذلك ، فَإِلى الأَمامِ ! إلى إيطاليا ! يَجِبُ أَنْ نَشُقَّ لنا طَرِيقاً فى تِلْكَ الجِبَالِ . »

فَضَحِكَ النَّاسُ وعَجِبُوا ، وقَالُوا فى أَنْفُسِهِم : « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ جَيْشٌ مُؤَلَّفٌ من سِتِّينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ أَنْ يَعْبُرَ جبالاً لا نَفَق فيها ؟ » ولَـكِنَّ نابُليونَ لَمْ يَكْتَرِثْ لَهُمْ ؛ بَلْ أَمَرَ بالتَّأَهُّب لِلرَّحِيل . ثُمَّ سارَ الْجَيْشُ ، وجَدَّ فى السَّيْرِ حَتَّى اجْتازَ تِلْكَ الجِبـالَ الشَّامِخَة ، ووصل إلى سُهُولِ إيطاليا فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .

فقالَ نَابُلْيون حِينَئِذٍ : « إنَّ الرَّجُلَ الَّذِى يُصَمِّمُ على النَّجاح لاَ يَرَى فى الدُّنْيا مُسْتَحِيلا . »

٤٩ — فى الحثّ على السَّفر

للإمام الشافعىّ رضى الله عنه :

مَا فِى الْمُقَامِ لِذِى عَقْلٍ وذِى أَدَبٍ ... مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطانَ وَاغْتَرِبِ

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ ... وانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِى النَّصَبِ

إِنِّى رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَالَ طَابَ وإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

***

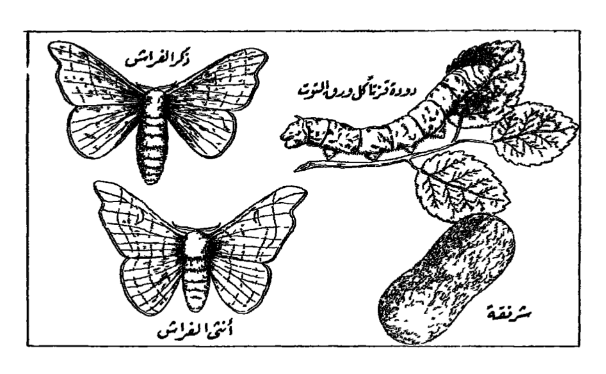
والأُسْدُ لَوْلاَ فِرَاقُ الْغَابِ مَا افْتَرَسَتْ ... والسَّهْمُ لَوْلاَ فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ

والشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِى الْفُلْكِ دَائِمَةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَرَبِ

والتِّبْرُ كالتُّرْبِ مُلْقًى فِى أَمَاكِنِهِ ... والْعُودُ فِى أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ

فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كالذَّهَبِ

٥٠ — دودَةُ القَزِّ



إنَّ دودَةَ القزِّ من أعْجَبِ الحَشَرَاتِ ؛ إذا رَأَيْتَهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَزْدَرِيهَا وتَنْفِرُ من شَكلِها ويَقْشَعِرُّ بَدَنُكَ من حَرَكَاتِها ، ولكِنَّها — على صِغَرِ حَجْمِها وقُبْحِ مَنْظَرِها — من أَنْفَعِ مَخْلُوقاتِ اللهِ لِلإِنْسانِ ؛ لِأَنَّها تُخْرِجُ لَهُ خُيوطاً حَرِيرِيَّةً يَعْمَلُ مِنهَا المَلابِسَ المَتينَةَ الفاخِرَةَ ، ويَتَّخِذُ مِنْها ما يَنْتَفِعُ بِهِ فى رِياشِ المنازِلِ وتَرْقيشِ الثِّيابِ .

تَخْرُجُ دودةُ القزِّ من بيضٍ صغيرٍ جِدًّا ؛ تَبْلُغُ زِنَةُ المِائَةِ مِنْهُ زِنَةَ حَبَّةِ القَمْحِ . وبَعْدَ خُرُوجِها تُقْبِلُ على أَكْلِ ورَقِ التّوتِ بِشَراهَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَتَنْمُو ويَزْدادُ حَجْمُها بِسُرْعَةٍ .

وبعدَ ستةِ أيامٍ تستبدلُ الدودةُ بجلدِها الأولِ جلداً آخرَ ، وكذلكَ تفعلُ في اليومِ العاشرِ ، ثمَّ الخامسَ عشرَ ، ثمَّ الثالثِ والعشرينَ ؛ فجلدُها يتغيَّرُ أربعَ مرَّاتٍ ، وقدْ يتغيَّرُ خمسَ مرَّاتٍ ؛ لأنَّ حجمَها يزيدُ ولا يتَّسعُ لهُ الجلدُ القديمُ . ومنَ المُشاهدِ أنَّ اشتهاءَ الدودةِ الطَّعامَ يضعُفُ كلَّما قرُبَ تبدُّلُ جلدِها .

ولا يزالُ الدودُ ينمو حتَّى يقرُبَ موعدُ إخراجِ الحريرِ . فيمتنعُ عن الطَّعامِ مُدَّةً ، ثمَّ يشرعُ في إخراجِ خيوطِ الحريرِ من فمِهِ .

وقدْ وُجِد أنَّ ما زنَتُه درهمٌ واحدٌ من دودِ الحريرِ عندَ الفقسِ يَصيرُ وزنُه حينَ يشرَع في إخراجِ الحرير خمسمائةٍ وتسعةَ آلافِ درهمٍ .

وإذا شاهدْتَ الدودَ وهُو يُخرِجُ خيوطَ الحريرِ من فمِهِ رأيْتَ أمْراً عجباً ؛ كلُّ دودةٍ تُحرِّكُ رأسَها حركةً دائريَّةً ، وتُخرِجُ من فيها خيطًا دقيقاً من الحريرِ الأصفرِ أو الأبيضِ ، تلفُّهُ حولَ نفسِها ، ولا تزالُ تفعَلُ ذلك بجدٍّ ونشاطٍ ثلاثةَ أيامٍ أوْ أربعةً حتى تكمُلَ الشَّرنقةُ ، وهيَ خيطٌ واحدٌ من الحريرِ ، مُلتفٌّ بعضُه حولَ بعضٍ على شكلِ بلحةٍ في داخلِها الدودةُ .

وَتَسْكُنُ الدودَةُ فى جَوْفِ الشَّرْنَقَةِ نَحْوَ أُسْبوعَيْنِ ، تَتَحَوَّلُ أَثْناءهُما إلى فَراشَةٍ. وإذا تُرِكَتْ حَيَّةً تَقبَتِ الشَّرْنَقَةَ وخَرَجَتْ مِنْها

والَّذِينَ يُعْنَوْنَ بِتَرْبِيَةِ الدودِ يَتْرُكُونَ عَدَداً كافِياً مِنْه حَيّاً بالشَّرانِقِ ، لِيَتَحَوَّلَ إلى فَراشٍ يَبِيضُ بَعْدَ خُرُوجِهِ. أَمَّا باقِى الشَّرانِقِ فَيُقْتَلُ دودُها ، إِمَّا بِالماءِ السّاخِنِ ، وإِمَّا بِبَعْضِ الْأَحْماضِ .

ويَتَراوَحُ طولُ الْخَيْطِ الّذى تخْرِجُــهُ الدّودَةُ الواحِدَةُ بَيْنَ سَبْعِمِائَةِ (مِتْرٍ) وأَلْفِ (مِتْرٍ) . وإِذا نَظَرْتَ إلى هذا الْخَيْطِ وهُوَ تَحْتَ الْمِجْهَرِ وجَدْتَهُ مُكَوَّناً من خَيْطَيْنِ دَقِيقَيْنِ تَبْلُغُ ، ثُخانَتُهُما نحوَ جُزْءٍ من ٤٨ جزءًا من (المِلِّيمِتْرِ) .

والفَراشُ الّذى يَخْرُجُ من الشَّرانِقِ بَعْضُهُ ذُكُورٌ وبَعْضُهُ ، إناثٌ ، ولِكُلِّ فَراشَةٍ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ قَصِيرَةٍ ضَعِيفَةٍ ، الْأَمامِيّانِ مِنْهُما أَطْوَلُ من الْخَلْفِيَّيْنِ .

وبَعْدَ خُروجِ الفَراشِ من الشَّرانِقِ بِنَحوِ أَرْبَعةِ أَيّامٍ أو سِتَّةٍ — تَضَعُ الإِناثُ بَيْضَها على ورَقِ التُّوتِ ؛ فَتَضَعُ كلُّ أُنثى خَمْسَمِائَةِ بَيْضَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ. تَموتُ وبذلكَ تَكْمُلُ دَوْرَةٌ واحِدَةٌ من حَياةِ دودِ القَزِّ . وهذا هُوَ الدّودُ الْمُعْتادُ ، ويَبْدَأُ دَوْرَتَهُ فى أَواخِرِ شهرِ مارسٍ .

وهُناكَ أَنْوَاعٌ تُتِمُّ دَوْرَتَيْنِ فى العامِ ، وأُخْرى تُتِمُّ أَكْثَرَ من دَوْرَتَيْنِ .

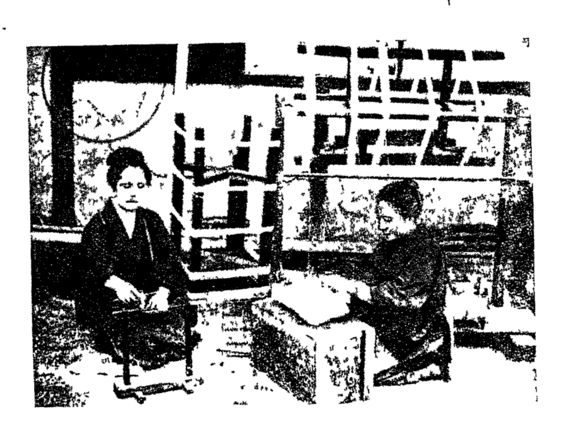
واسْتِخْرَاجُ الْحَرِيرِ من الدّودِ بالطُّرُق الفَنِّيَّةِ صِناعَةٌ رَابِحَةٌ ، تَعُودُ على أَصْحابِها بِالرِّبْحِ الوافِرِ ؛ فَإِنَّ ما زِنَتُهُ أُوقِيَّةٌ واحِدَةٌ من الدُّودِ يُخْرِجُ بَعْدَ أَنْ يَنْمُوَ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ رِطْلًا من الحَرِيرِ الخالِصِ، تُبَاعُ بِأَكْثَرَ من سِتَّةِ (جُنَيْهاتٍ) . ولَا تَتَطَلَّبُ هذهِ الصِّناعَةُ سِوَى اخْتِيارِ الْمَكَانِ ونَظَافَتِهِ ، وتَغْذِيَةِ الدّودِ بِوَرَقِ التّوتِ ، وإِعْدَادِ الْأَدَواتِ اللّازِمَةِ لِتَهْيِئَةِ خُيوطِ الْحَرِيرِ لِلنَّسْجِ . وهِيَ رَخِيصَةُ الثَّمَنِ .

---

٥١ — صِناعةُ الحرِيرِ

نَشَأَتْ صِنَاعَةُ الْحَرِيرِ فى بِلَادِ الصِّينِ قَبْلَ الْمِيلَادِ بِنَحْوِ سَبْعَةٍ وعِشْرِينَ قَرْنًا . ويَرْوِى الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زَوْجَةَ الْإِمْبِرَاطُورِ الَّذِى كَانَ يَحْكُمُ الصِّينَ فى ذلك الْعَصْرِ — هى الَّتِي شَجَّعَت أَهْلَ البِلادِ على زِراعَةِ أَشْجارِ التوتِ، وتَرْبِيَةِ دُودةِ الْقَزِّ . وكَانَتْ تُعْنَى بذلك عِنَايَةً تامَّةً . ويُقَالُ إِنَّها هى الَّتى اُخْتَرَعَتِ الْمِنْوَالَ لِحَوْكِ الْخيوطِ ؛ وبذلكَ كَانَ الصِّينيّون أَسْبَقَ النَّاسِ إلى إِتْقانِ هذه الصِّناعَةِ،

والاعْتِناء بِتَرْبِيَةِ دُودِ الْقَزِّ ؛ لا فَرْقَ فى ذلك بَيْنَ أَبْناء الأُسَرِ الْمَالِكَةِ وغَيْرِهم من أَفْرادِ الرَّعِيَّةِ .



ولقد كانوا يَعُدّونَ هذه الصِّناعَةَ صناعَةً وطَنِيَّةً خاصَّةً ؛ لا يحِلُّ لِوَطَنِيٍّ أَنْ يُفْشِيَ أَسْرارَها بين أَبْناء الْمَمالكِ الْأُخْرَى .

ومع ذلك تَسَرَّبَت هذه الأَسْرارُ من الصِّين ، ودَخَلَتْ صِناعَةُ الْحريرِ بلادَ الْيَابَانِ بِطَرِيق « كوريا » ، الَّتِي هِيَ حَلْقَةُ اتِّصالٍ بَيْنَ الْمَمْلَكَتَيْنِ .

ويَذْكُرُ بعضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ ذلك كَانَ فى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّالثِ قَبْلَ المِيلاد ، وأَنَّ الْيَابَانِيِّين أَرْسَلوا جماعَةً من الْكوريِّين إلى

بِلادِ الصِّين ؛ لِإِحْضَارِ فَرِيقٍ من الْمَهَرَة فى هـذه الصِّناعَةِ ، فعادُوا ومَعَهُم أَرْبَعُ فَتَيات صِينِيَّاتٍ ، كَانَ لَهُنَّ الفَضْلُ فى نَشْرِ صِنَاعَةِ الْحَرِيرِ بِبلادِ الْيَابَانِ ؛ إِذْ عَلَّمْنَهَا أَبناءَ الأُسْرَةِ المالكةِ ، وبَعْضَ أَفرادِ الْأُسَرِ الأخرى .

وقَدْ خَلَّدَ الْيَابَانِيُّون ذِكْرَى هؤلاء الْفَتَيَاتِ ، وشَيَّدُوا لَهُنَّ مَقْبَرَةً فَخْمَةً . ومن ذلك الْحِينِ أَخَذَتْ صِنَاعَةُ الْحَرِيرِ تَنْمُو فى بلادِ الْيَابَان ، وأَخَذَ شَأْنُها يَعْلُو حَتَّى صُبِغَتْ بِصِبْغَةٍ وطَنِيَّةٍ ، ووصَلَتْ إلى مَا وصَلَتْ إِلَيْهِ الآنَ من الرُّقِيِّ .

وفى الْقَرْنِ الرَّابِع بَعْدَ الْمِيلاد انْتَقَلَتْ هـذه الصِّنَاعَةُ إلى بِلاد الْهِند ، ورَاجَتْ بِهَا رَوَاجًا عَظِيماً . ومن الْهِنْد انْتَقَلَتْ إلى بِلادِ الْعَجَم ، ثُمَّ إلى غيرها من بلادِ آسيا .

وفى عَهْد جُسْتِنْيَانَ قَيْصرِ الرُّوم رَاجَتْ هذِهِ الصِّنَاعَةُ فى أَنْحَاء الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّة الشَّرْقِيَّة . وإلى هذا الْإِمْبِرَاطور يَرْجِعُ الْفَضْلُ فى عِنَايَة رَعِيَّتِه بِتَرْبِيةِ دُودِ الْقَزِّ وصِنَاعَةِ الْحَرِير .

وسَبَبُ ذلك أَنَّ رَاهِبَيْنِ من رُهْبانِ الْفُرْس ذَهَبَا بِأَمْرِهِ إلى بِلادِ الصِّين فى مُنْتَصَف الْقَرْنِ السَّادِس الْمِيلادِيِّ ، فَأَحْضَرَا مَعَهُمَا

مِقْداراً من بَيْضِ دُودِ الْقزّ، أخْفيَاهُ فى جَوْفِ عَصًا من الْخَيْزُرَان، كانا قَدْ أعَدَّاها لِهذا الْغَرَض. ومن هذا الْبَيْضِ اُسْتُخْرِجَتْ أنْوَاعٌ من الدُّودِ زَوَّدَتْ أوْرُبَّا، وَسَدَّت حاجَتَهَا من الْحَرِير عِدَّةَ قُرُونٍ.

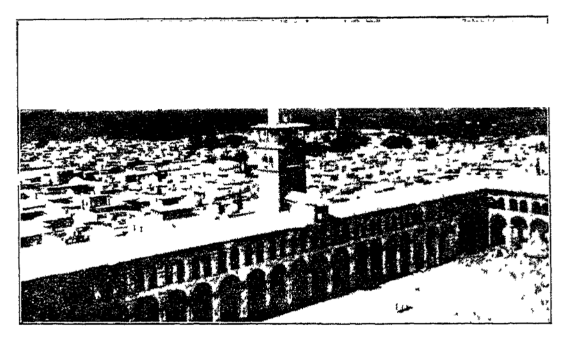
وقَدْ ظَلَّت الدَّوْلَةُ الرُّومَانِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ مُسَيْطِرَةً على صِنَاعَةِ الْحَرِير من هذه الأنْوَاعِ نَحوَ قَرْنٍ، ثُمَّ سَيْطَرَ عَلَيهاَ الْعَرَبُ فى الشَّرْقِ والْغَرْبِ بَعْدَ أنْ كَثُرَتِ الْفُتوحُ الإِسْلامِيَّةُ ودَانَتْ لَهُمُ الْمَمَالِكُ الْمُجَاوِرَةُ، فَأَخَذَتْ فى الانْتِشَارِ فى آسيا الصُّغْرَى وجَميعِ أنحاء أوْرُبَّا، حَتَّى وصَلَتْ إلى إنكلترا فى أوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسَ عشَر.

وكَانَتْ إيطَاليا فى الْقُرُونِ الْوُسْطَى من أكْثَرِ مَمَالِكِ الْغَرْب عِنَايَةً بِاسْتِخْرَاجِ الْحرِير ونَسْجِهِ، حَتَّى صَارَتْ فُلُورَنْسُ ومِيلَانُ وجِنَوَةُ والْبُنْدُقِيَّةُ أشْهرَ الْمُدنِ فى صِنَاعَةِ الْحرِير. وقَدْ تَلَتْهَا فى ذلكَ فَرَنْسَا.

ويُعْنَى كَثِيرٌ من الْمِصْرِيِّين الآنَ بِتَرْبِيَةِ دُودَةِ الْقزِّ، واُسْتِخْرَاجِ الْحرِير الطَّبِيعىّ، ونَسْجِهِ بِالطُّرقِ الْعِلْمِيَّةِ الْحَدِيثَة وذلكَ مِمَّا يَعودُ على مِصْرَ بخَيْرٍ كَثِيرٍ.

---

٥٢ — دِمَشْق



منظر عام من مناظر دمشق

هِيَ حاضِرَةُ الشَّامِ ، وأَعْظَمُ مُدُنِهِ ، ومن أَقْدَمِ مَدَائِنِ الْعَالَمِ . تَمْتَدُّ على سَفْحِ جَبَلِ قاسِيُونَ وعلى حَضِيضِهِ إلى سَهْلٍ خِصْبٍ فَسِيحٍ . وهى من أَطْيَبِ الْبِلَادِ هَواءً ، وأَكْثَرِها أَشْجارًا ، وأَجْمَلِهَا مَنْظَرًا .

وَتَتَّصِلُ بِها الْغُوطَةُ إِحْدَى جَنَّاتِ الدُّنْيا . وهِيَ أَرْضٌ فَسِيحَةٌ مَدِيدَةٌ ، كَثِيرَةُ الزُّرُوعِ ، مُتَعَدِّدَةُ الْقُرَى ، تُظَلِّلُها كُلَّها أَشْجارُ الْفاكِهَةِ .

ويَسْقِى الْمَدِينَةَ وغُوطَتَها نَهْرُ بَرَدَى ، الَّذِى يَخْتَرِق وادِيًا طَويلاً كَثِيرَ الأَشْجار ، حَتَّى يُقارِبَ الْمَدينة ، فيتفرَّعُ منهُ فروع

يَسْقِى بعضُها الغُوطَةَ ، ويَجْرِى بَعْضُهـا فى أَنْحاء المدينـــةِ . وتُمِدُّ الفُرُوعُ الّتِى تَخْتَرِقُ الْمدينةَ قَنَواتٍ مُتَعَدِّدَةً يَصِلُ بِها الْماء إلى الطُّرُق ، ويَدْخُلُ الدُّورَ والْمَساجِد والْحَمَّاماتِ ؛ فَتَكْثُرُ الْأَحْواضُ والفَوَّاراتُ فى أَرْجاء الْمَدينة . فهذا النَّهْرُ — على صِغَرِهِ — عَظِيمُ الْبَرَكَةِ ، جَزِيلُ النَّفْعِ ، يَفِيضُ بِالْخِصْبِ حَيْثُما جَرى .

وكانَتْ دِمَشْقُ حاضِرَةَ الخِلافَةِ الإِسْلامِيَّةِ فى عَهْدِ الْأُمَوِيِّين ، وَكانَ سُلْطانُها يَمْتَدُّ على الْعالَمِ الإِسْلامِيِّ — مِنَ الصِّين فى الشَّرق إلى فَرَنْسا فى الْغَرْب .

ولاَ يَزَال بها جامِعُ بَنِي أُمَيَّة ، وَهُو مِنْ أَعْظَمِ الْمساجِدِ وأَوْسَعِها ، وأَكْثَرِها جَمالاً وَجلالاً .

وهِىَ الْيَوْمَ حاضِرَةُ الْجُمْهورِيَّةِ السُّورِيَّة ، ويُرْجَى لها فى مُسْتَقْبلها الْقَرِيب من الْعَظَمَةِ والْمَجْدِ مثلُ ما كان لها أَيَّامَ الْأُمَوِيِّين .

---

٥٣ — الأَرُزُ

الأُرْزُ نَبَاتٌ كَثِيرُ الفُروع ، طَوِيلٌ مورِقٌ ، لَهُ سُنْبُلَةٌ عُنْقُودِيَّةٌ غَيْر مُنْتَظِمَة ، ذاتُ فروعٍ كثيرةٍ . وَحَبُّهُ أَبْيَضُ تُغَطِّيه قِشْرَةٌ كَقِشْرَة

الشَّعِيرِ . وَيُزْرَعُ فى الْأَرَاضِى الْمِلْحَةِ الْكَثِيرَةِ الْمِيَاهِ فَيُصْلِحها .



وطَرِيقَةُ زَرْعِهِ : أن تُحْرَثَ الْأَرْضُ وَتُهَيَّأَ لتكونَ مُسْتَوِيَةَ السَّطْحِ ، سَهْلَةَ التَّصْفِيَة، وَتُقَسَّمَ إِلى أَحْوَاضٍ ، بَيْنَهَا مسالِكُ، ثُمَّ تُغْمَرَ بِالْمَاءِ، وَيُؤْتَى بِالْبُذُورِ بَعْدَ نَقْعِهَا فى الماء مُدَّةً كَافِيَةً، فَيَبْذُرَها الزَّارِعُ فى الْأَرْض ، وَبَعْدَ ثلاثة أَيَّام يُزِيلُ الْماء عَنها . وَحِين يَظْهَرُ النَّبات يَغْمُرُها بالماء ثَانِيَةً ، وَيَتْرُكها مُدَّةً ، ثُمَّ يُزِيل الماء عنها . وَيُكَرِّرُ ذلك مرات ، فَإِذا اُسْتَحْصَدَ الْأُرْزُ يُحْصَدُ كما يُحْصَدُ الْقَمْحِ .

وتَجُودُ زِرَاعَتُهُ فى الْأَرْض الطِّينِيَّةِ الْخَالِيَةِ مِن الرَّمْل . وَيُغِلُّ الْفَدَّانُ نحوَ خمسةَ عَشَر إِردبًّا . وَيُزْرَعُ فى الْأَرْض نَفْسِها سنواتٍ مُتَوَالِيَةً ، فلا يُضْعِفُها كما تُضْعِفُها الْحُبُوبُ الْأُخْرَى ؛ لِأَنَّهُ يَمْتَصُّ أَكْثَرَ غِذَائِهِ مِن الماء .

وهُو قَلِيلُ التَّغْذِيَة لِأَنَّ أكثَرَ من أرْبَعةِ أخماسِه مِن النَّشا الَّذِى لا يُفِيد إلاَّ فى تَوْليدِ الحرارة اللَّازِمَة لِلْجِسْمِ. وَأَجْوَدُ أنواعِهِ ما يَزْدادُ حَجْمُه بَعْدَ طَبْخِهِ.

ويُبَيَّضُ الأَرُزُ بعْدَ تَجْفِيفِه، ثُمَّ يُخْلَطُ بِقلِيلٍ مِن مِلْحِ الطَّعام، وَيُحْفَظُ فى أكيَاس، ثم يُرْسَل إلى المَتاجِر لِبَيْعِهِ. وَهُوَ غِذَاءٌ صِحِّيٌّ لِلأَطْفال وَالْمَرْضَى، لِأَنَّه سَرِيع الْهَضْم. وَيَعْتَمِدُ عَلَيْه كَثِيرٌ مِن شُعوبِ آسيا فى مَعِيشَتِهم، كَمَا يَعْتَمِدُ سُكَّانُ القارَّاتِ الأُخْرَى على الْقَمْحِ والذُّرَة ونَحْوِهِما.

---

٥٤ — دُودةُ البُنْدُقةِ

كانَ أَحْمَدُ الصَّغيرُ يَلعَبُ بِبُنْدُقٍ أَخَذَه من أُمِّهِ، ويُلقِى بَعْضَهُ إلى هِرَّتِهِ الصَّغيرَةِ لِتَلْعَبَ بِهِ. ثُمَّ أَرادَ أَنْ يأكُلَهُ، فَشَرَعَ يُكَسِّرُهُ واحِدَةً واحِدَةً. وكَسرَ واحِدَة فَوَجَدَ فيها دودَةً تَتَلَوَّى، وكأنَّها تَقولُ لهُ: «لِمَاذا كَسَرْتَ عُشِّى؟ لِمَاذا أَخْرَجْتَنِى من بَيْتِى؟» ونَظَرَ أَحْمَدُ إلى قِشْرَةِ الْبُنْدُقَةِ فَلَمْ يَجِدْ بِها ثَقْباً. فَتَعَجَّبَ وجَرَى إلى أُمِّهِ، وقالَ: «يا أُمِّى! كَسَرْتُ بُنْدُقَةً صَحِيحَةً فَوَجَدْتُ فيها

دودَةً . فَمِنْ أَيْنَ دخَلَتْ هذه الدُّودَةُ ؟ »

قالَتْ أُمُّهُ : « يا بُنَيَّ ! إِنَّ هذه الدُّودةَ لَمْ تَنْفُذْ من قِشْرِ الْبُنْدُقَةِ ، ولكنَّكَ تَعرِفُ أَنَّ الشَّجَرَ يُزْهِرُ قبلَ أَنْ يُثْمِرَ ، ثُمَّ تَسْقُطُ أَوْرَاقُ الزَّهْرِ ، وتَبْقَى مَكانَها حَبَّةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالْغُصْنِ ، ثُمَّ تَكْبَرُ شَيْئًا فَشَيْئًا حتَّى تَصِيرَ ثَمَرَةً . أَتَعْرِفُ هذا ؟ »

قالَ أَحْمَدُ : « نَعَمْ أَعْرِفُه يا أُمِّى . »

قالَتْ : « فَحِينَمَا تَكون الثِّمارُ نَوْرًا يَقَعُ عَلَيْها الْفَرَاشُ والنَّحْلُ لِيَمْتَصَّ مِنْها ، وبَعْضُها يَتْرُكُ على النَّوْرِ بَيْضًا ، ويَكْبَرُ هذا الْبَيْضُ مع الثَّمَرَةِ حتَّى يصيرَ دودًا فى داخِلِها . »

« فَهذه الدُّودَةُ الَّتى رَأَيْتَها داخِلَ الْبُنْدُقَةِ الصَّحيحَةِ — يا أَحْمَدُ — لَمْ تَثْقُبْ قِشْرَةَ الْبُنْدُقَة فَتَدْخُلَ فيها ، ولكنَّها من بَيْضِ الْفَرَاشِ أَوِ النَّحْلِ الَّذى كان على نَوْرِ الشَّجَرَةِ . »



٥٥ — المُعِزُّ لِدينِ اللهِ الفاطِمِيُّ


الجامع الأزهر

من أَعْظَمِ مُلوكِ الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّة الْمُعِزُّ لدينِ اللهِ ، وأَسْمُهُ « مَعَدٌّ » . وَلِيَ أَمْرَ الدَّوْلَةِ بِالْمَغْرِبِ - بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ إِسْماعيلَ — سَـــنَة إِحْدَى وأَرْبعين وثَلثمائةٍ ، وعُمْرُه نَحْوُ أَرْبعٍ وعِشْرِينَ سَنةً .

وقَدِ اخْتَصَّ مَوْلاهُ جَوْهَرًا الصَّقَلِّيَّ بِرعايَتِهِ ، وأَعْلَى قَدْرَهُ ، ورَفَعَهُ إلى مَرْتَبَةِ الْوِزَارَةِ ، وعَقَدَ له لِوَاءَ الْجَيْشِ ، فَفَتَحَ ما بَقِيَ من بِلادِ الْمَغْرِبِ وعادَ ظافِرًا .

ثُمَّ بدَا لِلْمُعِزِّ أَنْ يَفْتَحَ بِلادَ الْمَشْرِقِ ، فَأَرْسَلَ قائِدَهُ جَوْهَرًا فى عَسْكَرٍ عَظيمٍ لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَفَتَحَها سَنةَ ثمانٍ وخَمسينَ وثَلثمائةٍ .

ولَمَّا أُسْتَتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ شَرَعَ فى بِناءِ الْقاهِرَةِ سَنةَ تِسْعٍ وخَمسين

وَثَلَثمِائَةٍ . وكان مَكانُها إِذْ ذاكَ رَمْلَةً بينَ الْخَليجِ وجَبَلِ الْمُقَطَّمِ . فَاخْتَطَّها، ووَضَعَ أَساسَ الْقَصْرِ الَّذى نَزَلَهُ الْمُعِزُّ عِنْدَ قُدومِهِ ، وكانَ على مَقْرَبَةٍ منَ الْمَكانِ الَّذى بهِ الْمَشْهَدُ الْحُسَيْنِىُّ الآنَ . ثُمَّ أَسَّسَ الأَزْهَرَ الشَّرِيفَ ، وأَكْمَلَ بِناءَهُ سَنَةَ إِحْدى وسِتِّينَ وثَلَثمِائَةٍ .

ولَمَّا فَرَغَ جَوْهَرٌ من ذلك أَرْسَلَ إِلى سَيِّدِه الْمُعِزِّ يَدْعوهُ إِلى الْقُدومِ إِلى مِصْرَ ، فَسَارَ الْمُعِزُّ فى أَهْلِهِ وعَساكِرِهِ حتَّى وصَلَ إِلى الْجِيزَةِ ، وعَبَرَ النِّيلَ على جِسْرٍ عَقَدَهُ لَهُ جَوْهَرٌ ، ثُمَّ دخَلَ الْقَاهِرَةَ فى رَمَضانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ وثَلَثمِائَةٍ . وقَد انْتَشَرَتِ الدَّعْوَةُ لَهُ بِالْمَغْرِبِ كُلِّهِ ، ثُمَّ بِدِيارِ مِصْرَ والشَّامِ والْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ .

وتُوُفِّىَ الْمُعِزُّ سَنَةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وثَلَثمِائَةٍ بِالْقاهِرَةِ ، وعُمْرُه خَمْسٌ وأَرْبَعونَ سَنَةً ونِصْفُ سَنَةٍ تَقْريباً ومُدَّةُ خِلافَتِهِ ثَلاثٌ وعِشْرونَ سَنَةً .

وقَدْ كانَ الْمُعِزُّ عالِماً فاضِلاً جَواداً ، حَسَنَ السِّيرَةِ والتَّدْبيرِ لِلْمُلْكِ ، مُنْصِفاً لِرَعِيَّتِهِ . وإِلَيْهِ نُسِبَتْ مَدينَةُ الْقاهِرَةِ ، فَسُمِّيَتِ « الْقَاهِرَةَ الْمُعِزِّيَّةَ » .

٥٦ — رِثاءُ محمّد «بك» فَريد، رئيس الحِزْبِ الوَطَنِىّ

مِنْ قَصيدةٍ للمَرْحومِ حافِظ بك إبراهيم



أيُّهَا النِّيـــلُ لَقَدْ جَلَّ الأَسَى كُنْ مِدَاداً لى إِذا الدَّمْعُ نَفِدْ

وَأذْبُلى يا زَهْرَةَ الرَّوْضِ ولا تَبْسِمِى لِلطَّلِّ فالْعَيْشُ نَـكَدْ

فَلَقَدْ وَلَّى «فَريدٌ» وانْطَوَى رُكْنُ مِصْرٍ وَفتَاها وَالسَّنَدْ

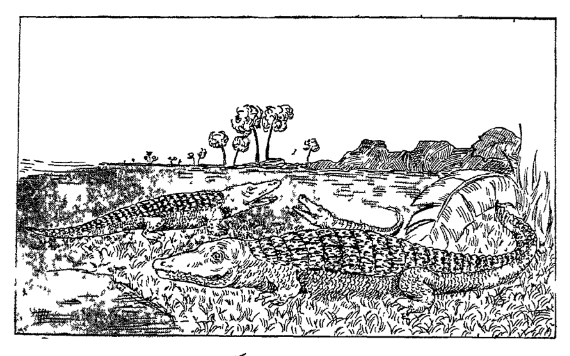
خَالِدَ الآثارِ! لاتَخْشَ البِـــلَى! لَيْسَ يَبْلَى مَنْ لهُ ذِكْرٌ خَلَدْ

يا غَرِيبَ الدَّارِ والقَـبْرِ ! وَيَا سَلْوَةَ النِّيلِ إِذا ما الْخَطْبُ جَد !
وحُساماً فَلَّ حَـدَّيْهِ الرَّدَى ! وشِهاباً ضاءَ وَهْناً وَخَمَدْ !
قُلْ لِصَبِّ النِّيلِ إِنْ لاقَيْتَهُ فى جِوارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدْ :
« إِنَّ مِصْرًا لا تَنِي عَنْ قَصْدِها رَغْمَ ما تَلْقَى وَإِن طالَ الْأَمَدْ
جِئْتُ عَنْهَا أَحمِلُ الْبُشْرَى إِلى أَوَّلِ الْبَانِينَ فى هذا الْبَلَدْ
فَاسْتَرِحْ واهْنَأْ وَنَمْ فى غِبْطَةٍ قد بَذَرْتَ الْحَبَّ والشَّعْبُ حَصَدْ »

---

٥٧ — التِّمْسَاحُ
عِنْدَ قُدَماءِ المِصرِيِّينَ

كان المِصْرِيُّونَ الْقُدَماءِ يجْعلَونَ التِّمْساحَ والثُّعْبَانَ وفَرَسَ الْبَحْرِ رَمْزاً لِإِلٰهِ الشَّرِّ « تِيفُون » . وكانوا يُقَدِّسونَها تَقَرُّباً إِلَيْهِ ، واتِّقاءً لِشَرِّهِ . ولكنَّ هذهِ الْحيواناتِ كانت تُقَدَّسُ فى بَعْضِ البِلادِ ، وتُقْتَلُ فى بَعْضِها فكان التِّمْساحُ يُعْبَدُ فى الفَيُّومِ وطِيبَةَ ، وكان أَهْلُ هذينِ الإِقْليمَيْنِ يُعظِّمونَهُ ويُطْعِمونَهُ حَتَّى يَأْنَسَ بِهِمْ . وكان أَهْلُ أُسْوانَ ودَنْدَرَةَ يَمْقُتُونَهُ ، ويَكْرَهونَ رُؤْيَتَهُ ، ويَصْطادونَهُ لِيَقْتُلوهُ أو يُعَذِّبوهُ بِرَبْطِهِ فى حَرِّ الشَّمْسِ



وقد قَدَّسَ بعضُ النّاسِ النِّمْسَ؛ لأَنَّهُ يُتلِفُ بَيْضَ التِّمْساحِ .

وقال هِيرودوتُ المُؤَرِّخُ اليونَانِيُّ : « إِنَّ أَهْلَ الفَيُّوم كانوا يَعلِّقونَ فى أُذُنِ التِّمساح قُرْطاً من ذَهَبٍ أو خَزَفٍ مُحَلًّى بالمِيناءِ ، ويجْعَلونَ فى يَدَيْهِ أَساوِرَ من ذَهَبٍ . »

وحَكَى هِيرُودوتُ أنَّ تِمْساحاً أَكلَ مَعهُ فَطيرًا وسَمَكًا ، وشَرِب شَراباً مَعْسولاً ، ثمَّ ذَهبَ إلى البُحَيْرةِ فَنامَ على شاطِئِها ، فَأَتَى الكَهَنَةُ إليهِ، وفتحَ اثْنانِ مِنْهُم فَمَهُ ، ووَضَعَ آخرُ فيه فَطيراً، وسقاهُ شَراباً حُلْوًا ، ونزَلَ التِّمْساحُ إلى الماءِ ، وسَبَح إلى الشَّاطِئِ الآخَرِ ، فَأَتى رَجُلٌ مَعهُ نَذْرٌ ، فأَخَذَهُ الْكَهَنَةُ وسارُوا على الشَّاطِئِ حتَّى بلَغوا مكانَ التِّمساحِ ، فأَطْعَموهُ مَرَّةً أُخْرَى .

وحَكَى أيضاً أنَّ المِصْرِيِّينَ لهُمْ فى صَيْدِ التِّمْساحِ وسائلُ كَثيرَةٌ ، منها : أنَّهُم يَضَعونَ لَحْمَ الخِنْزِيرِ على خَطاطيفَ من حَديدٍ ، ويُلقونَها فى الماء ، ثُمَّ يَضْرِبون خِنْزِيرًا على البَرِّ فيَصيحُ ، فيَسْمَعُ التِّمساحُ صَوْتَهُ ، فيَقْصِدُ إليْهِ ، فيَرى اللَّحْمَ على الخَطاطيفِ فيَبْتَلِعُهُ ، فتَنْشَبُ الخَطاطيفُ فى جَوْفِهِ ، فيَجُرُّهُ الصَّيَّادونَ إلى البَرِّ ، ويَطْمِسونَ عَيْنَيْهِ بالطِّينِ لِيأْمَنوا أذاهُ . ثُمَّ يُمْسِكونَهُ .

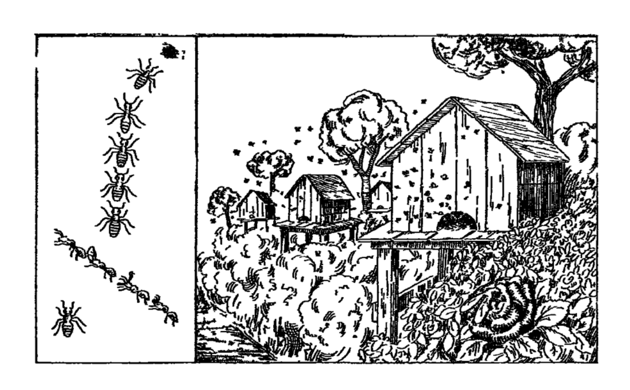
---

٥٨ — ادِّخارُ النَّحلِ والنَّملِ

تَتَجَلَّى غَريزَةُ الادِّخارِ فى صِنفَيْنِ من الحيَوانِ ، هُما : النَّحلُ ، والنَّملُ فالنَّحلُ يَصْنَعُ خَلاياهُ من الشَّمْعِ ، ويَدَّخِرُ فيها العَسَلَ مِمَّا يَمْتَصُّهُ من رحيقِ الأزْهارِ ؛ لِيُغَذِّيَ نَسْلَهُ ، ويَتَغَذَّى بِهِ عِنْدَ الحاجَةِ .

والنَّمْلُ يَبْنِي قَرْيَتَهُ فى سيقانِ الأشْجارِ ، وفى الجُدْرانِ ، وفى باطِنِ الأرْضِ ، ويَتَّخِذُ فيها غُرَفاً يَدَّخِرُ فى بَعْضِها قوتَهُ ، ويَحْفَظُ فى بَعْضِها أنْواعاً من الحشراتِ الَّتى تُفْرِزُ اللَّبَنَ لِغِذائِهِ ، أو تَقومُ بِخِدْمَتِهِ .

وإذا تَأَمَّلْتَ النَّمْلَ وجَدْتَهُ كالنَّحْلِ فى شُغْلٍ شاغِلٍ ؛ تَخْرُجُ النَّمْلَةُ من قَرْيَتِها ، فإذا عَثَرَتْ فى طَرِيقِها على حَبَّةٍ خَفيفَةٍ حَمَلَتْها



أو جرّتها ، فإنْ وجدتْها ثقيلةً رجعتْ لتدعُوَ شُركاءَها . وكُلّما مرّت بنملةٍ لمستْها بإبرتِها ، تستحثُّها على المُساعدةِ . وبهذا يتضافرُ النّملُ على العملِ ، ويحمِلُ ما قدر عليْهِ من أصْنافِ الغِذاءِ إلى قرْيتِهِ ، حيْثُ تُربِّيهُ الأُمّهاتُ .

ويستمرُّ النّملُ فى كدِّهِ على هذا المِنْوالِ طولَ الصّيْفِ ؛ فيدّخِرُ ما يسُدُّ حاجتَهُ فى فصْلِ الشِّتاءِ ، حينَ لا يسْهُلُ عليْهِ السّعْى والعملُ . وكذلك كلُّ منْ جدَّ وجدَ .



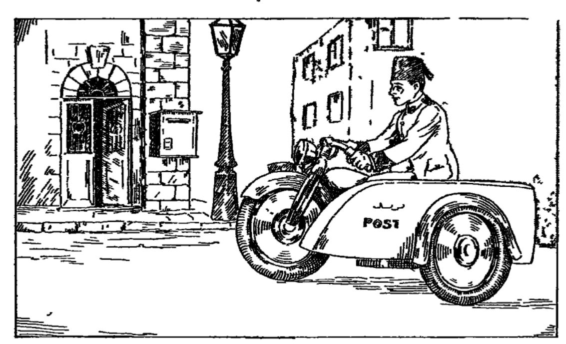
٥٩ — لِلإمام عَلِيٍّ رضى الله عنه

دعِ الإسْرافَ مُقْتَصِداً ، واُذْكُرْ فى اليومِ غداً ، وأمْسِكْ منَ المـــالِ بِقَدْرِ ضَرورَتِكَ ، وقَدِّمِ الفَضْلَ ليومِ حاجَتِكَ . أتَرْجو أنْ يُعطِيَكَ اللهُ أجْرَ الْمُتَواضِعينَ وأنْتَ عِنْدَهُ من الْمُتَـكَبِّرِينَ ؟ وتَطمَعُ — وأنْتَ مُتَمَرِّغٌ فى النَّعيم تَمْنَعهُ الضَّعيفَ والأرْمَلَةَ — أنْ يوجِبَ اللهُ لكَ ثوابَ الْمُتَصَدِّقين ؟ وإنَّما الْمَرْءُ مَجْزِىٌّ بما أسْلَفَ ، وقادِمٌ على ما قَدَّمَ .

---

٦٠ — الـــبَريدُ فِى مِصْرَ

كانت الدُّوَلُ القَـديمَةُ تتَّخِذُ البَريدَ لِتَصِلَ أطْرافَ الْمَمالِكِ بَعْضَها بِبَعْضٍ ، وكانوا يُقَسِّمونَ المسافَةَ البَعيدةَ إلى مَنـازِلَ ، ويُعِدُّونَ فى كُلِّ مَنْزِلٍ رِجالاً وخَيْلاً ، فَيَحْمِلُ الفارِسُ الرِّسالَةَ ، ويَعْدُو بِها حَتَّى يَبْلُغَ الْمَنْزِلَ الَّذِى يَليهِ ، فَيُسَلِّمُ الرِّسالَةَ ، فَيَأْخُذها فارِسٌ آخَرُ ، ويَعْدُو بِها إلى الْمَنْزِلِ التَّالِى ، وهَكَذا ؛ فَتَصِلُ الرَّسائِلُ إلى البلادِ بِسُرْعَةٍ تُقارِبُ نِصْفَ سُرْعَةِ القِطارِ . وكانوا أحْياناً يُرْسِلونَ الرَّسائِلَ بِحَمامِ الزَّاجِلِ



ولمَّا تولَّى مُحَمَّدُ علِيّ « باشـا » إمارةَ مِصْرَ أَنْشَأَ دِيوانًا لِبَرِيدِ الْحُكومَةِ ، ينْقُلهُ سُعَاةٌ يَمْشونَ أَحْيَانًا ، وأَحيانًا يرْكَبونَ إبلاً سَرِيعَةً تُسَمَّى النَّجائِبَ ، ويُسَمَّى راكِبُها النَّجَّابَ ، وهى الَّتى تُسَمَّى اليوْمَ الْهجَائِنَ .

وفى ذلك الحِينِ تَعَهَّدَ رجلٌ مِصْرِىٌّ من سُكَّانِ القاهِرَةِ بِنَقْلِ رسائِلِ الْجُمْهورِ ، وتَعَهَّدَ رجُلٌ أَجْنَبِىٌّ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ بِنَقلِ الرَّسائِلِ الَّتى تُرْسَلُ إلى أَوْرُبَّا أو تَرِدُ مِنْها . ثُمَّ اتَّسَعَ هذا العَمَلُ ونُظِّمَ ؛ فَشَمِلَ نَقْلَ الرَّسائِلِ فى جميعِ أَنْحاءِ مِصْرَ ، وأُنْشِئَت لهُ مَكاتِبُ فى مُدُنٍ كثِيرَةٍ .

وفى سنة ١٨٥٨ م مُدَّ أَوَّلُ خَطٍّ حديدِىٍّ بَيْنَ القاهِرَةِ

والإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَنُقِلَت به رَسائِلُ البَرِيدِ ، ثم مُدَّت بعد هذا الْخَطِّ خطوطٌ أُخْرى ، فاتَّسَعَت أعمالُ البَرِيدِ ، ونُظِّمَت ، وكَثُرَ دَخْلُها .

وفى سنة ١٨٦٥ م تَوَلَّت الْحُكومَةُ أعمالَ البَرِيدِ ، وجَعَلت لهُ مَصْلَحَةً خاصَّةً ، عَظُمَ شَأْنُها ، وكَثُرَتْ منافِعُها ، واتَّسَعَ نِطاقُ أَعمالِها ، وصارَت مَكاتِبُها الآنَ فى المُدُنِ والْأَرْيافِ تَقْرُبُ من خَمْسَةِ آلاف مَكْتَبٍ ، تَسِيرُ على نِظامٍ مُحْكَمٍ ، لا تَضِيعُ فيهِ رسالَةٌ ولا تَتأَخَّرُ .

٦١ — الإِحْصاءُ العامُّ

عُنِيَت حُكوماتُ الأُمَمِ الرَّاقِيَةِ بِإِحْصاء عَدَدِ سُكَّانِهَا ، ومَعْرِفَةِ مِهَنِهم ، وَالوقُوفِ على مِقْدارِ ثَرْوَتِهم ، وَالِاطِّلاعِ على حالَتِهم العِلْمِيَّةِ والصِّحِّيَّةِ ، مَعَ مُوازَنَةِ حالِهِم الحاضِرَةِ بِما سَبَقَها منَ الحالاتِ الغابِرَةِ . يَحْمِلُها على ذلك الرَّغْبَةُ فى الإِصْلاحِ ، والسَّعْىُ فى طريقِ الرُّقِىِّ ، والأَخْذُ بِأَسْبابِ الْحَضارَةِ والعُمْرانِ .

تَعْرِفُ الْحُكومَةُ من طريقِ الإِحْصاء عَدَدَ سُكَّانِ البلاد ، وما بَلَغَهُ أَهْلُها فى العِلْمِ والتَّرْبِيَةِ ، وما هُمْ عَلَيْهِ من صِحَّةٍ وضَعْفٍ ،

وما بَرَعوا فيهِ من صِناعَةٍ وتِجارَةٍ ، وما لا يَزالونَ مُحتاجِينَ إليْهِ من أَسْبابِ الرُّقِيِّ والتَّقَدُّمِ ، ومُجاراةِ الأُمَمِ النَّاهِضَةِ . فإذا تَمَّ لها ذلك بَدَأَتْ تَعْمَلُ فى مُداواةِ الأَمْراضِ ، ونَشْرِ العلومِ والفُنونِ ، وتَثْقيفِ العُقولِ ، وفَتْحِ أبوابِ الرِّزْقِ لِلْمُتَعَطِّلينَ ، وتَشْجيعِ المُجِدِّينَ العامِلِينَ . فَتَنْشُرُ المدارِسَ والمصانِعَ حيثُ تَكْثُرُ الحاجَةُ إليْها ، وتُنْشِئُ المُسْتَشْفَياتِ حَيْثُ تَفْشُو الأَمْراضُ ، وتُرَقِّى وسائِلَ الزِّراعَةِ حَيْثُ يَطيبُ الزَّرْعُ ، وتَكْثُرُ الغَلاَّتُ . ثُمَّ تَنْظُرُ فى عِمارَةِ الأَرْضِ وَإِصْلاحِ ما فَسَدَ مِنْها ، فَتَزِيدُ فى ثَرْوَةِ البِلادِ ، وَتُمَهِّدُ الطَّرِيقَ لِدَفْعِ غائِلَةِ الحاجَةِ ، ولا تَدَعُ الأُمَّةَ عُرْضَةً لِلْمَصائِبِ ، وهَدَفاً للنَّوائِبِ . ثُمَّ تَعمَلُ على تَكْثيرِ سوادِ الأُمَّةِ وَنُمُوِّ عَدَدِها ، وَحِفْظِ نَسْلِها ، حَتَّى تَجِدَ من أَبْنائِها عَوْناً لها فى الشَّدائِدِ ، وحِصْناً فى المُلِمَّاتِ

وبَعْدُ فَإِنَّ فى الإحْصاءِ العامِّ تَحْليلاً لِحالَةِ الأُمَّةِ ، وتَبْيِيناً لِأَمْراضِها الاجْتِماعِيَّةِ ، وَبذلك تُهَيِّئُ الْحُكومَةُ لِكُلِّ داءٍ دَواءَهُ ، فَتَنْهَضُ بِالأُمَّةِ إلى مَراتِبِ الرُّقِيِّ والكَمالِ ، وَتَزِيدُها حَضارَةً وعُمْراناً .

فَهُوَ حَسَنَةٌ من حَسَناتِ الْمَدَنِيَّةِ ، وَخِدْمَةٌ جَليلَةٌ لِبَنِى الإِنْسانِ .

---

٦٢ — نَصَائِحُ لِقُدَماءِ المِصْرِيِّينَ

اِسْمَعْ يا بُنَىَّ تَسْتَفِدْ مِمَّا تَسْمَعُ . وافعَلْ ما يَقولُ أُسْتاذُكَ ، وَلْيَثْبُتْ قَوْلُهُ فى قَلْبِكَ ، وَلْتَجْتَهِدْ فى عَمَلِكَ لِيَذْكُرَ النَّاسُ اسْمَكَ .

اِمْتَثِلْ أَوامِرَ رَئِيسِكَ ، ولا تَتَكَبَّرْ عَلَيْهِ ، وَلْيَكُنْ وجْهُكَ باشًّا ماعِشْتَ .

لِتَكُنْ أَفْكارُك صائِبَةً ، وَلْيَكُنْ لِسانُكَ عَفًّا ، واعْلَمْ أَنَّ الصَّمْتَ خَيْرٌ مِنْ تَكْرَارِ الْحَدِيثِ . وإِذا سُئِلْتَ فَتَكَلَّمْ ، ولْيَكُنْ كَلامُكَ مُقْنِعاً .

لا تَدَّعِ الْقُوَّةَ ، وإِيَّاكَ والتَّكَبُّرَ ؛ فَإِنَّهُ صِفَةُ الْحُمْقِ . وعَلَيْكَ بِالتَّوَاضُعِ ؛ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ الْحُكَماءِ .

كُنْ نَشِيطاً ما دُمْتَ حَيًّا ، فَعَّالاً لِما تَقولُ ، ولا تُضَيِّعْ أَوْقاتَ نَشاطِكَ ؛ فَالْجِدُّ سَبيلُ الْغِنَى ، والْغِنَى لا يَدُومُ إِنْ فارقَهُ النَّشاطُ .

إِذا كُنْتَ زَارِعًا فَاحْصُدْ فى الْحَقْلِ الَّذى أَعْطاكَ اللهُ ، ولا تَمُدَّ يَدَكَ إِلى زَرْعِ جِيرَانِكَ .

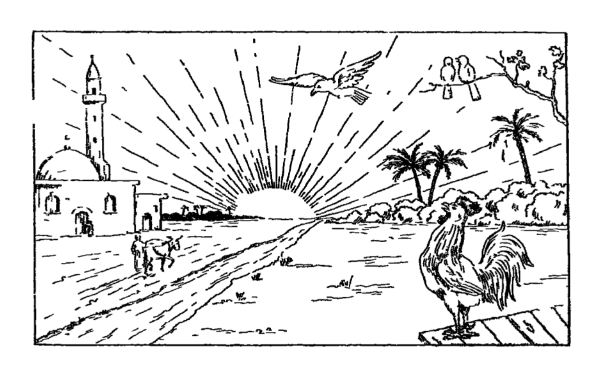
إِذا أُرْسِلْتَ لِتَبْلِيغِ رِسالَةٍ فَكُنْ أَميناً ، واحْذَرْ تَحْرِيفَ الْكَلِمِ عِنْدَ ما تَتَكَلَّمُ ؛ فَكُلُّ مَن تَكَلَّمَ غَيْرَ الْحَقِّ مُبْغَضٌ .

إذا جَلَسْتَ لِتأْكُلَ مع غَيْرِكَ فلا تَكُنْ شَرِهًا ، وإذا جَلَسْتَ مع شَرِهٍ فَاحْذَرْ أَنْ تُحاكِيَهُ في شَرَهِهِ ؛ فَإِنَّ كوبًا مِن الماء يُطْفِئُ الظَّمَأَ ، ولُقْمَةً صَغيرَةً تُذْهِبُ الْجوعَ ، والقَليلَ الطَّيِّبَ خَيْرٌ مِنَ الْكَثيرِ الرَّدِيءِ .

وإذا أَكَلْتَ مع مَن هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَخُذْ ما يُعْطيكَ بِأَدَبٍ ، ولا تُدِمِ النَّظَرَ إلى ما أَمامَكَ مِنَ الطَّعامِ

---

٦٣ — الصَّباحُ



مَزَّقَ الضَّوْءُ ظَلامَ الْمَشْرِقِ   وَاسْتَطَالَ النُّورُ بَيْنَ الغَسَقِ
وَأَطَلَّ الفَجْرُ فَوْقَ الْأُفُقِ   سَبِّحُوا الْخَلَّاقَ رَبَّ الفَلَقِ

* * *

رَدَّدَ الدِّيكُ صِياحاً يَصْعَدُ   يَسْتَحِثُّ النَّاسَ أَلَّا يَرْقُدُوا
وتَلاهُ بِالأَذانِ المَسْجِـدُ   اُهْجُرُوا النَّوْمَ ولِلّهِ اسْجُدُوا

***

زَقْزَقَ العُصْفُورُ فَوْقَ الشَّجَرِ   فَرَحاً بِالنُّورِ فِى اليَوْمِ الجَدِيد
وعَلَا صَوْتُ الغُرَابِ المُبْكِرِ   سَاعِياً لِلرِّزْقِ فى الأُفْقِ البَعيد

***

صُبِغَ الأُفْقُ بِأَلْوَانِ اللَّهَب   خافِقاً فيـه شُعاعٌ فى شُعاع
حاجِبُ الشَّمْسِ بَدَا للمُرْتَقِب   سالَتِ الأَضْوَاءُ فى أعْلى البِقاع

***

هذه الشَّمْسُ رسولٌ لِلْعَمَل   طارَتِ الطَّيْرُ إِلى أَرْزاقِها
فَامْلَئُوا النَّفْسَ بِعَزْمٍ وأَمَل   واُضْرِبُوا لِلرِّزْقِ فى آفَاقِها

---

٦٤ ــ قَطْــرَةُ ماءٍ

ذَهَبَ سليمٌ إلى حَديقةِ دارِهِ مُبَكِّراً، فَرَأى على زَهْرَةٍ قَطْرَةً من الماءِ تَلْمَعُ فى ضَوْءِ الصَّباحِ ، ويَتَرَجَّحُ بِها الغُصْنُ. فَنظَرَ إِلَيْها وقال : «صَباحَ الخَيْرِ أَيَّتُها القَطْرَةُ الجَميلةُ ! مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ إلى هذهِ الزَّهْرَةِ ؟ » . قالت : « لى قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ يا أخى، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهَا ؟ فَضَحِك سليمٌ وقال : وما قِصَّتُكِ ؟ »

قالت : « كُنْتُ فى الْبَحْرِ المِلْحِ ، أَسْتَقِرُّ تارَةً على سَطْحِهِ ، وتارَةً تَهُبُّ الرِّيحُ ، ويَموجُ البَحْرُ ، فَأَضْطَرِبُ مَعَ الْأَمْواجِ . وأُشْتَدَّتْ عَلَىَّ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ ، فَصِرْتُ بُخاراً ، وعَلَوْتُ فى الهَواءِ فى بُخارٍ كَثيفٍ ، وتَجَمَّعَ البُخارُ فى الْجَوِّ فصارَ سَحاباً . »

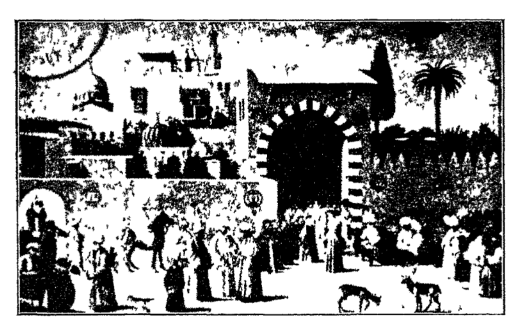
« وكانت الرِّياحُ تَدْفَعُنَا من جِهَةٍ إِلى أُخْرَى ، وتَعْلو مَرَّةً ، وتَهْبِطُ مَرَّةً ، حَتَّى لَقِينَا هَواءً بارِدٌ ، فَرَجَعْنا ماءً كما كُنَّا ، وتَقَطَّرْنا على الجِبالِ فى مَطَرٍ كَثِيرٍ . »

وسالتْ بِنا الْأَوْدِيَةُ حَتَّى نَزَلْنا فى نَهْرٍ ، فَسِرْنا مَعَ تَيَّارِهِ ، حتى كُنَّا قَرِيباً من هذه المَدِينَةِ ، فَجَذَبَتْنَا أُنبوبَةٌ كَبِيرَةٌ ، ودَفَعَتْنَا إِلى حَوْضٍ عَظيمٍ ، تَأْخُذُ مِنْهُ الْمَدِينَةُ ماءَها . »

« ثُمَّ سِلْتُ مَعَ القَطَراتِ الأُخْرى فى أُنْبُوبَة إِلى هذا المَنْزِلِ ، وجاءَ البُسْتانِيُّ فَوَضَعَ الْخُرْطومَ على الصُّنْبورِ ، فَأُنْبَجَسْتُ فى الماءِ الَّذى أُنْبَجَسَ من الْخُرْطومِ ، وَوَقَعْتُ على هذه الزَّهْرَةِ ، ولا أَدْرى أَيْنَ أَذْهَبُ بَعْدَ ذلك . »

« ورُبَّمَا أَبْخَرُ ، وأَسِيرُ فى السَّحابِ ، وأَقْطُرُ فى الْبَحْرِ الَّذى خَرَجْتُ مِنْهُ . »

٦٥ – اَلسُّلْطَانُ الْغُورِىّ



إذا دخَلْتَ شارِعَ الغورِيَّةِ من بابِ زوَيْلةَ الَّذى يُسَمَّى «بابَ المُتوَلِّى» — رَأَيْتَ إلى يَسارِكَ مَسجِداً جميلًا فخْماً ، هو مسجِدُ السُّلطانِ المُؤَيَّدِ . فإذا سِرْتَ إلى الشَّمالِ حَيْثُ يَلْتَقى هذا الشَّارِعُ وشارِعُ الأَزْهَرِ — أَبْصَرْتَ عن يمينِكَ وشمالِكَ بناءَيْنِ عالِيَيْنِ ، يَبْدو علَيْهِما جَمالُ الصِّناعَةِ ، وجَلالُ الْقِدَمِ . الغَرْبِىُّ مِنْهُما مَسجِدٌ ، والشَّرْقِىُّ مَدْرسَةٌ ، وسَبيلٌ ، وحُجْرةٌ كبيرَةٌ ، عليها قُبَّةٌ ، وفيها ضريحٌ أُعِدَّ لِصَاحِبِ هذا الْبِناءِ .

هذانِ البِناءانِ مِنْ آثارِ السُّلطانِ الْأَشْرَفِ قانصوه الغورِىِّ الَّذى تُنْسَبُ إليه الغورِيَّةُ ، وهو آخِرُ سلاطينِ المماليكِ بِمِصْرَ .

توَلَّى الغورِىُّ المُلْكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وتِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، من سنة ٩٠٦ هـ إلى سنة ٩٢٢ هـ . وكان تَقِيًّا عفيفاً ، عالِماً أديباً ، مُحِبًّا للعُلَماءِ

والأُدَباء . اِنْتَخَبَهُ المماليكُ لِلسَّلْطَنَةِ على غَيْرِ رِضاهُ حينَ اُخْتَلَّتِ الأُمورُ ، ولَمْ يَرَوْا أَصْلَحَ لِلْمُلْكِ مِنْهُ ، فَشَرَطَ عليْهِم أَنْ يُخْبِروهُ إذا كَرِهوا وِلايَتَه حَتَّى يَعْتَزِلَ المُلْكَ .

أَحْسَنَ الغوريُّ السِّيرَةَ ، واهْتَمَّ بِعِمارَةِ البِلَادِ ، فَاجْتَمَعَتِ الكَلِمَةُ عليه ، واسْتَقَرَّتِ الأُمورُ في مِصْرَ ، وعُنِيَ بِتَشْييدِ المباني العَظيمةِ ، وشَقَّ التُّرَعِ .

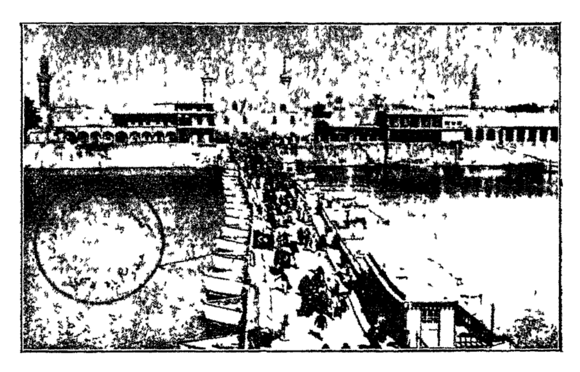
وكان لَهُ مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فيه العُلَماء والكُبَراء ، فَيَتَحَدَّثونَ ، ويَتَجادَلونَ في مسائِلَ من التَّاريخِ والعُلومِ الدينيَّةِ والعَرَبيَّةِ . وكان السُّلطانُ يَسْأَلُ ويُدْلى بِرَأْيِهِ . وقد جُمِعَتْ آراؤهُ في كِتابٍ بَقِيَ إلى هذا العَصْرِ . وفيها دَليلٌ على عِلْمِهِ وأَدَبِهِ وحُسْنِ رَأْيِه وفُكاهَتِهِ . ومن آثارِهِ مُصْحَفٌ كبيرٌ جَميلٌ مُذَهَّبٌ في دارِ الكُتُبِ المِصْريَّةِ .

وكانت المَمْلَكَةُ المِصْرِيَّةُ في عَهْدِهِ تشمَلُ الشَّامَ وبِلادَ العرَبِ . وكانت أَساطيلُ مِصْرَ تَسيرُ في البَحْرِ الأحمرِ والمُحيطِ الهِنْديِّ إلى بِلادِ الهِنْدِ . وقد بَنَى المِصْريُّونَ على شواطِئِ الهِنْدِ قِلاعاً لِحِمايَةِ الأَساطِيلِ والتِّجارَةِ .

وَبَيْنَما السُّلطانُ يُدَبِّرُ المملَكَةَ ، ويَجْتَهِدُ في التَّعْميرِ والإصْلاحِ — وَقَعَتِ حَرْبٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلطانِ سَليمٍ العُثْمانيِّ ، فَقُتِلَ الغوريُّ في مَوْقِعَةِ « مَرْجِ دابِق » سنة ٩٢٢ من الهِجْرَةِ . رَحِمَهُ اللهُ !

---

٦٦ — بَغْـدادُ



منظر من مناظر بغداد

هى عاصِمَةُ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ ، وعُنْوانُ مَجْدِها ، وأَثَرُها الخالِدُ على مَرِّ الدُّهورِ . بَناها أَبو جَعْفَرٍ المَنْصُورُ ثانِى خُلَفاء هذه الدَّوْلَةِ على ساطِئِ نَهْرِ دِجْلَةَ . بدأ بِناءها سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ومِائَةٍ ، وَوَضَعَ بِيَدِهِ أَوَّلَ لَبِنَةٍ فى أَساسِها . وقال : « بِسْمِ اللهِ والحَمْدُ لِلهِ ، الأَرْضُ لِلهِ يورِثُها من يَشَاءُ من عِبادِهِ والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . » واسْتَعانَ بالمُهَنْدِسِينَ والصُّنَّاعِ والعُمّالِ من أَقْطارٍ كَثِيرَةٍ . وتَمَّ بِناؤُها سَنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعِينَ ومِائَةٍ .

وقَدْ جَعَلَها مُدَوَّرَةً ، واتَّخَذَ لِنَفْسِهِ قَصْراً فَخْماً فى وسَطِها ،

وحَوَّطَها بِسورٍ كان عَرْضُهُ من أَساسِهِ خَمْسِينَ ذِرَاعًا ، ومن أَعْلاهُ عِشْرِينَ . وبَلَغَ ما أُنْفِقَ عَلَيْها أَكْثَرَ من أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وقَد بَلَغَتْ هذه المَدِينَةُ من العِلْمِ والصِّناعَةِ والتِّجارَةِ مَبْلَغًا لَمْ تَنَلْهُ قَبْلَها مَدِينَةٌ أُخْرَى . وزادَ عَدَدُ سُكَّانِها أَيَّامَ الرَّشيدِ والمَأْمُونِ ، حَتَّى بَلَغَ « مِلْيونَيْنِ » أَوْ أَكْثَر .

وبَنى المَنْصورُ أَيْضًا فى شَرْقِيِّ بَغْدادَ مَحَلَّةَ الرُّصافَةِ ، ومُدَّت على نَهْرِ دِجْلَةَ جُسورٌ تَصِلُ بَيْنَهُما ، وكَثُرَتْ حَوْلَهُما الرِّياضُ والمُتَنَزَّهاتُ .

وكانت دورُ الخُلَفاءِ والْوُزَراءِ والأُمَراءِ بِبَغْدادَ ذاتَ جَمالٍ وبَهْجَةٍ ، تَزْدانُ بالنُّقوشِ الذَّهَبِيَّةِ ، والصُّوَرِ البَدِيعَةِ ، وتُحيطُ بها البَساتِينُ ذاتُ الأَشْجارِ الباسِقَةِ ، والأَزْهارِ النَّادِرَةِ ، والثِّمارِ اليانِعَةِ ، حَتى كان يُخَيَّلُ لِرائيها أَنَّها جَنَّةُ الدُّنْيا .

ولَمَّا زالتِ الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ ضَعُفَ أَمْرُ بَغْدادَ ، وقَلَّت عِمارَتُها وزالَ جَمالُها ، وذَهَبَ عِزُّها .

وقَدْ بَدَأَتْ تَسْتَرِدُّ ما كان لَها من بَهْجَةٍ ومَجْدٍ ، حين صارت مَقَرًّا لِلدَّوْلَةِ العَرَبِيَّةِ العِراقِيَّةِ ، زادَها اللهُ مَجْدًا ونَماءً ، وعِزًّا وارتِقاءً !

٦٧ — قدومُ السَّيّاحِ إلى مِصْرَ فى الشّتاءِ

نَرَى السُّيّاحَ منَ الأَوْرُبيّينَ يجوسونَ خِلالَ دِيارِنا فى فَصْلِ الشّتاء ، حَيْثُ الجوُّ مُعْتَدِلٌ ، والشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ ، تُرْسِلُ أَشِعَّتَها فتُحْيِي ميِّتَ الآمالِ ، وتَبْعَثُ كامِنَ السُّرُورِ .

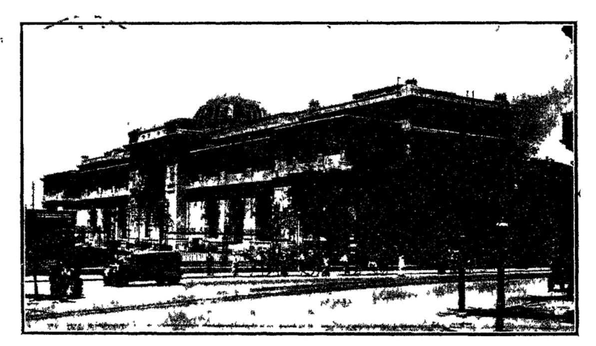
ذلك لِما عُرِفَتْ بهِ مِصْرُ من قَديمِ الزّمانِ من مَدَنِيَّةٍ راقِيَةٍ ، وحَضارَةٍ عَظيمَةٍ ، وآثارٍ بَديعَةِ الصُّنْعِ ، مُحْكَمَةِ الوَضْعِ ، بَقِيَتْ على الدَّهْرِ وقَدْ بادَتْ قُرونٌ ، وهَلَكَتْ عُصورٌ ، فكأَنَّها قد أَخَذَتْ عَلَيْهِ عُهوداً أَلاَّ يَخونَ ذِمَّتَها ، أَوْ يُضَيِّعَ بَهْجَتَها ، فَبَرَّ بِوَعْدِه ، وأَوْفَى بِحَقِّ جِوارِها لَهُ .

ولَقَدْ صارَتْ هذه الآثارُ مَطْمَحَ الأَنْظارِ ، ومُلْتَقَى أَهْلِ الأَقْطارِ ، يُمَتِّعونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَحاسِنِها ، ويُناجونَ فيها الأُمَمَ السّالِفَةَ ، ويَقْرءونَ على صَفَحاتِها كَثيرًا من عُلومِ السّابِقينَ وحَوادِثِهِمْ .

تَراهُمْ يُسْرِعونَ إلى هذه الآثارِ من كُلِّ حَدَبٍ ، يَتَفَرَّسونَ فيها أَخْلاقَ القُدَماءِ وعاداتِهِمْ ، فيُسَطِّرونَ ثَمَرَةَ أَفْكارِهِمْ ، ويُدَوِّنونَ مَبْلَغَ أَخْبارِهِمْ ، ويُرْشِدونَ النّاسَ إلى تَقَدُّمِهِمْ ، وخُلاصَةِ تاريخِهِمْ .

وكَثيرًا ما كَشَفَتْ لَهُمُ الآثارُ المِصْرِيَّةُ غَوامِضَ العُلومِ ، وخَفايا

الصِّنَاعاتِ ، وكانَتْ مَوْرِداً لِلْعُلَماءِ ، ونَموذَجاً لِلصُّنَّاعِ . أُولئكَ يُدَوِّنونَ مِنهَا تاريخَ الْحضارَةِ الْقَديمَةِ ، وهؤلاء يُحاكونَها فى طَريفِ الْمَصْنوعاتِ . فَعادَت هذه الآثارُ على الْعِلْمِ والصِّناعَةِ بِأَفْضَلِ فائِدَةٍ ، وأجَلِّ عائِدَةٍ .



دار الآثار بالقاهرة

ولَقَدْ أَحْسَنَتِ الْحكومَةُ صُنْعاً إِذْ شيَّدَت لِلآثارِ داراً فَخْمَةً ، جَمَعَتْ شَتَّها ، ونَظَّمَتْ عِقْدَها ، فَإِذا هِىَ عُنْوانُ مَجْدِ الْغابِرينَ ، وقِبْلَةُ أَنْظارِ السَّائِحينَ .

وَقد بَذَلَتْ مِصْرُ جُهْدَها فى تَرْغيبِ السَّائِحينَ فى زِيارَتِها ، فَجَنَتْ من ذلك ثَمَرَةً طَيِّبَةً فى نَشْرِ ذِكْرِها ، وعُلُوِّ شَأْنِها ، ورُقِيِّ تِجارَتِها وصِناعَتِها ؛ فَتَكْسِبُ الْحكومَةُ من أُجورِ السِّكَّةِ الْحديديَّةِ ،

وزيارةِ الأماكنِ الأثريّةِ — مالاً وافرًا ، ويربَحُ أصحابُ الفنادقِ وعمّالُها ، وباعةُ الطُّرَفِ ، وجماعاتُ التّراجمةِ ، والحُوذيّون وغيرُهم — ربحًا جزيلاً ، يعتمدُ عليهِ كثيرٌ منهم في نفقةِ عامِهِ

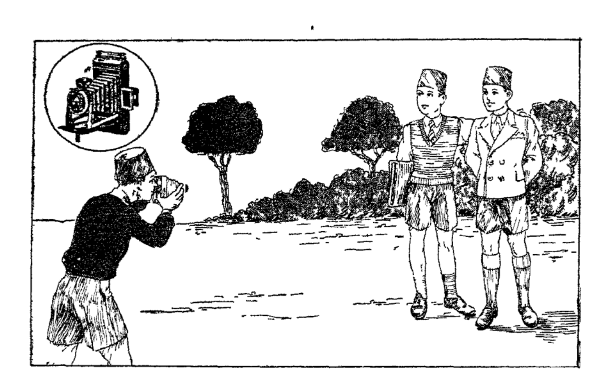
واتّخذت مصرُ — إلى ذلك — من كبارِ زُوّارِها أصدقاءَ يَشُدُّونَ أزرَها ، ويرفعونَ قدرَها . فكانتْ آثارُها نعمةً خالدةً ، وكنزًا غيرَ منقوصٍ .

---

٦٨ — التّصويرُ الشّمسيُّ

كان النّاسُ قديمًا يقضونَ أزمانًا طويلةً ، ويُنفِقونَ أموالاً جمّةً في تصويرِ صورةٍ واحدةٍ ، قدْ لا تكون مُتقنةً ، ولا تُمثّلُ الشّيءَ المُصوَّرَ تمثيلاً صادقًا. ثمّ اُختُرِعَتْ آلةُ التّصويرِ الشّمسيِّ ، فسهُلَ التّصويرُ ، وترقّى شيئًا فشيئًا ؛ حتّى تيسّرَ تصويرُ عِدّةِ صُوَرٍ في ثوانٍ قليلةٍ .

والمُصوِّرَةُ : صُندوقٌ صغيرٌ ، مُحكَمُ الجوانبِ ، لا ينفُذُ الضَّوْءُ إلى داخلِهِ . ولهُ عدسةٌ من البلّوْرِ ، وراءها ثقبٌ صغيرٌ ، عليْهِ غِطاءٌ يحجُبُ الضّوْءَ . فإذا أُزيلَ الغِطاءُ يدخُلُ الضّوْءُ ، فتنطبِعُ معهُ صُوَرُ المرئيّاتِ على زُجاجةِ الصُّندُوقِ



وقَدْ صارَ التَّصْوِيرُ الشَّمْسِىُّ من أَسْبابِ رُقِىِّ العلومِ والفُنونِ ، وطَريقاً من طُرُقِ الإِيضاحِ القَيِّمَةِ ؛ لا تكادُ تَجِدُ كِتاباً خِلْوًا من صُوَرٍ شَمْسِيَّةٍ تُوَضِّحُ غامِضَهُ ، وتُيَسِّرُ فَهْمَ ما صَعُبَ من عِباراتِهِ ، وتَزيدُ الواضِحَ وُضوحاً ، وتُمَثِّلُ المعانِىَ فى صُوَرٍ مُحَسَّةٍ ، وتُزَيِّنُ صَفَحاتِهِ ، وتَجْذِبُ النُّفوسَ إلى الاطِّلاعِ عَلَيْهِ .

وقد مَكَّنَ التَّصْوِيرُ الأَمْنَ فى البِلادِ ؛ إِذ سَهَّلَ على الشُّرْطَةِ مَعْرِفَةَ المُجْرِمينَ الفارِّينَ . كذلك أعانَ الطِّبَّ بِتَصْويرِ باطِنِ المريضِ لِيُعْرَفَ مَوْضِعُ دائِهِ ، ومَوْطِنُ أَلَمِهِ ، فَتَمَكَّنَ الأَطِبّاءُ من اسْتِئْصالِ كَثيرٍ منَ الأَمْراضِ ، وإِنْقاذِ نُفوسٍ كادَتِ العِلَلُ تَقْضِى عَلَيْها .

وبه أُخِذَت صُوَرُ مناظِرَ مُخْتَلِفَةٍ فى أَنْحاء العالَمِ المُتَعَدِّدَةِ ، وحُفِظَت صُوَرُ الأَهْلِ والأصْدِقاء ، وسُجِّلَت صُوَرُ العُظَماء ، وحُفِظَت حَوادِثُ مَضَتْ ، وذِكْرى عُهودٍ انقَضَت .

وبِالتَّصْوِيرِ نَشَأَت الخَيالَةُ ، وتَيَسَّرَت صُوَرُها المُدْهِشَةُ ، وعَمَّتْ فَوائِدُها الَّتى لا تُحْصى ، وزُيِّنَت المَنازِلُ والأماكِنُ العامَّةُ بِأَنْواعِ الصُّوَرِ البَديعَةِ ، والمَناظِرِ الجَميلَةِ .

وقد اُسْتَعانَ بِهِ الصُّنَّاعُ والتُّجَّارُ فى الإِعْلانِ بِمَصْنوعاتِهم وبِضاعَتِهم ، فرَبِحوا من ذلك رِبحاً عَظيماً .

وقد ساعَدَ فى تَهْذيبِ الأَخْلاقِ ، ونَشْرِ الفَضيلَةِ ، والتَّنْفيرِ منَ الرَّذيلَةِ ؛ فكانَ فى ذلك كُلِّهِ مُعَلِّماً صامِتاً ، بَلَغَ بِلِسانِ الحالِ ، ما لا يَبْلُغُهُ المَقالُ .

---

٦٩ — الرِّياضَةُ البَدَنِيَّةُ

عُنِيَت الأُمَمُ أَشَدَّ العِنايَةِ بِتَرْبِيَةِ الأَجْسامِ ، وتَهْذيبِ العُقولِ ؛ فَهِىَ تَسيرُ بِهِما فى مَدارِسِها جَنْباً إِلى جَنْبٍ ؛ لِعِلْمِها بِأَنَّ العَقْلَ السَّليمَ لا يَقَرُّ إِلاَّ فى الجِسْمِ السَّليمِ .



وللرِّياضةِ البدَنيّةِ فوائدُ جليلةٌ ، ومَزايا عَظيمةٌ ؛ فهِيَ وَسيلةٌ إلى تقْوِيَةِ الجِسْمِ ، وذَريعةٌ إلى تَرْبيَةِ أعضائِهِ وتنْميَتِها ؛ فإنَّ العُضْوَ كُلَّما كَثُرَت حرَكَتُهُ نال من القُوَّةِ نَصيباً وافِراً . وهى التى تُعَوِّد التَّلاميذَ النِّظامَ ، وتَغْرِسُ فى نُفوسِهِم مَحبَّةَ الوِفاقِ ، وتُحبِّبُ إلى قلوبِهم التَّناصُرَ والاِتِّحادَ . فتَراهُمْ وقَد اتَّفقَتْ خَطَواتُهُم ، وَاتَّحدت حرَكاتُهُم وسَكَناتُهم — كأنَّهُم فَرْدٌ واحِدٌ ، وهُمْ جَمْعٌ مُنْتَشِرٌ تتَحرَّكُ أجْسامُهُم برُوحٍ واحِدَةٍ ، وتَتَوحَّدُ أغْراضُهُمْ بِغايَةٍ مُعيَّنةٍ . يَجْتَمِعونَ فى ساحَةِ اللَّعِبِ وملامِحُ البِشْرِ بادِيَةٌ على وُجوهِهِمْ ، قَد اغْتبَطَت نُفوسُهُم ، وثَلِجَت صُدورُهُمْ ، وابْتَهَجَت قُلوبُهُم . يَنْشُدونَ فى عَمَلِهِم الوِفاقَ والاِتِّحادَ ، فيُدْرِكونَ بذلك أعْظَمَ الغاياتِ ،

وَأَشْرَفَ الأَغْرَاضِ .

وكَثيراً ما كانَت الرِّياضَةُ البَدَنِيَّةُ سُلَّمًا إلى التَّعارُفِ ، وطَرِيقًا إلى الصَّداقَةِ والموَدَّةِ . وما أَعْظَم صداقَةَ الصِّغَرِ ، ومَوَدَّةَ الشَّبابِ ! فَإِنَّها تَبقَى على الدَّهْرِ ، وتَتزَايَدُ على تَتابُعِ الأَعْوامِ . ثُمَّ هِيَ — إلى ذلك — تُعَوِّدُ الإِنْسانَ النَّشاطَ مُنْذُ الصِّغَرِ ، فَيُزَاوِلُ عَمَلَهُ بِهِمَّةٍ لا تَعْرِفُ الْمَلَلَ ، وعَزِيمَةٍ لا يَعْتَرِيها كَلالٌ .

لا رَيْبَ أَنَّ ذلك كُلَّهُ يَجْعلُ من البَنِينَ رِجالاً يَسْتَقْبلونَ حَياتَهُم بالثَّباتِ والصَّبْرِ ، فَيَتَغَلَّبونَ على الْمَصاعِبِ ، ويَسْلُكُونَ سُبُلَ النَّجاحِ ، غَيْرَ وانِينَ ولا مُتَهاوِنِينَ ، ويَجْعَلُ من البَناتِ أُمَّهاتٍ صالِحاتٍ يُؤَدِّينَ واجِباتِهِنَّ ، ويُهَذِّبْنَ أَبْناءَهُنَّ ، ويَلِدْنَ لِأَوْطانِهِنَّ أَوْفَرَ الأَبْناءِ قُوَّةً ، وأَعْظَمَهُم إِقْدامًا ، فَتَسْعَدُ بِهِم البُلْدانُ ، وتصانُ بِنَجْدَتِهِم حُقوقُ الأَوْطانِ .

---

٧٠ — لِلطُّغْرائِيِّ المُتَوَفَّى سنة ٥١٥ هـ

حُبُّ السَّلامَةِ يَثْنِى عَزْمَ صاحِبِه ‏ ‏ عن المَعالى ويُغْرِى الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا ‏ ‏ فى الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فى الْجَوِّ فاعْتَزِلِ

* * *

يَرضى الذَّليلُ بخَفضِ العَيشِ مَسكَنةً   والعِزُّ عِندَ رَسيمِ الأَينُقِ الذُّلُلِ
إِنَّ العُلا حَدَّثتنى — وهى صادِقةٌ   فيما تُحدِّثُ — أَنَّ العِزَّ فى النُّقَلِ

*
* *

لَوْ أَنَّ فى شَرَفِ المَأْوَى بُلوغَ مُنًى   لم تَبْرَحِ الشَّمسُ يَوماً دارةَ الحَمَلِ
غالَى بِنَفسِيَ عِرفانى بِقيمَتِها   فَصُنتُها عن رَخِيصِ القَدْرِ مُبتَذَلِ

*
* *

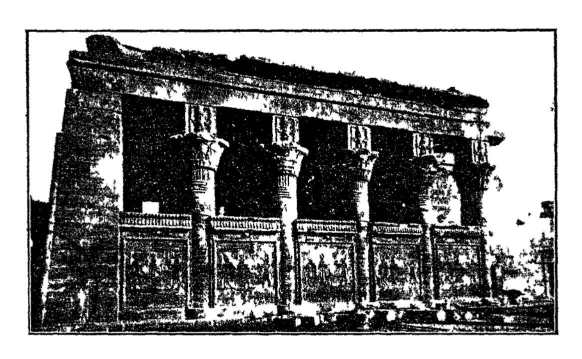
وعادةُ السَّيفِ أَنْ يَزْهَى بجَوهَرِهِ   ولَيسَ يَعمَلُ إِلّا فى يَدَىْ بَطَلِ
وإِنَّما رَجُلُ الدُّنيا وواحِدُها   مَنْ لا يُعَوِّلُ فى الدُّنيا على رَجُلِ

---

٧١ — رَنينُ ساعَةٍ فى مَعْبَدِ دَنْدَرَة

قال المرحُومُ « أَحْمَدُ نَجيب بك » فى كِتابِهِ المُسَمَّى « الأَثَر الجَليل ، لِقُدَماء وادى النِّيلِ » :

« من أَعْجَبِ ما اتَّفَقَ لى — فى شَهرِ أُكْتوبَرَ سنة ١٨٩٢ م — أَنِّى كُنْتُ واقِفاً خَلْفَ المَعْبَدِ من الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ ، أَمامَ صورَةِ المَلِكَةِ « كِلْيُوبَطْرَة » ، ومَعى مُفَتِّشُ آثارِ دَنْدَرَةَ ، وبَعْضُ خُفَراءِ المَعْبَدِ . فَسَمِعْتُ رَنَّةَ ساعَةٍ دَقَّتْ مَرَّةً واحِدَةً . فَسَأَلْتُ المُفَتِّشَ عن ذلك . فقال لى : « إِنَّها ساعَةٌ دَقَّاقَةٌ فى المَعْبَدِ . »



معبد دندرة من الداخل

فَاسْتَبْعَدْتُ هـذا القَوْلَ ، لـكِنِّى أَخْرَجْتُ ساعَتِى لِأنْظُرَ إِلَيْها ، فَوَجَدْتُها واحِدَةً وسَبْعَ دَقائِقَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، ونَظَرْتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ يَضْحَكُ . فَسَأَلْتُهُ عن السَّبَبِ ، فَقَالَ لِى : « إِنَّ الَّذِى سَمِعْتَهُ لَيْسَ صَوْتَ ساعَةٍ ، ولَا أَدْرى ما هُوَ . وإِنِّى أَسْمَعُهُ فى أَغْلَبِ السَّاعَاتِ بَيْنَ الضُّحا والْعَصْرِ ، فى أَمْكِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ من المَعبَدِ ، حينَما تَـكُونُ الشَّمْسُ مُقابِلَةً لَهُ ، فَأَسْمَعُ رَنِيناً ولَا أَعْرِفُ مَكانَهُ ؛ فَتارَةً يَأْتى من الْجنوبِ ، وتارَةً من الغَرْبِ ، على حَسَبِ سَيْرِ الشَّمْسِ . وقد بَحَثْتُ كَثِيراً فَلَمْ أَهْتَدِ إِلى السَّبَبِ . »

« ولَمَّا سَمِعْتُ ذلكَ مِنْهُ هالَنِى هذا الْخَبَرُ ، وأَخَذْتُ أَسْتَطْلِعُ مكان

الصَّوْتِ ، ولـكِنْ بِلا فائِدَةٍ . ثُمَّ سأَلْتُهُ : « أَيَحْدُثُ الصَّوْتُ مُوَافِقاً للسَّاعَةِ الزَّمانِيَّةِ ؟ » فَأَجابَنِى : « إِنَّهُ يَتَأَخَّرُ من خَمْسِ دَقائِقَ إِلى خَمْسَ عَشْرَةَ . » وقالَ لى أَحَدُ الْخُفَرَاءِ : « إِنَّ الصَّوْتَ يَكُونُ أَشَدَّ كُلَّما كانَ الْحَرُّ أَقْوَى . » فَسَأَلْتُهُ : « هل يَسْمَعُهُ على التَّوَالِى كُلَّ ساعَةٍ بِلا انْقِطاعٍ ؟ » فَأَجابَنِى : « إِنَّهُ لَمْ يُرَاقِبِ الصَّوْتَ . » فَذَهَبَ بِي العَجَبُ كُلَّ مَذْهَبٍ . ولَوْ أَخْبَرَنِى بِهِ أَحَدٌ ما صَدَّقْتُ . لـكِنَّنِى سَمِعْتُ بِأُذُنِي ، وأَنا فى اليَقَظَةِ قائِمٌ عَلَى قَدَمَيَّ يَحُفُّ بِيَ النَّاسُ . والَّذِى عَلِمْتُهُ أَنَّ الصَّوْتَ حَدَثَ من بَيْنِ الْحِجارَةِ الَّتِي على ارْتِفاعِ خَمْسَةِ (أَمْتارٍ) أَوسَبْعَةٍ من يَسارِ صورَةِ الْمَلِكَةِ « كِلْيُوبَطْرَةَ » . ولَهُ مشابَهَةٌ قَوِيَّةٌ بِرَنَّةِ السَّاعَةِ الدَّقَّاقَةِ المتوسِّطةِ الصَّوت . »

---

٧٢ — فَصاحَةُ صَبِيٍّ

قُحِطَت الباديَةُ أَيَّامَ هِشامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فَوَفَدَ عَليْه رُءوسُ القَبائِلِ ، فَجَلَسَ لَهُم . وكانَ بَيْنَهُم صَبِيٌّ سِنُّهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، يُسَمَّى « دِرْواسَ بْنَ حَبيبٍ » ، فى رَأْسِهِ ذُؤابَةٌ ، وعَلَيْهِ

بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ . فَاسْتَصْغَرَهُ هِشامٌ ، وقَال لِحاجِبِهِ : « ما يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنا إِلاَّ وصَلَ ، حتى الصِّبْيان ! ! »

فقال دِرْواسُ : « يا أَميرَ المُؤْمِنينَ ! إِنَّ دُخُولِى لَمْ يُخِلَّ بِكَ ولا انْتَقَصَكَ ، ولٰكِنَّهُ شَرَّفَنى ، وإِنَّ هؤلاءِ قَدِموا لِأَمْرٍ فهابوكَ دونَهُ ، وإِنَّ الكلامَ نَشْرٌ ، والسُّكُوتَ طَيٌّ ، ولا يُعْرَف الْأَمْرُ إِلاَّ بِنَشْرِهِ . »

فَأَعْجَبَه كلامُهُ وقال : « أُنْشُرْ لا أُمَّ لَكَ . »

فقال : « إِنَّا أَصابَتْنا سِنونَ ثَلاثٌ ؛ فَسَنَةٌ أَكَلَت اللَّحْمَ ، وسَنَةٌ أَذابَتِ الشَّحْمَ ، وسَنَةٌ أَنْقَت العَظْمَ . وفى أَيْديكُم فُضولُ أَمْوالٍ ؛ فَإِنْ كَانَت لِلّٰهِ عَزَّ وجَلَّ فَفَرِّقوها على عِبادِهِ ، وإِنْ كَانت لَهُم فَلا تَحْبِسُوها عَنْهُمْ ، وإِن كَانَت لكُم فَتَصدَّقوا بِها عَلَيْهِم ، إِنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدِّقِينَ . وإِنَّ الوالِيَ من الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ من الجَسَدِ ، لا حَياةَ لَهُ إِلاَّ بِهِ . »

فقَال هِشامٌ : « ما تَرَكَ الغُلامُ فى واحِدَةٍ من الثَّلاثِ عُذْرًا . » وأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دينَارٍ فَفُرِّقَت فى أَهْلِ البادِيَةِ ، وأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فقال : « يا أَميرَ المؤمِنينَ ! اِجْعَلْها فى جائِزَةِ العَرَبِ ؛ فَمالى حاجَةٌ فى خاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عامَّةِ النَّاسِ . »

٧٣ — جَحْدَرٌ وَالأَسَدُ

قيل إنَّ جَحْدَرَ بنَ رَبيعَةَ كان بَطَلاً شُجاعاً فاتِكا ، شاعِرًا بَليغاً ، فَغَزا أَهْـلَ اليَمامَةِ وأَوْقَعَ بِهِم . فَبَلَغَ ذلكَ الحَجّاجَ بنَ يوسُفَ ، فَكَتَبَ إلى عامِلِهِ يُوَبِّخُهُ على تَغَلُّبِ جَحْدَرٍ ، ويأمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ ، أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْـهِ أَسيراً .

فَوَجَّهَ العامِلُ إِلَيْـهِ فِتْيَةً من بَنى حَنْظَلَةَ ، وجَعَلَ لَهُمُ الجَعائِلَ العَظيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلوا جَحْدَراً ، أَوْ أَتَوْا بِهِ أَسيراً . فَخَرَجَ الفِتْيَةُ فى طَلَبِـهِ ، فَلَمَّا دَنَوْا من مَكانِهِ أَرْسَلوا إِلَيْـهِ يَقولونَ : إِنَّهُم يُريدونَ الانْقِطاعَ إِلَيْـهِ ، والقِيامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذلكَ مِنْهُم ، وسَكَنَ إلى قَوْلِهِم .

فَبَيْنَما هو مَعَهُم يَوْماً إِذْ وَثَبوا عَلَيْهِ ، فَشَدُّوا وَثاقَهُ ، وقَدِموا بِهِ على العامِلِ ، فَوَجَّهَهُ مَعَهُم إِلى الحَجّاجِ . فَلَمّا قَدِموا به عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقالَ لَهُ : « أَأَنْتَ جَحْدَرٌ ؟ » قال : « نَعَمْ ! أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ . »

قال : « ما جَرَّأَكَ على ما بَلَغَنى عَنْكَ ؟ »

قال : « أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ! كَلَبُ الزَّمانِ ، وجَفْوَةُ السُّلْطانِ ، وجَراءَةُ الجَنانِ . »

قال : « وما بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ » ؟ قال : « لَوِ ابْتَلانى الأَميرُ وجَعَلَنى مع الفُرْسانِ — لَرَأَى مِنِّى ما يُعْجِبُهُ »

فَتَعَجَّبَ الحَجّاجُ من ثَباتِ عَقْلِهِ ومَنْطِقِهِ ، ثُمَّ قال : « يا جَحْدَرُ !

إنِّى قاذِفٌ بِكَ فى حَفائِرَ بها أَسَدٌ عَظيمٌ؛ فإنْ قتلَكَ كَفانا مَئُونَتَكَ ، وإنْ قَتَلْتَهُ عفَوْنا عنْكَ . » قال : « أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ، قَرُبَ الفرَجُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى . »

فأَمَرَ بِهِ فَصَفَّدُوهُ بالحَديدِ ، ثمَّ كَتَبَ لعامِلِهِ أَنْ يرْتادَ لَهُ أَسَداً ضَلِيعاً ، ويَحْمِلَهُ إليْـهِ . فارْتادَ له العامِلُ أَسَداً كَرِيهَ المَنْظَرِ ، كاشِراً خَبيثاً ، وأَمَرَ بِأَنْ يُسَيَّرَ إليْـهِ فى قفَصٍ من حَديدٍ ، ويُسْحَبَ القفَصُ على عَجَلٍ .

فَلَمَّا قَدِمَ به على الحَجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِىَ فى الحفائِرِ ، ولم يُطْعَمْ شَيْئًا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى جاعَ واسْتَكْلَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَحْدَر أن يُنْزَلَ إليْهِ ، فَأُعْطِىَ سَيْفاً ، ثُم أُنْزِلَ إليْهِ مُقَيَّدًا ، وأَشْرَفَ الحَجَّاجُ عليْهِ ، والنَّاسُ حوْلَهُ يَنْظُرونَ إلى الأَسَدِ ؛ ما هو صانِعٌ بِجَحْدَرٍ .

فَلَمَّا نَظَرَ الأَسَدُ إلى جَحْدَرٍ نَهَضَ ، ووثَبَ وتَمَطَّى ، وزَأَرَ زَئِيراً دوَّتْ مِنْهُ الجِبالُ ، وارْتاعَت مِنْهُ النَّاسُ . فَشَدَّ عليْـهِ جَحْدَرٌ ، ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ، وضَرَبَهُ بِسيْفِهِ ، فَفَلَق هامَتَهُ . فَكَبَّر النَّاسُ ، وأُعْجِبَ الحَجَّاجُ ، وقال : « لِلَّهِ دَرُّكَ ! ما أشجَعَك ! ! »

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ من الحَفائِرِ ، وفَكَّ وَثاقَه وقَيْدَه ، وقال لهُ : « اِخْتَرْ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنا فَنُكْرِمَكَ ، ونُقَرِّبَ مَنْزِلَتَك ، وإِمَّا

أَنْ نَأْذَنَ لك فَتَلْحَقَ بِبِلادِكَ، ونَشْرِطَ عَلَيْك ألاَّ تُحْدِثَ مُنْكَراً، ولا تُؤْذِيَ أَحدًا . »

قال : « بَلْ أَخْتارُ صُحْبَتَكَ أَيُّها الأَميرُ . »

فَجَعَلَهُ من سُمَّارِهِ وخَواصِّهِ، ثُمَّ لم يَلْبَثْ أَنْ وَلاَّهُ على اليمامَةِ .

---

٧٤ — طَاعَــةُ الأُمِّ

— ١ —

كَانَ لِأَرْنَبٍ جُحْرٌ اخْتارَتْهُ وسْطَ الْحُقولِ النَّاضِرَةِ، والمُروجِ الْخَضْراءِ، نَائِياً عن الوُحوشِ الضَّارِيَةِ، والحَيوانِ المُفْتَرِسِ . وكانَت تَخْرُجُ مِنْهُ فى كُلِّ صَباحٍ؛ لِتَجْمَعَ قُوتَها . ثُمَّ تَرْجِعُ إلى ابْنَتِها الصَّغيرةِ، فَتُطْعِمُها وتُغَذِّيها، وتَحْيا مَعَها حياةً سَعيدَةً .

ولَمَّا كَبِرَتِ ابْنَتُها، وَنَما عودُها، واسْتَطاعَت السَّيْرَ — خافَت أَنْ تَخْرُجَ من الْجُحْرِ فَينَالَها شَرٌّ . فَنَادَتْها، وقالَت لَها : « اِجْلِسِى يا بُنَيَّةُ أَمْنَحْكِ وصِيَّتِى، وأُزَوِّدْكِ بِنَصائِحِى . اُمْكُثِى فى جُحْرِكِ هادِئَةً وادِعَةً، فلا تَرْفَعِى صَوْتَكِ، ولا تُحْدِثِى جَلَبَةً؛ حتى لا يَعْلَمَ أَحَدٌ مكانَكِ . وإِيَّاكِ والخُروجَ من هذا الْجُحْرِ؛ فإِنَّ فى الخُروجِ مِنْهُ خَطَرًا على حياتِكِ . واعْلَمِى أَنَّكِ صَغيرَةُ السِّنِّ، لا تَعْرِفِينَ عن الْحَياةِ شَيْئًا . »

فقالَت لها : « سَمْعاً وطاعَةً يا أُمَّاهُ ! اِذْهَبي إلى المكانِ الّذى تريدينَهُ تَصْحَبُكِ السَّلامَةُ . وسأَعْمَلُ بنصائحِكِ ، وأُنفِّذُ أَوَامِرَكِ . » فَاطْمَأَنَّ قَلْبُ الأُمِّ ، وخَرَجَت تَطْلُبُ قُوتَها .

وكانت الأَرْنَبُ الصَّغيرَةُ فَرِحَةً مَسْرُورَةً بِنَفْسِها ؛ لِأَنَّها أَصْبَحت تُحْسِنُ المَشْيَ . وزادَها فَرَحاً هـذا الشَّعْرُ الجميلُ الّذى نَبَتَ على جِسْمِها ، فَحَدَّثَتْها نَفْسُها بالْخُروجِ من هذا الْجُحْرِ ؛ لِتَرى ما قد خَفِيَ عَلَيْها .

وما كادتِ الأَرْنَبُ تَخْطُو بِضْعَ خَطواتٍ خارِجَ الْجُحْرِ ، حتى رَأَتْ نَفْسَها أَمامَ عالَمٍ لا عَهْدَ لها بِهِ . وَقَدْ بَهَرَها ذلك الضَّوْءُ القوىُّ ، الْمُنْبَعِثُ من كُلِّ جانِبٍ ، وذلك الفَضاءُ الّذى لا نِهايَةَ لهُ ، فَراحَت تَقْفِزُ هُنا وهُناكَ ، فَرِحَةً بِتِلْكَ الْحياةِ الْجديدَةِ . ولَذَّ لها أَنْ ترى نَفْسَها تَرْتَفِعُ فَوْقَ سَطْحِ الأرض قليلًا ، ثُمَّ تعودُ لِتَطَأَ بِأَرْجُلِها الرَّخْوَةِ ذلك العُشْبَ النَّدِيَّ .

وكانت الشمْسُ تُلْقِي بِأَشِعَّتِها على المرُوجِ الْخَضْراءِ ، فَتُكْسِبُها بَهْجَةً وجمالًا ، والأَزاهِيرُ تَتَفَتَّحُ عن أَكْمامِها ، فتَبْدو كَأَنَّها نُجومُ اللَّيْلِ وسْطَ هذا البِساطِ السُّنْدُسِيِّ .

— ٢ —

نَسِيَت الأَرْنَبُ نَفْسَها ، ولم تَذْكُرْ نَصِيحَةَ أُمِّها ، وأَخَذت تُمَتِّعُ نَفْسَها بِأَرِيجِ الأَزاهيرِ وشَذا الرَّياحينِ ، وبذلك الجمالِ الطّبَعِيِّ الهادِئ . وبَيْنَما هِى فى قَفْزِها ولَهْوِها إذا بِها تَسْمَعُ صَوْتاً : « صُوصُو » ...

نَظَرَتْ إلى مَصْدَرِ التَّغْرِيدِ الْعَــذْبِ ، فَرَأَت عُصْفوراً جَمِيلًا ، قد اسْتَقَرَّ على غُصْنِ شَجَرَةٍ باسِقَةٍ ، وإذا بِهِ يقول لهـا : « حَذارِ ... حَذارِ ... أَيَّتُها الأَرْنَبُ الصَّغيرةُ . » وأخذ يُرَدِّدُ تلك العِبارَةَ فى رِفْقٍ وحَنانٍ . وبَيْنَما هى تُنْصِتُ لهُ ، وتُصْغِى إلى حَدِيثِهِ — إذا بالرِّياحِ تَنْقُلُ إِلَيْهَا صَوْتاً آخَرَ خافِتاً : « سويش ! سويش ! »

أَرْهَفَت أُذُنَها لِتَتَمَتَّعَ بِسَماعِ هـذا الصَّوْتِ الْجَدِيدِ . وأَخَذَ مَصدَرُ هذا الصوتِ يَقْتَرِبُ منها رُوَيْدًا رُوَيْدًا . وأَخيراً بَدَا لَها من بَيْنِ الأَعْشَابِ حَيَوانٌ دقيقُ الْجِسْمِ طويلُهُ ، يَتَلَوَّى فى مَشْيِهِ ، ويَسيرُ على بَطْنِهِ . رَاقَها انْسِيابُهُ بَيْنَ الأعْشابِ ، فأَخَذَت تَتَأَمَّلُهُ حتى اقْتَرَبَ مِنْها ، فَرَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظَراتٍ قَوِيَّةً ، فَاضْطَرَبَ جِسْمُها ، وارْتَعَدت فَرائِصُها ، ووهَنَتْ عَزِيمَتُها ، ولم تَعُدْ تَقْوَى على التَّفْكيرِ فى أَمْرِها .

وبَعْدَ قَليلٍ رَأَت نَفْسَها وقد الْتَفَّ ذلك الْحَيوانُ حَوْلَ جِسْمِها ،

وأَخَذَ يُضَيِّقُ عَلَيْها الْخِناقَ ؛ فأَخذت تَصيحُ وتَسْتَغيثُ ، وتَلومُ نَفْسَها على ما أَتَتْهُ من مُخَالَفَةِ أُمِّـها ، وعَدمِ البرِّ بِوَعْدِها لها . وكُلَّما ضُيِّقَ عليها الْخناقُ ازدادَ عويلُها وعَلا صِياحُها ، ورَجَعَتْ على نَفْسها باللَّائمَةِ ؛ فلقد أَلْقَت بِنفْسِها إلى التَّهْلُـكَةِ فَلْتَنَلْ جَزاءَ ما فَعلَتْ .

— ٣ —



كانت الشَّمْسُ تَنْحَدِرُ نحو الْمَغيبِ — فى شُحُوبٍ وامْتِقاعٍ — حينَما كانَتِ الأُمُّ عائِدَةً من الْمَرْعَى ، بَعْدَ أَنْ غابَت عن جُحْرِها الَّذى تَرَكت فيه واحِدَتَها طولَ يوْمِها ، وكانَت فَرِحَةً جَذِلَةً ؛ لِأَنَّها بَعـد قَليلٍ سَتَرى ابْنَتَها إلى جانِبِها تُؤْنِسُها وتُداعبها ، وتُزيلُ عَنهَـا بِألاعيبِها الْجميلَةِ آلامَها .

وَبَيْنَما هى تُفَـكِّرُ ، وتَبْنى لِنفْسِها ولابْنَتِها قُصوراً من الآمالِ — إذَا بِصوْتٍ يَرِنُّ فى أُذُنيْها ، فتَبَيَّنَتْهُ ، فإِذا هو صَوْتُ واحدتها ، فَأَخَذَت تَعْدو نَحْوَها . وما كَادَ نَظَرُها يَقَعُ عَلَيْها حتَّى أَصابَها

الذُّعْرُ ، وأَخَذَ مِنها الْهَمُّ والْجَزَعُ كُلَّ مَأْخَذٍ .

إِبْنَتُها وواحِدَتُها تَقَعُ فَرِيسَةً لِتِلْكَ الأَفْعَى الفَاغِرَةِ فَاهَا .

ماذا تَفْعَلُ وهِى عاجِزَةٌ ضَعِيفَةٌ ، لا سِلاحَ لَها تَذُودُ بِهِ عن نَفْسِها ؟ ؟ إِنْ هِىَ أَقْدَمَتْ فَسَيَكُونُ مَآلُهُما الفَنَاءِ لا مَحَالَةَ ! !

ولَكِنَّ عاطِفَةَ الأُمُومَةِ جَعَلَتْهَا تَسْتَسِيغُ المَوْتَ ، وتَسْتَعْذِبُهُ فى سَبِيلِ إِنْقَاذِ ابْنَتِهَا فَكَّرَتْ قليلًا ، ثُمَّ أَقْدَمَت ، وقد عَزَمَتْ على أَنْ تَشْتَرِىَ بِدَمِها الذَّكِىِّ دَمَ وَاحِدَتِهَا . . . .

أَقْبَلَتْ على الأفعى فى جُرْأَةٍ وشَجَاعَةٍ ، مُسْتَهِينَةً بالْمَوْتِ ، غَيْرَ عابِئَةٍ بالْجُروحِ الدَّامِيَةِ الَّتى سَتُصِيبهاَ . ثُمَّ أَخَذَت تَخْمِشُهَا بِأَنْيَابِها مَرَّةً ، وتَضْرِبُهَا بِجُمْعِ يَدِها مَرَّةً أُخْرَى . فَغَضِبَت الأفْعى ، وأَرادَت الاِنْتِقَامَ مِنهَا ، فَتَرَكَت الأَرْنَبَ الصَّغِيرَةَ وتَبِعَتهَا ، فَأَخذَت تَعْدو أَمَامَها فى طريقٍ مُضادٍّ لِجُحْرِها ، حَتَّى إِذا ما اطْمَأَنَّت إِلى أَنَّ ابْنَتَهَا قد وصَلَتْ إِلى مَسْكَنِهَا — تَخَلَّصَت من عَدُوِّها ، وعادَت مُسْرِعَةً إِلى بَيْتِهَا .

وما كادَتْ تَطَأُ قَدَمُها أَرْضَ الْجُحْرِ حتى أَسْرَعَتْ إِلَيْهَا ابْنَتُهَا ، وأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا بينَ يَدَيْهَا ، وهِىَ تَسْتَعْطِفُهَا ، وتَرْجو مِنْها أَنْ تَغْفِرَ لها زَلَّتَها . وعاهَدَتْها على أَلَّا تَعودَ لِمِثْلِها .

٧٥ — اَلسَّيَّارَاتُ بِمِصْرَ وأَثَرُها فى المُوَاصلاتِ

السَّيَّارَاتُ مَرَاكِبُ تَسيرُ بِقُوَّةِ البُخارِ الَّذى يَتَوَلَّدُ من سائِلٍ خَاصٍّ يُعْرَفُ (بِالبِنْزِينِ) ، فَيُحَرِّكُ عُــــدَدًا تَتَّصِلُ بِعَجَلاَتِها ، فَتُدِيرُها بِسُرْعَةٍ .

وهى أَنْواعٌ كَثِيرَةٌ ، تَخْتَلِفُ فى جَوْدَتِها وسُرْعَتِها بِاخْتِــلافِ أَصْنافِها ، وَتَتَنَوَّعُ فى سَعَتِها وَضيقِها ومَحالِّ الرُّكوبِ فيها بِتَنَوُّعِ الأَغْراضِ الَّتى تُقْصَدُ بِها : فَمِنْها ما يَكون لِرُكوبِ أَصْحابِهاَ ، وَمِنْها ما يَكونُ لِرُكوبِ مَنْ يَشَاءِ بِأَجْرٍ خاصٍّ ، وَما هُوَ لِنَقْلِ البَرِيدِ أو عُروضِ التِّجارَةِ وَأَدَوَاتِ العِمارَةِ . وَبَعْضُها أُعِدَّ لِإِطْفاءِ الْحَرِيقِ ، أَو نَقْلِ المَرْضى ، أَو إِسْعافِ المُصَابِينَ بِحَوادِثَ فُجائِيَّةٍ .

وقَد أَصبَحَتِ السَّيَّاراتُ فى هذا العَصْرِ من أَهَمِّ أَسْبابِ المَدَنِيَّةِ ونهوضِها إِلى دَرَجَةٍ سامِيَةٍ . تَجْرِى مُسْرِعَةً بِذَوِى الأَعْمالِ العاجِلَةِ ، وتَرُوحُ وتَغْدُو بِأَصْحابِ الْحَاجَاتِ ، من تُجَّارٍ وصُنَّاعٍ ، وطُلَّابٍ ومُوَظَّفِينَ ، فَتَصِلُ بِهِم إِلى مَحــالِّ أَعْمالِهِم ، فى أَقْصَرِ وقْتٍ ، وَ بِأَجْرٍ زَهيدٍ .

وقد وصَلَتْ بَيْنَ أَجزَاءِ المُدُنِ وضَواحِيها ، فَصَارَ فى قُدْرَةِ الإِنْسانِ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْكَنَهُ كَما يَشاء ؛ فى الأَماكِنِ الخَلاَئِيَّةِ ،

حَيْثُ الْهَوَاءِ طَلْقٌ ، والشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ ، والسَّماءِ صافِيَةٌ ، أَو فى جوْفِ المُدُنِ أَو جوانِبِها . ومن السَّهل أَن يَبْرَح المرءِ بَيْتَهُ ، وَيَذْهَبَ إِلى عَمَلِهِ ، ثم يَعودَ إِلى مَسْكَنِهِ ، تَحْمِلُهُ السَّيَّاراتُ فى غُدُوِّهِ ورَواحِهِ .

إِلى جانِبِ ذلك تَرى السَّيَّاراتِ الضَّخْمَةَ تَسِيرُ فى المُدُنِ وضواحيها ، تَحْمِلُ أَدواتِ العِمارَةِ من الأَماكِنِ القاصِيَةِ ، فَإِذا أَنْتَ — بَعْدَ أَشْهُرٍ مَعْدودَةٍ — ترى الأَرْضَ البَراحَ تَحْمِلُ على ظَهْرِها القُصورَ الشَّامِخَةَ ، والأَبْنِيَةَ الباذِخَة ، آهِلَةً بِقُطَّانِها ، مُشْرِقَةً بِأَنْوارِها .

ولقد زاحَمَتِ السَّيَّاراتُ فى هذا العَصْرِ القُطُرَ الحديدِيَّةَ ، فكادَت تَغْلِبُها على مَجْدِها القَدِيمِ ، وتَحُلُّ مَحَلَّها فى حَمْلِ الأَثْقالِ ، ونَقْلِ المُسافِرِينَ . وهِىَ مَعَ ذلك أَقَلُّ أَجْراً ، وفِيها زِينَةٌ وجَمالٌ للأَغْنِياء ، وراحَةٌ ومَعونَةٌ لِلْفُقَراءِ . وتراها تُسْرِعُ فى السَّيْرِ ، وتَنْطَلِقُ كالطَّيْرِ ، وتَمْشى على عَجَلٍ حتى تَصِلَ إِلى غايَتِها .

تُقَرِّبُ لِلْمُسافِرِ كُلَّ ناءٍ * ولَيْسَ يُصيبُها أَبدًا كَلالُ

ذلك بَعْضُ فوائِدِ السَّيَّاراتِ ، وأَثَرُها العظِيمُ فى سُهولَةِ المُواصلاتِ . فَهِى فى هذا العَصْرِ يَدٌ من أَيادِيهِ المَبْرورَةِ ، وصَنِيعَةٌ من صَنائِعِهِ المَشْكورَةِ .

٧٦ — الإِسْلامُ والعرَبُ

مَكَثَ الْعَرَبُ أَزْمِنَةً طَوِيلَةً فى جَزِيرَتِهِم ، قانِعِينَ بِصحارَاهَا وبَرَارِيِّهَا ووِدْيانِهَا . يُحَارِبُ بَعْضُهُم بَعْضًا لِأَسْبَابٍ واهِيَةٍ ، وأُمور تافِهَةٍ . ويُجَاوِرُهُمْ دَوْلَتانِ عَظِيمتَانِ : دَوْلَةُ الْفُرْسِ ، ودَوْلَةُ الرُّومِ .

قَضَوْا على هذه الْحَالِ قُرُونًا مُتَعاقِبَةً ، حتَّى جاء الإِسْلامُ بِهَدْيِهِ ، فَأَنارَ بَصَائِرَهُمْ ، وأَزَالَ ما كانَ بَيْنَهُم من شِقَاقٍ وعَداوَةٍ ، وأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِهم ، فصاروا أُمَّةً مُهَذَّبَةً مُتَدَيِّنَةً قَوِيَّةَ الْبَأْسِ .

خَرَجَت جُنودُ هذه الْأُمَّةِ من شِبْهِ الْجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة ، داعِيَةً إِلى الْأُخُوَّةِ ، حامِلَةً لِوَاءَ الْعَدَالَةِ ، رَافِعَةً رَايَةَ الْحُرِّيَّةِ ، خاضِعَةً لِإِمامٍ واحِدٍ ، تَأْتَمِرُ بِأَمْرِه ، وتَنْتَهِى بِنَهْيِهِ ، جادَّةً فى فَتْحِ الْأَمْصارِ ؛ لِتُنْقِذَ الْأُمَمَ من خُرافاتٍ أَفْسَدَت عُقولَها ، وظُلْمٍ أَحاطَ بِها ، وجَهْلٍ كادَ يَقْضِى عَلَيهَا .

فَتَحَ الْعَرَبُ فى غَزَوَاتِهِمْ مَمالِكَ كَثِيرَةً ، وعَمَرُوا الْأَرْضَ الَّتى فَتحوها ، وشَقُّوا الأَنْهارَ ، وأَسَّسوا الْمُدُنَ ، وساسوا النَّاسَ سِياسَةً حَسَنَةً ، وعامَلوهُمْ أَحْسَنَ مُعامَلَةٍ ، وآخَوْا بَيْنَ الْأُمَمِ ، ومَزَجوا بَعْضَها بِبَعْضٍ ، ودَعَوْها إِلى التَّفَكُّرِ والتَّعَلُّمِ ؛ فَنَشَأَت حَضارَةٌ عَرَبِيَّةٌ عَظيمةٌ ، فى رِعَايَةِ هذه الأُمَّةِ الَّتى سَيْطَرَت على الْعالَمِ ، ومَلَكَتْ من حُدودِ الْهِنْدِ والصِّينِ إِلى جِبالِ الْبرانِسِ بِإِسْبانيا .

٧٧ — آدابٌ عامَّةٌ

لِصَالِحِ بنِ عَبْدِ القُدّوسِ : المتوفى سنة ١٦٧ هـ

اِخْتَرْ قَرِينَكَ واصْطَفِيهِ تفَاخُراً
إنَّ القَرِينَ إلى المُقارِنِ يُنسَبُ

وأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلأَقارِبِ كُلِّهِم
بِتَذَلُّلٍ واسْمَحْ لَهُم إنْ أذْنَبُوا

ودَعِ الكَذوبَ فَلا يَكُنْ لك صاحِباً
إنَّ الكذوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ

وزِنِ الكلامَ إذا نَطَقْتَ ولا تَكُنْ
ثَرْثَارَةً في كلِّ نادٍ تَخْطُبُ

واحْفَظ لِسَانَكَ واحْتَرِسْ من لَفْظِهِ
فَالمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسانِ ويَعْطَبُ

وارْعَ الأَمانَةَ والخِيَانَةَ فَاجْتَنِب
واعْدِلْ ولاَ تَظْلِمْ يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ

واحْذَرْ مُصاحَبَةَ اللَّئِيمِ فإنَّهُ
يُعْدِي كَما يُعْدِي الصَّحِيحَ الأجْرَبُ

واحْذَرْ من المَظْلومِ سَهْماً صَائِباً
واعْلَمْ بِأَنَّ دُعاءَهُ لا يُحْجَبُ

٧٨ — حَوَاضِرُ مِصْرَ فى العُصُورِ الإِسْلامِيَّةِ

فُتِحَتْ مِصْرُ فى زَمَنِ أَمِيرِ المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ سَنَةَ عِشْرِينَ منَ الهِجْرَةِ ، على يَدِ القائِدِ الكَبِيرِ عَمْرِو بْنِ العاصِ ، فَوَلَّاهُ أَميرُ المؤمنينَ على البِلادِ ، فَابْتَنَى فى الموْضِعِ الَّذى ضَرَبَ فيه فُسْطاطَهُ مَدِينَةَ « الفُسْطاطِ » ، وهِىَ التى نُسَمِّيها الآنَ « مِصْرَ القَدِيمَةَ » . وَجَعلها خِطَطًا ، لِكُلِّ جَمَاعَةٍ من جُنْدِهِ خِطَّةٌ .

وَظَلَّتْ مَدِينَةُ الفُسْطاطِ حاضِرَةَ ، مِصْرَ ، من سَنَةِ الفَتْحِ إلى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجرةِ ، حِينَ زالَت دَوْلَةُ بَنِى أُمَيَّةَ وَخَلَفَتْها الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ ، فَبَنَى وُلاةُ مِصْرَ من قِبَلِ العَبَّاسِيِّينَ إِلى الشَّرْقِ منَ الفُسْطاطِ — مَدِينَةً جَدِيدَةً ، سَمَّوْها « الْعَسْكَرَ » وصارَت العَسْكَرُ مَقَرَّ وُلاةِ مِصرَ إلى سنة ٢٥٤ هـ .

فَلَمَّا وَلِىَ مِصرَ أَحْمَدُ بنُ طولونَ ، وَنَزَل العَسْكَرَ — ضاقَت دارُ الإِمارَةِ بِهِ وَبِأَتْباعِهِ ، فَبَنَى قَصرًا بِالْقُرْبِ من جَبَلِ المقَطَّمِ ، وبنَى مَنْ مَعَه من أَتْباعِهِ بِالقُرْبِ مِنْه ، وَسُمِّيَت مَبانِيهم « القَطائِعَ » . وَامْتَدَّت مَدِينَتُهم إلى العَسْكَرِ والفُسْطاطِ .

ومن آثار ابْنِ طولونَ مَسْجِدُهُ العَظِيمُ على جَبَلِ « يَشْكُرَ » . وَيَمْتازُ بِمَنارَتِهِ ، ذاتِ الدَّرَجِ الخارِجِىِّ ، وَمِنْبَرِهِ الجَمِيلِ الصُّنْعِ .

ولَمّا دَخَلَ الفاطِميُّونَ مِصْرَ سنة ٣٥٩ هـ بَنى جَوْهَرُ الصَّقَلِّىُّ مَدينَةَ « القاهِرَةِ المُعِزِّيَّةِ » لِسَيِّدِه المعزِّ لِدينِ اللهِ ، فاتَّخَذَها الفاطِميّونَ حاضِرَةَ المُلْكِ ، وَشَيَّدُوا فيها القُصورَ الفَخْمَةَ ، وأَنْشَئوا بها الرِّياضَ والبِرَكَ ، وبالَغوا فى تجْميلِها

وقد اتَّصَلَت فى عَصرِنا مَبانى هذه المدُنِ ، فصارَت كُلُّها مَدينَةً واحِدَةً فى وَسَطِها قَصرُ « عابِدين » الَّذى شَيَّدَهُ (الخديو) إسْماعيلُ ، وجَعَلَه مَقَرًّا لهُ ولِأَبْنائِهِ الكِرامِ الّذين وَرِثوا المُلْكَ من بَعْدِهِ .

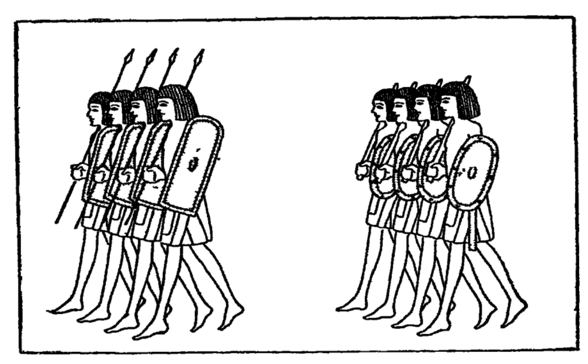
وقَد اتَّسَعَت المدينَةُ من كُلِّ ناحِيَةٍ ، فامْتَدَّتِ المبانى فى جَميعِ جِهاتِها إلى مَسافاتٍ بَعيدَةٍ .

وَيُرْجَى لِلْقاهِرَةِ — حَرَسَها اللهُ ! — زِيادَةُ العِمارَةِ ، وَعِظَمُ الشَّأْنِ ، حتى تُضارِعَ أَعْظَمَ المُدُنِ الرّاقيَةِ .

---

٧٩ — الجُنْدِيَّةُ عِنْدَ قُدَماءِ المِصْرِيِّينَ

كان جَيْشُ قُدَماءِ المِصْرِيِّينَ قَوِيًّا مُنَظَّمًا ، يَتأَلَّفُ من الفَلّاحينَ وأَهْلِ البادِيَةِ ، والعبيدِ وأَهْلِ النُّوبَةِ ، وأَسْرَى الحَرْبِ ، والغُرَباءِ الَّذينَ كانوا يَفِدونَ على مِصْرَ للارْتِزاقِ .



وكان كُلُّ جُنْدِيٍّ يُمْنَحُ أرضاً يَزْرَعُهَا ، ويَقتاتُ مِنها هوَ وأُسْرَتُهُ ، ولا يَدْفَعُ عَنْها ضَرائبَ .

وكان المِصْرِيُّونَ القدماء يَرَوْنَ الْجُنْدِيَّةَ شَرَفاً ومَجداً ، يَتَوارَثُهُ الأبْنَاءُ عن الآباءِ وكان الصِّبيانُ يُجْمَعونَ فى الثُّكُنَاتِ ، ويُدَرَّبُونَ على اُسْتِعْمَالِ السِّلاحِ ، والحَرَكاتِ الحَرْبِيَّةِ ، ورِياضَةِ الأجْسامِ بالعَدْوِ والمُسَابَقَةِ ، والمُلاكَمَةِ والمُصارَعَةِ ، والوَثْبِ وغَيْرِها .

فَإِذا ما أَتَمُّوا تَمَرُّنَهُمْ أُلْحِقُوا بِمَرَاكِزِ الْخُفْرَةِ لإِتْمَامِ التَّمْرِينَاتِ العَسْكَرِيَّةِ ، حتَّى إذا احْتَاجَتِ الْحُكُومَةُ إِلَيْهِمْ تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَنْ تُرِيدُ ، وتُرْسِلُهُمْ إلى الْحَرْبِ ، فتَتَجَلَّى فِيهِم الشَّجاعَةُ والطَّاعَةُ والنِّظَامُ .

٨٠ — عُمَرُ والْعَجوزُ

رَوَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ . قَالَ :

« خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا نارٌ تَشْتَعِلُ ، فَهَرْوَلْنَا نَحْوَهَا ، حَتَّى دَنَوْنَا مِنْهَا ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا صِبْيَانٌ لَهَا ، وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى النارِ ، وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ . فقال عُمَرُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا أَصْحَابَ الضَّوْءِ . » قالت المرْأَةُ : « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ » ، فقال : « أَأَدْنو ؟ » قالت : « اُدْنُ بِخَيْرٍ أَوْدَعْ . » . قال : « فَمَا بالُ هؤلاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضاغَوْنَ ؟ » قالت : « الْجوعُ . » . قال : « وَأَيُّ شَيْءٍ فى هذهِ الْقِدْرِ ؟ » قالت : « ماءٌ أُسْكِتُهُمْ بِهِ حَتى يَناموا . اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَ عُمَرَ ! » فقال : « رَحِمَكِ اللهُ ! ما يُدْرِى عُمَرَ بِكُم ؟ » قالت : « يَتَوَلَّى أُمُورَنا ، وَيَغْفُلُ عَنَّا ؟ »

« فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، فقال : « اِنْطَلِقْ بِنا . » فَخَرَجْنا نُهَرْوِلُ ، حَتى أَتَيْنا دارَ الدَّقيقِ ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا فِيهِ دَقِيقٌ ، وَكُبَّةُ شَحْمٍ ، فقال : « اِحْمِلْهُ عَلَيَّ . » قلت : « أَنا أَحْمِلُهُ عَنْكَ . » قال : « اِحْمِلْهُ عَلَيَّ . » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا . كُلُّ ذلك وَأَنا أَقُولُ : « أَحْمِلُهُ عَنْكَ . » فقال : « أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِّى وِزْرِى يَوْمَ الْقِيامَةِ ؟ لا أُمَّ لَكَ ! » فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ . »

فَانطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَهَرْوَلَ حَتَّى أَنتَهَيْنا إِلَيْهَا ، فَأَلْقَى ذلك عِنْدَهَا ، وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئاً ، وَجَعَلَ يَقُولُ : « ذُرِّى عَلَيَّ وَأَنا أُحَرِّكُ . » وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ القِدْرِ . وكانَ ذَا لِحْيَةٍ عَظِيمَةٍ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلى الدُّخانِ مِنْ خِلَالِ لِحْيَتِهِ، حَتَّى أَنْضَجَ الطَّعَامَ ، وَأَتَتْهُ الْمَرْأَةُ بِصَحْفَةٍ ، فَأَفْرَغَ فِيها ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : « أَطْعِمِيهِمْ ، وَأَنا أَسْطَحُ لَكِ . » فَمَا زَالَتْ تُطعِمَهُمْ حَتَّى شَبِعُوا .

ثُمَّ خَلَّى عُمَرُ عِنْدَها ما فَضَلَ ، وَقامَ وَقُمْت مَعَهُ ، فَجَعَلَت الْمَرْأَةُ تَقُولُ : « جَزَاكَ اللهُ خَيْراً ! أَنْتَ أَوْلَى بِهـذا مِنْ أَمِيرِ المؤمِنِينَ . » فيقولُ : « قُولى خَيْراً ؛ إِنَّكِ إِذا جِئْتِ أَمِيرَ المؤمِنِينَ وَجَدْتِنِى هُناكَ إِنْ شاءَ اللهُ . »

« ثُمَّ تَنَحَّى ناحِيَةً وَاُسْتَقْبَلَها ، وَرَبَضَ مَرْبَضَ السَّبُعِ ، فَجَعَلْتُ أَقولُ : « إِنَّ لَكَ لَشَأْناً غَيْرَ هذا . » وَهُوَ لَا يُكَلِّمُنِى حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِعونَ وَيَضْحَكونَ ، ثُمَّ ناموا وَهَدَءوا . فَقامَ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فقالَ : « إِن الْجوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكاهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ أَلَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى ما رَأَيْتَ فِيهِمْ . »

كَذلك كانَ أَمِيرُ المؤمِنِينَ عُمَرُ مُتَوَاضِعًا ، بَرًّا بِرَعِيَّتِهِ ، رَحِيماً بِالْفُقَرَاء .

معجم الكلمات الصعبة

وهو مرتب بحسب ترتيب الدروس

الدرس	الكلمة	معناها
١	تُسيمون	تتركون الماشية لترعى
	سخر لكم الليل	جعله نافعاً لكم
	ذرأ	خلق
	لحماً طريًّا	سمكا
	حلية	لؤلؤًا ومرجاناً
	مواخِر فيه	جارية فيه تَشُق أمواجه
	لتبتغوا	لتطلبوا
	رواسِيَ	جبالاً ثابتة
	أنْ تَميد بكم	أن تميل بكم وتضطرب
٢	دلائل اليُمن	علامات البركة
	أديم أرضها	سطح أرضها
	الشَّجا	ما ينشَبُ فى الحلق من عظم وغيره
	فُطر	طُبِع
	تتبوأ	تبوَّأ المنزل : نزل به
٣	ما لبث	ما مكث
	المناصب	المراتب

الدرس	الكلمة	معناها
	انتُخِب	اختير
	الأفئدة	القلوب
	مُسْتَبسِل	مجاهد مقدام
	بَهرت	أدهشت
	أرجاء العالم	نواحيه
	شاطرت	شاركت
	نُصْب أعيننا	أمام أعيننا
٤	يُدَّخَرُ	يُخْزَنُ ويُحْفَظُ
٥	ابتكرته	اخترعته
	قرائح	عقول
	زمن مديد	زمن طويل
	يستدعى	يدعو : يطلب
	لم يبرحه	لم يفارقه
	فندق	منزل لمبيت المسافرين
	حانوتاً	دكاناً
	الجزء الأوفى	الجزء العظيم
٦	نحيف	هزيل

الآية	الكلمة	معنــاها
	السّابلة	الجماعات المختلفــة من النّاس فى الطرقات
	يتفيّأ	يَسْتَظِلُّ
	يسلف الأرض	يُسَوِّيها للزّرع
٧	كدًّا	تعباً وجدًّا واجتهاداً
	يَباباً	خراباً
	يرفّكم جنابا	يُظْلِكم منزلاً
	دابا	دأباً اى عادة مستمرّة بجـدٍّ
٨	أَدْنى	قرَّبَ
	تأتّكأ	جلس مائِلاً مُستنداً إلى يده
	أوثرك	أُقدِّمك
٩	يتصبَّب	ينزل وينسكِبُ
	بَشَرة الجلد	سطحه من الخارج
١٠	وهَنوا	ضعُفوا
	أشرفوا على الكمال	اقتربوا منه
	حلّقوا	ارتفعوا
	يجحَدُها	يُنْكِرها

الآية	الكلمة	معناها
	يمتطون	يركبون
	حَثيثاً	مُسرعاً
	شُقَّة	مسافة
	مقاليد	مفاتيح
	تُقلّه	تنقُله
	شِقُّ الأنفس	تَعَبُهَا ومشَقَّتها
	تالِد مجدهم	قديم مجدهم
	بطارفٍ	بجديد
	الكنانة	معنـاها الأصلى وعاء السهام، والمراد بها مصر
١١	الرُّحَّل	المتنقلون من مكان إلى آخر
	بقـاع	أراضٍ : أماكن
	تَبْييض الأرز	إِخْراج الحبّ من القشور
	رغَد	واسع طيِّب
١٢	عراجين	العُرْجون=عِذْق النَّخلة الذى يحمل الثمَّر ويتّصل بساقها

الفقرة	الكلمة	معناها
	الشِّمراخ	جزء العرجون الذى يحمل الثَّمر
١٣	هاجر	انتقل إلى المدينة
	الوادى	الأرض المنخفضة بين جبلين
	أفئدةً	قلوباً والمراد جماعات
	تهوِى إليهم	تُسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً
١٤	حَطَّنا	أضعفنا
	نَضرتها	بهجتها وحُسنها
١٥	حُجَّة	موضع ثِقة يُعتَدُّ بقوله
	حَداثته	صِغَر سنّه
	سديدة	صائبة موفَّقة
١٦	وُلِّيتُ عليكم	تولَّيت أمركم
	فسدِّدونى	وجِّهونى نحو الصَّواب
١٧	احتلُّوا	ملكوا
	روَّجوا	رغَّبوا فيها حتى كثر طُلَّابها

الفقرة	الكلمة	معناها
	مصقول	ناعم الملمس
	الخِرق البالية	الثياب القديمة
	تَضمحِل	تَضعُف
	تَنقرض	تَنعدِم
	جيل	صِنف من الناس من أهل عصر واحد
	افتن فى الانتفاع بالورق	استفاد به فى أمور متنوعة
١٨	تراحم الناس	عطف بعضهم على بعض
	مغبون	مظلوم
	أقفرَت	خلَت
	الجنوب	الجَنْبُ = ما تحت إبط الإنسان إلى خَصْره
	المضاجع	المَضْجَع = موضِع الجنب من الأرض
	تَهيم	تنطلق
	التَّنقير	نقَّر الطائر فى المكان مهده ليبيض فيه ؛ فالتنقير : التمهيد للبيض

البيت	الكلمة	معناها
١٩	الغابرة	الماضية
	مدُّ الجسور	إقامتها
	تعبيد الطرق	تمهيدها
	المبرِّزون	المتقدِّمون على غيرهم
	تشييد	بناء
	الشّاهقة	المرتفعة
	المنبَثّة	المنتشِرة
	تُنْبِئ	تُخبِر
٢٠	بذلت ما فى وسعى	اجتهدت بقدر ما أستطيع
	الرّأفة	الشفقة والعطف
	فرَط منه	حصل
٢١	عِظات	نصائح
	فى أحْشائه	فى جَوْفه
	كامِن	مُختَفٍ
	وَيْحَكم	رَحْمَةً لكم
	أُساتى	أطبّائى ، والآسى : الطبيب
	منَعة	قُوّة

البيت	الكلمة	معناها
	مَزْلقاً	موضعاً لا تثبت عليه قدَم
	أناة	تمهُّل وانتظار
	معشَر	جماعة
	الرُّموس	القبور
	رُفاتى	بقايا عظامى
٢٢	بدٌّ	مَفَرٌّ
	ماسّة	مُهِمّة — شديدة
	مُعْجَم	كتاب جامع
	اللهجات	اللّغات
٢٣	رَعَتْه	حفِظَته
	الودائع	الأمانات
	الحواضر	المدن الرئيسة
	يشيدون بذكرها	يرفعون من شأنها بالثّناء عليها
	غمَرت	ملأت
	تمخَر	تجرِى وتشقّ الماء مع صوت

ص	الكلمة	معناها
	عُباب	مَوْج
	تخفُق	تهتزُّ
	تُحلِّق	ترتفع فى الطَّيران
	سُباتهم	نومهم
	دعائمه	أُسُسه التى قام عليها
٢٤	الدّابة	كلّ حيوان يمشى على الأرض
	أَجْهدها	أتعَبها
	أضناها	أثقلها وأمْرَضها
	أقرانها	أصحابها
	الفَشَل	الخيبة
	الغايات	النهايات
	الظَّفَر	النَّجاح
٢٥	إخماد ثورتهم	إسكان ثورتهم
	فَلّ جموعَهم	شَتَّتَهم
	اجتاز	سلك
	يتأهَّبُون	يستعدُّون
	مآثر	مكرُمات

ص	الكلمة	معناها
	زهاء مائة	ما يقرب منها
٢٦	الصِّلات	الرّوابط
	المبتَكَرات	المخترعات
	الأساطيل	مراكب الحرب
٢٧	فأجْدَبت	لم تُخْصِب
	هَبَط	نزل
	أَدَعُك	أَتْرُكك
	ديناراً	قطعة نقدية من الذَّهب
	العهد	الميثاق والوعد
	غَدْر	خيانة
٢٨	إقلال	فقر
	سَراة	أغنياء
	عَهِدْناكم	عَرَفْناكم
	اِحْتَشِدوا	اِجْتَمِعوا
	طمحت	تَطَلَّعَت
٢٩	يُصغى	يستمع
	يَدْأب	يجدُّ
	سجِلّ	كتاب

الصفحة	الكلمة	معناها
	بَدا	ظهر
	يتهلّل	يتلألأ
	النُّجباء	الكرماء الأصل
	نائياً	بعيداً
	أسًى	حزناً
	أحشاؤه	أمعاؤه
	كَمَداً	حُزناً مكتوماً
	يُؤَنِّبه	يوبّخه ويلومه
	يَحُزُّه	يطعَنُه
	ذَرَفَت	سالَتْ
	يتوارى	يَسْتَتِر
	اغرورقت العين بالدمع	امتلأت به
	انفجَر	اندفع
	فوَجَم الجميع	فسكت الجميع حزناً
	آنئذ	وقتئذ
	الجدير بالشيء	الذى يستحقّه
٣٠	فريدة	لا نظير لها
	توالى	تتابع

الصفحة	الكلمة	معناها
٣١	تقَرُّ	تُسَرُّ
	تغرِّد	تُطرِب فى الصوت والغناء
	جداول	أنهار صغيرة
	خلالها	فى أنحائها
	فوّارات	فتحات يخرج منها الماء
	اكتنَفَتْها	أحاطت بها
	تصدَحُ	تصيح
	هَضْبة	جبل منبسط على وجه الأرض
	يؤُمُّها	يقصِدُها
	تمرَح	تلعب بفرح وسرور
٣٣	الفَرْش	صغار النَّخل
	تُقَلَّم	تقطَّع فروعها الصغيرة
	الشَّذا	حدة ذكاء الرائحة
٣٤	أصيل	كريم الأصل
	ذائع الصيت	منتشر الذكر الحسن
	باهظ	مرتفع غال
	جَموحاً	عاصياً لصاحبه

الصفحة	الكلمة	معناها
	يروضوه	يذللوه
	تسوسُه	تقوده وتقوم بأمره
	أشواطاً	مرّات
	سَلِس الحصان	سهلَت قيادته
	بُهِت	دهِش وتحيّر
	يركُض	يستحثّه على العدو
٣٥	غِرٌّ	جاهل بالأمور غافل عنها
	دُجَى	ظُلْمة
	العَوالى	أعالى الرّماح ، والمراد المناصب العالية
	عُلالة	ما يُتعَلَّلُ به ويُتَلهَّى
	رُمت	طلبت
	مُفْتَرٍ	كذّاب
	تَقْفُو	تَتَتبَّعْ
	الورى	الخَلْق
٣٦	دُهاة	جمع داهية وهو الفطن الجيّد الرأى
	يَخْتلِف	يذهب فى أوقات مختلفة

الصفحة	الكلمة	معناها
	اختطّ خِطّة	حدّد مكاناً يُبْنَى عليه
٣٧	ثُلّة	جماعة
٣٩	اتّسع نطاقها	زادت حدودها
	أهَلَت	عَمَرت بأهلها
	الشّامخة	المرتفعة
	توافدوا	أتَوْا واحداً بعد الآخر
	الأشراف	العظماء
	شاهقة	مرتفعة
٤٠	رابَنى	أو قعَنى فى الشّكّ
	أهمّنى	أقلقنى
	همُّها	حزنها
	عافَتْه	كرِهَتْه فلم تقرب به
	تحفِل	تهتمّ
	أفرِّج	أكْشِف وأزيل
	كُرْبتها	غمّها
	مُرْتجا	مُغلقاً
	استحالت	تحوّلَتْ
	تضرُّعها	خضوعها وتذلّلها

الدرس	الكلمة	معناها
	المعتقَل	المحبوس
	يتلمس السبيل	يبحث عنها
	يسيطر	يتسلط
	حالِكة	شديدة السّواد
	مستَجْدٍ	طالب للعطاء
	منّة	نِعْمة
٤١	برَّ بِوَعده	عمِل به
	لبّى الدّعوة	أجابها
	الحافِلة	السيّارة العامّة
	يَدْنو	يَقْتَرب
	شقشقة العصافير	صوتها
	خرير المياه	صوتها
	حفيف الأوراق	صوتها
	أسرّ الخبر	أخبَرَ به سرّاً
	انتَفَض	اهتزّ ، وتحرّك
٤٢	صوْب الغمام	مطر السّحاب
	رُكام	سحاب مُجْتمع
	غانيــة	مُسْتَغْنية

الدرس	الكلمة	معناها
	يَهْمِي	ينزِل بغزَارة
	تبارك ماؤه	جعل الله فيه البركة
	الآثام	الذنوب
	رشف	امتصّ
	العليل	المريض
	الزُّلال	الماء العذب
	الأسقام	الأمراض
	شابَهُ	خالَطَه
	صَفو	نقــاء
	مطارِفا	أثواباً من الحرير
	لا بِدْعَ	لا عَجَبَ
	رِمام	عظام باليــة
٤٣	السُّندسِيّة	الخضراء
	سَفَرت	كشفت
	الوهّاج	المتلألئ
	تُبدِّد	تفرّق
	زَرافات	جماعات
	أجواز الفضاء	وسط الفضاء

البيت	الكلمة	معناها
٤٤	العِنان	اللجـام
	الشاقّ	المتعب
	غير مصفًّى	غير نقىّ
٤٥	وافته منيَّته	أدركه الموت
	عنفوان الشباب	مبدؤه
	خطب الأمة	مُصَابُها
	جَسيما	عظيما
٤٦	يُسِيغ	يشربُ بسهولة
	يَسْتَطِيب	يستلذ
	الرَّمق	بقية الرُّوح فى الجسد
	قفز	وثبَ
	الرَّقراقة	المتلألئة لذهاب الماء ومجيئه فيها
	زجَّ	دفع
	يزجى	يسوق
٤٧	صَوْب	جهة
	سدنة البيت	خُدَّامه
٤٨	لا قِبَل	لا قُدْرة

البيت	الكلمة	معناها
	النفق	السَّرَبُ فى الأرض له مخلص إلى مكان
٤٩	المَقام	الإقامة
	اغتربْ	ابتعد عن وطنك
	اِنْصَبْ	تجلَّد وتحمَّل المشاقّ
	التِّبر	فتات الذّهب والفضّة قبل أن يصاغا
٥٠	تزدريها	تحتقرها
	يقشعرّ	ينقبض
	ترقيش	تزيين
	شراهة	شهوة عظيمة
	الشَّرنقة	البيت الذى تنسجه دودة القزّ لنفسها
	المِجهر	آلة لتكبير الأجسام
٥١	المِنْوال	آلة النسج
	حَوْك	نَسْج
	يُفْشِى	ينشر
	تَسرَّبت	خرجت سرًّا
	ظلّت	بقيت

البيت	الكلمة	معناها
٥٢	حَضيضه	الحضيض: قرار الأرض عند أسفل الجبل
	يُرجَى	يُنتَظَرُ
٥٣	عنقوديّة	تشبه عنقودَ العنب
	نقع البذور في الماء	تركها فيه مدّة طويلة
	يُغِلّ	يُخرج
٥٤	لم تنفذ من قشرة البندقة	لم تخرق القشرة وتدخل فيها
	يزهِر	يظهر نَوْرُه
٥٥	الرِّعاية	العناية
	عقد له لواء الجيش	أسند إليه رياسة الجيش وقيادته
	ظافراً	منتصراً
	عَقَدَ الجِسْرَ	بناه ومدّه
٥٦	جَلّ الأسى	عَظُمَ الحزن
	الطَّلّ	المطر الخفيف
	ولى	ذهب وانقضى أجله
	البِلَى	الفناء
	فلّ	كسر

البيت	الكلمة	معناها
	الرّدى	الموت
	شهابا	كَوْكبا
	الوَهَن	نصف اللّيل والمراد هنا الوقت القصير
	خمد	ذهب ضياؤه
	صَبّ النيل	محبّه
	لا تَنِي	لا تضعف وتتكاسل
٥٧	يقدّس	يعبد
	يمقتون	يُبغضون
	معسولا	مخلوطاً بالعسل
	خطاطيف	جمع خُطّاف وهو حديدة معوجّة من الطّرف
	تنشَب	تَعْلَق
٥٨	تجلَّى	تظهر بوضوح
	رحيق الأزهار	خلاصتها وأطيب ما فيها من ماء
	نسله	أولاده
	تستحثّها	تحضّها
	يتضافَر	يتَعاوَن

ص	الكلمة	معناها
٥٩	متمرغ فى النعيم	مُتمتِّع به تمتعاً كلياً
	الأرمَلة	من مات عنها زوجها
	أسْلَف	قدّم من عمل
٦٠	يعدو	يجرى بسرعة
	نطاق أعمالها	دائرة أعمالها
	مُحْكَم	مُتقَن
٦١	غائلة الحاجة	ضررها
	هدَفا	غرضا
	سواد الأمّة	عامّتها
٦٢	صائبة	سديدة صحيحة
	عفًّا	لا ينطق بالقول السّيِّئ
	تحريف الكلم	تغييره
٦٣	مزّق	فرّق
	الغسق	أول ظلمة الليل
	الفلق	الصُّبح
	زقزق	غرّد فى الصّباح
٦٤	يترجّح	يهتزّ

ص	الكلمة	معناها
	يموج	يضطرب
	جذبتنا	غلبتنا وأخذتنا
	انبجس	خرج بقوّة
	بخَر	تحول إلى بخار
٦٥	يُدلى برأيه	يجهَرُ به
٦٦	اللَّبِنُ	ما يُصنع من الطِّين للبناء
	يُورِثها	يُعطيها ويمنحها
	تزدان	تتزَيَّن
٦٧	يجوسون	يجولون
	بادت	ذهبت ومضت
	يُناجون	يحدّثون سرًّا
	حَدَب	جِهة
	يتفرّسون	يتعرفون
	طريف	جديد
	الحوذيّون	سائقو المركبات
	يشدون أزرها	يتعاونون على إعلاء شأنها
٦٨	جمّة	كثيرة

الصفحة	الكلمة	معناها
٧	الجمائل	المكافآت
	سكن	اطمأن
	شدوا وثاقه	أحكموا ربطه وَكَتْفَه
	كلب الزمان	قسوته وشدته
	الجنان	القلب
	ابتلاني	اختبرني
	قاذف بك	مُلْقيك
	صفدوه بالحديد	قيّدوه به
	يرتاد أسداً	يَبْحَث عَنْه
	دوّت الجبال	سُمِع لها صَوْت
	ارتاع	خاف خوفاً شديداً
٧	المروج	المراعي
	العشب الندي	الحشائش الرّطبة
	أريج الأزاهير	رائحتها الطيّبة
	أرهفت أذنها	أصْغت باهتمام
	فرائص	جَمْعُ فريصة وهي لَحْمَة بين الجنب والكَتِف
	وَهَنَت	ضَعُفت

الصفحة	الكلمة	معناها
	العويل	البكاء
	الشحوب والامتقاع	اصفرار اللون
	الذُّعر	الخوف الشّديد
	فَغَر فاه	فَتَحه
٧٥	عروض التجارة	السِّلَع التي يُتّجرُ بها
	القاصية	البعيدة
	الباذخة	المرتفعة
	القُطّان	السكان
٧٦	آخواين الأمم	جعلوا بينهم مودّة وصداقة
٧٧	قرينك	صديقك
	يَشين	يعيب
	ثرثارة	كثير الكلام
	يَعْطَبُ	يهلك
	لا يُحْجَبُ	لا يحول بينه وبين الله حائل
٧٨	منارة	مئذنة

الجزء	الكلمة	معناها	الجزء	الكلمة	معناها
	تُضارع	تشابه		الوِزْر	الإِثم
٨٠	هَرْوَل	جرى بسرعة		ذَرَّ	نـثر
	يتضاغَوْن	يتلوَّوْن من الجوع		تنحى ناحية	ذهب إلى مكان بعيد
	العِذْل	حِمْل صغير		ربض	جلس
	الـكُبَّة	القطعة المُـكَبَّبَة		يصطرعون	يتغالبون



فهرس الموضوعات